هي و هو

مكتبة ٣٥٧

رواية

مارك ليفي

ترجمة عن الفرنسية: شاكر نوري
مراجعة: أيمن عبد الهادي

منشورات الرمل

مارك ليفي

هي وهو

مكتبة | 357

هي و هو

مكتبة

الكتاب: هي وهو، (رواية)

تأليف: مارك ليفي

ترجمة: شاكر نوري

مراجعة: أيمن عبد الهادي

عدد الصفحات: 336 صفحة

رقم الناشر: 374/18-126

الترقيم الدولي: 3-20-941-9938-978

الطبعة الأولى: 2018

هذه ترجمة مرخصة لكتاب

ELLE ET LUI DE MARC LEVY

Marc Levy/Versilio, 2015 ©

All rights reserved

موقع المؤلف على الإنترنت

www.marclevy.info

جميع الحقوق محفوظة ©

الناشر:

مكتبة ٢٠١٩١١٥

منشورات الرمل - مصر

دار التنوير

مصر: القاهرة - جاردن سيتي - 2 شارع فؤاد سراج الدين (السريا الكبرى سابقاً) - الدور الأرضي - شقة رقم 2

لبنان: بيروت - بئر حسن - بناية قاسم فارس (سارة بنما) - الطابق السفلي

هاتف: 009611843340 - بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

Manshoorat Alraml is an Imprint of Dar Altanweer

الترقيم الدولي: 5-035-472-614-978

مكتبة هي و هو

مارك ليفي

هي وهو

ترجمة: شاكر نوري

مراجعة: أيمن عبد الهادي

مكتبة | 357

منشورات الرمل

هي و هو

مكتبة

مكتبة

telegram @ktabpdf

telegram @ktabrwaya

تابعونا على فيسبوك

جديد الكتب والروايات

اللهم أنزل على قبرها الضياء والنور

والفسحة والسرور

اللهم اقبلها في عبادك الصالحين

واجعلها من ورثة جنة النعيم

إلى أبي

إلى أولادي

إلى زوجتي

مكتبة هي و هو

مكتبة
هي و هو

ذات يوم، سأذهب للعيش في رحاب النظرية
لأن كل شيء فيها يسير على أحسن ما يُرام.

مكتبة هي و هو

الفصل 1

غسل المطر سطوح المنازل وواجهاتها والسيارات والحافلات والأرصفة وممرات المشاة. مطرٌ لم يتوقف عن الهطول على لندن منذ مطلع الربيع. وكانت ميّا قد انتهت لتوها من موعد مع وكيل أعمالها.

ينتمي كريستون إلى المدرسة القديمة في التعامل مع الآخرين والجهر بالحقيقة لكن بأدب. كان أنيقًا حتى في كلامه، ويحظى بالاحترام، ودائمًا تأتي سيرته أثناء حفلات العشاء بسبب ملاحظاته القاسية للغاية، ولكن البعيدة تمامًا عن أن تكون جارحة.

كانت ميّا تحظى برعايته، وهو أمر يعني الكثير للغاية في عالم السينما الذي لا يرحم والفَظّ في أغلب الأحوال.

كان قد ذهب في ذلك اليوم لمشاهدة الفيلم الجديد لميّا في عرض خاص، ولأنه لم يكن يسمح لها بمرافقته في مثل هذه الظروف اضطرت لانتظاره في مكتبه.

بعد أن خلع كريستون معطف المطر، جلس على مقعده وأعرب عن رأيه من دون أن يطيل مدة التشويق:

مكتبة هي و هو

«في الفيلم حركة وقليل من الرومانسية وأُلِّفَ السيناريو بذكاء بين عناصر حبكة غير منطقية، لكن من يهتم بمثل هذه الأمور في أيامنا؟...».

ولكي يطمئنها، قال لها: «سيشهد فيلمك إقبالًا منقطع النظير».

كانت ميّا تعرف كريستون بما يكفي لتعلم أنه سيقول كلامًا يدعمها.

ذكر أنها بدت رائعة لكنها كانت تتعرى أكثر من اللازم، وأنه لم يكن ثمة داعٍ لأن تُظهر مؤخرتها كل ثلاثة مشاهد، وأن عليها أن تكون أكثر حرصًا في أعمالها المقبلة وهو الأمر الذي سيتكفل به من أجل تطوّرها في هذا المجال وحتى لا يتم تصنيفها من دون تروٍّ في فئة بعينها.

«لتقل رأيك بصراحة يا كريستون».

«كنتِ تريدين لعب دورك على أفضل ما يكون وتَحَقق لك ذلك رغم صعوبته. لن نستمر إلى الأبد في تصوير أفلام بطيئة الأحداث حيث يقضي أبطالها فصل الخريف بين خيانتين ويقيمون علاقات جنسية متعددة ولا ينسون في الوقت نفسه احتساء كؤوس الشاي! نتحدث هنا عن فيلم أكشن حيث تتحرك الكاميرا كثيرًا مثل الشخصيات ذاتها... لماذا تعترضين إذًا؟».

«يا كريستون قل الحقيقة!».

«يا عزيزتي، الفيلم ضعيف فنيًّا جدًّا، لكن ستمتلئ صالات السينما التي سيعرض فيها عن آخرها لأنك تمثلين أنت وزوجك فيه، وهذا سبب كافٍ، بل وحيد، لاعتبار الفيلم حدَثًا كبيرًا في حد ذاته. ثم إن الصحافة ستتحمس كثيرًا لاشتراككما معًا فيه حتى لو ستسرقين منه الأضواء وهو الأمر المؤكد الذي لا مجاملة فيه».

لكنه هو النجم في الحياة اليومية. أجابت ميّا بابتسامة شاحبة.

حكّ كريستون لحيته، وهي حركة تعني انشغاله بالأمر وسألها:

«كيف حال زواجكما؟».

«ليس على ما يُرام»، في الواقع».

«انتبهي، ميّا، لا تقترفي الحماقات».

«أيّ حماقات؟».

«أنت تفهمين ما أقصد جيدًا. هل ازدادت الأمور بينكما سوءًا؟».

«حسنًا، يمكنني القول إن تصوير الفيلم لم ينجح في التقريب بيننا».

هذا تحديدًا ما لا أريد سماعه، على الأقل حتى يبدأ عرض الفيلم في صالات السينما، فمستقبل هذا العمل الفني الكبير يتوقف على ظهوركما معًا في الواقع كما على الشاشة.

«هل لديكَ سيناريوهات تقترحها عليّ؟».

«أجل لدي».

«كريستون، أريد سيناريو تدور أحداثه في الخارج بعيدًا عن لندن وضبابها، وأريد أن ألعب دورًا بارعًا، إنسانيًّا، وأن أسمع أشياء تؤثر فيّ وتجعلني أضحك وأتذوّق الحنان، حتى لو كان ذلك في فيلم صغير».

«أما أنا فأرغب ألّا تتعطل أبدًا سيارتي الجاكوار القديمة علمًا بأن الميكانيكي الذي يقوم بإصلاحها قد رفع الكُلْفةَ بيني وبينه. لقد كافحت من أجل أن أبني لكِ مسارًا مهنيًّا، وأنتِ تمتلكين جمهورًا عريضًا في إنجلترا، ولديكِ معجبون يدفعون ثمن تذاكر الدخول إلى الصالات حتى لو كنتِ ستقرأين لهم دليل الهاتف، وبدأ تقديرك الفني يزداد في أنحاء القارّة. والواقع أن أجرك لا يقارَن بأجور هذه الأيام، لكن لو نجح هذا الفيلم النجاح الذي أتخيله، ستصبحين عمّا قريب الممثلة الأعلى أجرًا من بين أبناء جيلك. لذا كل ما أطلبه منك قليل من الصبر. هل اتفقنا؟ اطمئني خلال بضعة أسابيع ستتدفق عليك عروض التمثيل في الأفلام الأميركية مثل هذا المطر. وستنضمين إلى مصافّ الممثلات الكبيرات».

«أتقصد الحمقاوات الكبيرات اللاتي يبتسمن بينما هنَّ حَزِينات؟».

اعتدل كريستون في جلسته على مقعده وسعل.

مكتبة هي و هو

«مثلهن، ومثل غيرهن من السعيدات أيضًا». وقال لها وهو يرفع نبرة صوته: «ميّا، أرجوك، لا أرغب في رؤيتك حزينة. من شأن المقابلات الصحافية أن تقرّب بينكما، زوجك وأنتِ. وستضطران إلى الضحك باستمرار أثناء الترويج للفيلم، وقد تندمجان معًا في الأخير».

ذهبت ميّا إلى المكتبة وفتحت صندوق السجائر من فوق الرف والتقطت واحدة.

«أنت تعرفين أنني أمقت التدخين في مكتبي».

«إذًا لماذا تحتفظ بهذا الصندوق؟».

«للحالات الطارئة فقط».

حدّقت ميّا بكريستون، ثم جلست، والسيجارة على طرفي شفتيها من دون أن تشعلها.

«أظن أنني زوجة مخدوعة تتعرض للخيانة».

«أجاب وهو يقلّب بريده».

«مَنْ منا ليس مخدوعًا في أيامنا هذه».

«أنا جادة في ما أقوله».

توقف كريستون عن القراءة، وأكمل:

«زوجة مخدوعة، كيف؟ أقصد هل تتعرضين دائمًا للخيانة أم لفترة معينة؟».

«وهل سيغير ذلك في الأمر شيئًا؟».

«وأنتِ، ألم تخونيه أبدًا؟».

«لا، لم أفعل، بل فعلت مرة واحدة وكانت مجرد قُبلة. كان شريكي يجيد التقبيل وكنت بحاجة لأن يقبلّني أحد، قمت بتقبيله بحرارة لأجل أن أضفي المصداقية على المشهد الذي كنتُ أمثله، وهذه لا تُعتبر خيانة، أليس كذلك؟».

«المهم النيّة في الخيانة. في أي فيلم حصل ذلك؟ تساءل كريستون رافعًا أحد حاجبيه إلى أعلى».

مكتبة هي و هو

أرسلت ميّا نظرة عبر النافذة بينما تنهّد وكيلها.

«طيب، لنفترض أنه يخونكِ. ما أهمية ذلك إذا كنتما لا تتبادلان الحب؟».

«هو الذي لم يعد يحبني، أما أنا فأحبه».

فتح كريستون دُرج مكتبه وأخرج نفّاضة سجائر وعود ثقاب وأشعل لها سيجارتها. أخذت ميّا نفسًا طويلًا، وسأل نفسه إذا كان الدخان هو ما يخز عيونه، ولكنه تحاشى أن يسألها عن ذلك.

«كان هو النجم، وأنتِ الممثلة الناشئة. لقد أدّى دور بجماليون، وتجاوز التلميذُ أستاذه. وهو أمر كان من الصعب عليه، هو المغترّ بذاته، الإقرارُ به وقبوله كحقيقة. انتبهي لرماد سيجارتكِ، فسجادتي هذه تعني لي الكثير!».

«هذا ليس صحيحًا، لا تقل ذلك!».

«لم أقل إنه ليس ممثلًا ماهرًا، ولكن...».

«ولكن ماذا؟».

«سنتحدث لاحقًا، الوقت ليس مناسبًا للحديث عن ذلك فلديّ مواعيد أخرى».

دار كريستون حول مكتبه، سحب السيجارة بكل لطف من يد ميّا وسحقها في المنفضة. ثم قادها وهو يمسك كتفها نحو الباب وهو يقول:

«قريبًا، ستمثلين في أي مكان تشائين، في نيويورك، ولوس أنجلس أو في روما. وإلى أن يحدث ذلك لا تقترفين حماقات. أطلب منك الصبر لشهر واحد لأن مستقبلك رهن هذا الشهر، فهل تعدينني بالاستجابة لما أطلبه منك؟».

* * *

بعد خروجها من مكتب كريستون، توجهت ميّا بالتاكسي إلى شارع

مكتبة هي و هو

أكسفورد. كانت حين تعاني من نوبات انهيار عصبي، وقد أصابها الكثير منها في الأسابيع الأخيرة، تتنزه في هذا الشارع التجاري المفعم بالحياة.

وبينما تتأمل واجهات المحلات الكبيرة، حاولت الاتصال بديفيد، لكن سرعان ما رد عليها المجيب الآلي.

تُرى بماذا كان منشغلًا في تلك الظهيرة؟ أين هو منذ يومين؟ يومان وليلتان من دون أي أخبار باستثناء رسالة صوتية تركها على المجيب الآلي في شقتهما، رسالة مقتضبة تطلب منها عدم القلق فهو غادر إلى الريف ليجدد نشاطه، لكنها فعلت العكس تمامًا.

قررت ميّا أن تعود إلى البيت وأن تمتلك زمام نفسها، وألا تكشف عما اعتراها من قلق حين يعود ديفيد إلى البيت. ستبقى رصينة ومسيطرة على عواطفها، ولن تتركه يتخيّل للحظة واحدة أنها اكتأبت أثناء غيابه، والأهم أنها قررت ألّا تطرح عليه أي سؤال بهذا الشأن.

استجابت ميّا لرغبة إحدى صديقاتها التي رجتها بإلحاح أن ترافقها إلى حفل افتتاح أحد المطاعم وأن تبدو على أجمل ما يكون. هي أيضًا بوسعها إثارة الغيرة عند ديفيد. كما أنها فضّلت أن تكون محاطة بأناس لا تعرفهم على الانزواء مكتئبة في بيتها.

كان المطعم ضخمًا، والموسيقى صاخبة، والصالة مكتظّة، ومن المستحيل أن تتمكن من الكلام مع أي أحد ويسمعك أو أن تخطو خطوة من دون الاحتكاك بالآخرين. مَنْ بمقدوره الاستمتاع بمثل هذا النوع من السهرات؟ كانت تفكر بذلك، وهي تتهيأ لمواجهة هذا الحشد البشري الموجود حولها.

كانت فلاشات الكاميرات تبرقُ في مدخل المطعم. لذا أصرّت صديقتها على مرافقتها، يحدوها الأمل أن ترى صورها منشورة على صفحات المجلات، وأن تشعر ولو بشكل عابر بمثل هذا الإحساس

مكتبة هي و هو

بالشهرة. يا للجحيم! لماذا يا ديفيد تتركني أهيم لوحدي في مثل هذه الأماكن؟ سأجعلك تدفع الثمن مئات المرات. فأنا أيضًا بحاجة لأن أجدد نشاطي[1].

رنَّ هاتفها.. مكالمة مجهولة في تلك الساعة؟ إنه هو بالتأكيد. كيف أتمكن من سماعه في هذا الصخب؟ كم كنت أتمنى في تلك اللحظة أن أكون قناصة وأقتل منسّق الموسيقى (دي. جي)!.

ألقت ميّا نظرة سريعة على المكان ككل، كانت تقف بين المدخل والمطبخ حيث يتدافع الحشد البشري من أجل التقدم إلى الأمام، لكنها قررت أن تسير عكس التيار، وهي تجيب على المكالمة بالصراخ.

«لا تقفل الخط! «هذه بداية جيدة أيتها الفتاة المسكينة تتفق وقسمك بأن تبدين طبيعية»».

لكي تواصل سيرها، كان عليها أن تدفع الفتاة الوقحة المعلَّقة على كعب عالٍ، والأبله الذي يعاكسها، وأن تسحق أقدام صاحبة هذا الهيكل العظميّ الضخم الذي يتلوى أمامها مثل ثعبان البحر وهي تتفادى أحد المتأنقين الذي يترصدها. ستتسلى أيها الأبله فهي تبدو مستعدة للكلام معك. لم يبق لها سوى عشر خطوات لتصل إلى الباب.

ابق على الخط، يا ديفيد! اسكتي يا بلهاء!.

تتوسل إلى الحارس بنظرة ما ليساعدها على الخروج من هذا المكان.

وأخيرًا، وجدتْ نفسها في الشارع حيث الهواء المنعش والهدوء النسبي، وابتعدت عن الطوابير البشرية التي تنتظر الدخول إلى هذا الجحيم.

---

(1) هذا المقطع المكتوب بخط مائل وغيره مما سيرد على النحو نفسه على صفحات الرواية يشير إلى حوارات داخلية للمتكلم أشبه بالتمتات أو بحديث النفس للنفس.

مكتبة هي و هو

«ديفيد؟».

«أين أنتِ؟».

«في سهرة...من أين له كل هذه الوقاحة حتى يطرح مثل هذا السؤال؟!».

«هل تتّسلين، يا حبيبتي؟».

«منافق! نعم، إنها سهرة مسليّة...أين ستجدين سهرة مماثلة؟!».

«وأنت يا غبي، أين أنتَ.. منذ يومين؟».

«في الطريق إلى البيت. هل ستتأخرين أم ستأتين باكرًا؟».

«أنا في التاكسي... أريد تاكسي.. أريد تاكسي سريعًا!».

«قلتِ إنكِ تسهرين!».

«كنت أغادر السهرة عندما اتصلتَ».

«من المحتمل إذًا أن تصلي قبلي إلى البيت، لا تنتظريني إذا كنتِ مُتعبةً، الشوارع مزدحمة في هذه الساعة. لقد أصبح العيش في لندن مستحيلًا!».

أنتَ من أصبح مستحيلًا العيش معه! كيف تتجرأ أن تقول ألّا أنتظرك؟ لم أفعل شيئًا منذ يومين سوى انتظارك!.

«سأترك المصباح مُضاءً في الغرفة».

«رائع، أُقبِّلُكِ، إلى اللقاء».

ثمة أزواج يتنزهون تحت مظلات المطر على الرصيف المتموّج بانعكاسات الأضواء...

وأنا، وحيدة مثل أي مُغفّلة. غدًا، سأغيّر حياتي بغض النظر عن موضوع الفيلم، بل لن أنتظر الغد، سأغيّر حياتي هذه الليلة!.

الفصل 2

باريس بعد يومين.

«لماذا يكون المفتاح الصحيح دائمًا هو الأخير في سلسلة المفاتيح التي نجرّبها في القفل؟» احتجّت ميّا.

أجابت ديزي وهي تسلط الضوء على ثقب القفل بمصباح الموبايل: «لأن الحياة تسير بالمقلوب، وإلا لما كانت السلالم غارقةً في الظلام».

«لم تعد تروقني أبدًا الفكرة التي يكوّنها أحدهم عني، أريد من يتعامل معي على حقيقتي، أريد كل ما يخص الحاضر، الحاضر دون غيره».

«أما أنا فمستقبلي أقل غموضًا». تنهدت ديزي. «والآن أريد مفاتيحي لو لم تستطعي فتح الباب لأن بطارية الموبايل على وشك النفاد».

وبالفعل كان المفتاح الأخير في سلسلة المفاتيح هو الصحيح. وبمجرد الدخول إلى الشقة، ضغطت ديزي على زر الكهرباء، من دون أن تُضاء المصابيح.

«انقطع التيار الكهربائي عن البناية بأكملها».

«وانقطع عن حياتي كلها أيضًا». أضافت ميّا.

مكتبة هي و هو

«لا تبالغي».

«لا أجيد العيش في الأكاذيب». ردت ميّا بلكنة تبعث على الشفقة، لكن ديزي تعرفها منذ فترة طويلة ولا تريد أن تجاريها.

-لا تقولي كلامًا لا معنى له، أنت ممثلة موهوبة، وبالتالي كذّابة محترفة... لديَّ شموع في مكان ما، عليّ أن أعثر عليها قبل نفاد بطارية الآيفون».

وانطفأت شاشة هاتفها.

همست ميّا: «وماذا لو قلت للجميع أن يذهبوا إلى الجحيم؟»

«ألا يخطر ببالك مساعدتي؟».

«أجل، ولكن لا أرى شيئًا بالمرة في الظلام».

«حسنًا أنا ممتنّة أنك انتبهت أنه يصعب بالفعل رؤية شيء هنا!».

تقدمت ديزي وهي تتحسس طريقها. لامست يدها الطاولة واصطدمت بالكرسي وهي تتفادها. تأوَّهت، ووصلت إلى طاولة المطبخ الموجودة خلفها مباشرة. اقتربت من فرن الغاز وهي تسير ببطء شديد للغاية، تناولت أعواد الثقاب من على الرف، ثم أشعلته، فتصاعد لهيب الغاز.

أنار شعاع أزرق المكان حيث كانت تقف.

جلست ميّا إلى الطاولة.

أخذت ديزي تفتش في كل الأدراج عن شموع عادية لأنها لا تستخدم أبدًا الشموع التي تفوح بالعطر، فلشغفها بفن الطبخ شروط، منها عدم إفساد طعم الأطباق بروائح أخرى. وكان بودها أن تعلق لافتة على باب مطبخها، كُتب عليها «ممنوع دخول الأشخاص الذين يبالغون في التَعَطُّر» بدلًا من لافتات ترفعها مطاعم أخرى من نوع «لا يقبل المطعم البطاقات الائتمانية».

مكتبة هي و هو

عثرت على الشموع وأشعلتها، فطرد لهيبها الظلام من الغرفة.

يمكن القول إن شقة ديزي تم اختزالها في المطبخ الذي كان بمنزلة غرفة المعيشة، غرفة تفوق مساحتها وحدها مساحة الغرفتين الأخريين مجتمعتين اللتين يفصلهما حمّام. وارتفعت على سطح طاولة المطبخ أوانٍ فخارية مصفوف بعضها إلى جانب بعض، نباتات من الزعتر، والغار، وإكليل الجبل، والشبت، ونبات المونرد، والفلفل الأحمر الحار. كان هذا المطبخ بالنسبة لديزي بمنزلة مختبر تجد فيه نشوتها وراحتها، وتعّد فيه وصفات الأطباق قبل تقديمها إلى رواد مطعمها الصغير الذي يقع قريبًا جدًّا من شقتها والمطل على ربوة مونتمارتر. مكتبة

لم تتلق ديزي دروسًا في الطبخ في مدرسة رفيعة المستوى، بل تعلمت هذه المهنة من أهلها وجماعتها في قريتها الريفية. كانت وهي طفلة تراقب أمها وهي تطبخ، وتقلد حركاتها بينما كان أقرانها يلعبون تحت ظلال أشجار الصنوبر والزيتون.

تعلمت كيف تنتقي الأعشاب في الحديقة المجاورة وتُحسن إعدادها في المطبخ، وهكذا صار الطبخ جزءًا من حياتها.

سألت ديزي ميّا: «هل أنت جائعة؟».

«أجل.. ربما.. في الحقيقة لا أعرف».

لم تنتظر ديزي جوابها فهي تعرف أنها لم تأكل. أخرجت صحنًا من الفِطر من الثلاجة، وحزمة من البقدونس، وحبة من عنقود الثوم المعلّق إلى يمينها.

«هل الثوم ضروري؟» سألت ميّا.

ردت عليها فورًا:

«هل في نيتكِ تقبيل أحد هذه الليلة؟».

وراحت تقطّع حزمة البقدونس بالسكين. وهي تضيف: «احكي لي ما حصل لك أثناء قيامي بالطبخ».

مكتبة هي و هو

سحبت ميّا نفسًا عميقًا. وقالت:

«لم يحصل أي شيء».

«ظهرتِ وقت إغلاق مطعمي تُمسكين حقيبة سفر في يدك، وبسحنةِ مَن انهارت الدنيا عليها، ومن حينها وأنتِ تشتكين ولهذا استنتجت أنكِ لم تأتِ لزيارتي لأنك اشتقت إليّ».

تنهّدت ميّا:

«لقد انهار عالمي حقًّا».

قطعت ديزي عملها في تحضير الطعام، ونظرت نحوها:

«من فضلك، ميّا! إنني مستعدة لسماع كل شيء، لكن من دون تنهدات ولا أنين. لا توجد كاميرات هنا».

«عندك موهبة مخرج ممتاز!» قالت ميّا.

«ربما. أنا أستمعُ إليك».

وانشغلت ديزي من جديد بالطبخ، بينما جلست ميّا إلى الطاولة وبدأت تحكي.

* * *

قفزت الصديقتان فزعًا في اللحظة التي عاد فيها التيار الكهربائي. أدارت ديزي مقبس الإضاءة لتخفيف الضوء، ثم فتحت الستائر الكهربائية للنافذة فبدت معالم باريس واضحة من الشقة.

تقدمت ميّا إلى النافذة، وقالت:

«هل لديك سجائر؟».

«توجد بعض السجائر على الطاولة الصغيرة، لا أدري مَنْ نسيها هنا».

«هل عشاقك كثيرون إلى درجة أن تجهلي مَنْ نسي منهم سجائره في شقتك؟».

«إذا كنت مصّرة على التدخين، اذهبي إلى الشرفة!».

مكتبة هي و هو

«هل تأتين معي؟».
«نعم سآتي لأنني أريد سماع بقية الحكاية».

* * *

«هل تركتِ المصابيح مُضاءة في الغرفة؟».
سألت ديزي وهي تحمل كأسين من النبيذ.
«نعم، ولكن ليس في غرفة الملابس. حيث تركتُ مقعدًا ليصطدم به حين يدخل».
«حسنًا.. لديكِ غرفة ملابس إذًا؟» سألت ديزي، ثم أضافت، «أكملي، وماذا بعد؟».
«تظاهرتُ بالنوم. وعندما دخل توجه إلى الحمام وخلع ملابسه، وبقى فترة طويلة تحت رشاش الماء. وبعد أن خرج أطفأ المصباح وجاء لينام. انتظرتُ أن يهمس لي ببعض الكلمات، وأن يقبّلني، لكنه لم يفعل، بدا أنه لم يجدد نشاطه بما يكفي! وغرق في النوم».
«حسنًا، هل تريدين رأيي؟ سأخبرك به أردت ذلك أم تريدين. أنتِ متزوجةٌ من شخص حقير. والسؤال الحقيقي هنا غاية في البساطة: هل يمتلك من الصفات ما يجعلك تتقبلين عيوبه؟ لا، بل السؤال الأهم هو معرفة: لماذا تحبين رجلًا يجعل منك امرأة تعيسة؟ اللهم إلّا إن كنت تحبينه لأنه سبب تعاستكِ».
«نعم لقد أسعدني جدًّا في البداية».
«آمل أنه فعل ذلك! فلو كانت البدايات سيئة، فسيختفي الأمراء الساحرون من الأدب وستُصنّف الأعمال الرومانسية ضمن أفلام الرعب. ميّا لا تحدّقي بي هكذا. إذا أردت أن تعرفي إن كان يخونك، فعليك أن توجّهي له السؤال لا أن تسأليني أنا. واتركي السيجارة من يدكِ، أنت تدخنين كثيرًا. وأذكّركِ، هذا تبغ وليس حب».
سالت الدموع على خدَّيْ ميّا..

مكتبة هي و هو

عندها ذهبت ديزي لتجلس بالقرب منها وتحتضنها.

«ابكي بقدر ما تشائين، ابكي إذا كان البكاء يريحك. يُخلف انفطار القلوب بسبب الحب ألمًا عظيمًا، لكن التعاسة الحقيقية هي أن تعيشي وحيدة وكأنك في صحراء».

كانت ميّا قد أقسمت أن تبقى متماسكة وقوية في جميع الظروف، وهو الأمر الذي لا يحدث حين تكون مع ديزي. كانت الصداقة التي تربط بينهما منذ زمن طويل كنوع من الأخوّة المختارة. وسألتها وهي تمسح خدَّيها من الدموع:

«لماذا تكلمتِ عن الوحدة مثل الحياة في الصحراء؟».

«هل تريدين تحويل موضوع الحديث إلى مناقشة طريقة عيشي؟».

«أنتِ أيضًا، تشعرين بالوحدة؟ هل تظنين أننا سنشعر بالسعادة ذات يوم؟».

«لدي انطباع أنكِ كنتِ سعيدة نوعًا ما في الأعوام الأخيرة. أنتِ ممثلة شهيرة ومُعترَف بمكانتها، وتكسبين من المال في فيلم واحد ما لا أكسبه من عملي طوال حياتي، وأكثر من ذلك... أنتِ متزوجة. فما نقرأه في الصحافة يجعلنا نرضى بحياتنا ولا نشتكي».

«لا أفهم، ما الذي جاء في تلك الصحف؟».

«أقصد أنها لا تأتي أبدًا بخير لأنه لو كان قد جاء فيها أي خبر جيد لخرج الناس إلى الشوارع للاحتفال وهو ما لم يحدث!» وسألتها: «كيف هو مذاق الفطر؟».

«طبخك أفضل علاج في العالم للاكتئاب».

«بالتأكيد، وإلا لماذا تظنين أنني أردت أن أكون شيف مطبخ؟ والآن إلى السرير فقد حان وقت النوم، وغدًا سوف أتصل بزوجكِ التافه، وأخبره بأنكِ على علم بكل شيء، وأنه أقدم على خيانة المرأة العظمى،

مكتبة هي و هو

وأنكِ ستتركينه، وليس ذلك من أجل رجل آخر، بل فقط للتخلص منه. وحين سأنتهي من المكالمة سيصير هو من يذرف الدمع».

«لن تفعلِي ذلك!».

«لا، بل أنتِ من سيفعل».

«لا، لن أفعل حتى لو كانت تلك هي رغبتي».

«لماذا؟ هل تجدين لذة في الانغماس في تلك الميلودراما التافهة؟».

«لا، لكننا اشتركنا في الترويج لإعلان عن فيلم بميزانية ضخمة سوف يُعرض خلال شهر. لذا أنا مُجبرة على تمثيل مسرحية كوميدية في حياتي الواقعية، وفيها ألعب دورًا رائعًا لامرأة غارقة في السعادة. إذا تبيّن للجمهور حقيقة علاقتنا أنا وديفيد، فلن يصدق أحدٌ ما يراه منّا كزوجين على الشاشة؟ ولو كُشفت هذه الحقيقة سيغضب المنتجون ووكيل أعمالي. أفضّل أن أكون زوجة مخدوعة وهي تعلم ذلك، على أن أكون مُهانة أمام الناس».

«مع ذلك لَعِبُ مثل هذا الدور.. حقيق فقط بعاهرة لا قلب لها».

«ألم تفهمي بعد لماذا أنا هنا، عندك؟ لم أعد أستطيع تحمل البقاء معه. يجب أن أختبئ عندكِ لفترة».

«كم من الزمن؟».

«سأبقى إلى أن يفيض بك الكيل».

مكتبة
هي و هو

الفصل 3

أمام بوابة الكنيسة، اخترقت سيارة مكشوفة من طراز «ساب» خطوطَ المرورِ الثلاثة، متجاهلةً الإشارات الضوئية، تاركةً الطريق السريع لتدخُلَ إلى الطريق A1 باتجاه مطار رواسي شارل ديغول.

تمتم بول وهو ينظر في مرآة الرّؤية الخلفيّة في السيارة: «لماذا أنا الذي أستقبله في المطار دائمًا؟ أقسم بأنه لم يعاملني بالمثل خلال ثلاثين عامًا من الصداقة. مشكلتي أنني لطيف! فهما معًا بسببي أنا. كلمة شكر صغيرةِ لن تُفقدهما لسانَيهما، ولكن ذلك لم يحصل! حسنًا، أنا عرّاب «جو»، ولكن مَنْ غيري يمكنهما أن يختارا؟ «بيلغيز»؟ أبدًا، فزوجته هي عرّابته الفعلية. أنا أعني ما أقوله، إنني أقدم الخدمات على الدوام، أمضي حياتي في خدمة الآخرين. لا أقول إن ذلك لا يفرحني، ولكن سيسعدني أيضًا أن يُبديَ الآخرون اهتمامهم بي. لورين على سبيل المثال، ألم يكن بوسعها أن تقدمني إلى إحدى المتدربات المقيمات ممن تمضين فترة تخصصهن الطبي العام، فالمستشفى مليء بهن بل هناك أيضًا متدربات في أعوامهن الدراسية الأولى! كلا أبدًا. ومع هذا فهُنَّ يعملن بالفعل في

مكتبة هي و هو

مواعيد صعبة للغاية. إذا استمر هذا الكائن البشري في تسليط أضواء التحذير من مصابيح سيارته، سوف أتوقف فجأة! كما ينبغي أن أتوقف عن الحديث وحدي، آرثر على حق، سيتصوّر الآخرون أنني مجنون. مع مَنْ أتكلم؟ مع شخصيات رواياتي؟ يجب أن أتوقف، هذا سيجعل مني عجوزًا، فالعجائز هم من يتحدثون مع أنفسهم لو لم يجدوا أحدًا يتكلمون معه وإلا سيتكلمون مع أقرانهم أو مع أولادهم. هل سيكون لي أولاد ذات يوم؟ أنا أيضًا سأكون عجوزًا».

نظر إلى نفسه من جديد في مرآة الرّؤية الخلفيّة.

أوقف بول سيارته أمام الحواجز الأوتوماتيكية، وأخذ التذكرة وقال وهو يغلق زجاج النافذة: «شكرًا!».

وصلت الرحلة أف 83 في موعدها كما أشارت شاشة لائحة الرحلات، نفد صبر بول، بدأ المسافرون الأوائل بالخروج، جماعة صغيرة ربما من مسافري الدرجة الأولى.

* * *

بعد أن نشر روايته الأولى، قرر بول أن يتوقف لفترة عن ممارسة مهنته كمهندس معماري لأن الكتابة منحته حرية فائقة. لم يفعل ذلك على نحوٍ متعمّد. كان ببساطة يشعر بلذة حين يكتب صفحة إثر صفحة قبل أن يكتب كلمة «النهاية»، وحينها يكون قد كتب ما يقرب من ثلاثِ مئة صفحة. كان يشعر كل مساء أنه أسير حكايته، حتى بات لا يخرج من البيت، وغالبًا ما كان يتناول عشاءه جالسًا أمام لوحة مفاتيح كمبيوتره.

في الليل، كان بول يعيش في عالم آخر مُتخيَّل، سعيدًا برفقة شخصياته التي اتخذها أصدقاء له، فحين يكتب كل مستحيل يصير ممكنًا.

وكان حين ينتهي من كتابة نصه يتركه على مكتبه.

وبعد بضعة أسابيع، اضطربت حياته عندما دعا الصديقين آرثر ولورين

مكتبة هي و هو

إلى تناول العشاء في شقته. وأثناء سهرتهم تلقت لورين مكالمة من إدارة المستشفى فاستأذنت بول للذهاب إلى مكتبه، وتركتهما وحدهما، هو وآرثر في الصالة يواصلان الحديث.

ومن فرط مللها من الحوار التليفوني مع محدثها البروفيسور كراوس أمسكت لورين مخطوطة الرواية الموجودة على المكتب وراحت تقلّب صفحاتها، وانغمست في قراءتها حتى لم تعد قادرة على متابعة المكالمة.

وحتى بعد أن أنهى البروفسور الاتصال واصلت لورين قراءة الرواية. مرّ أكثر من ساعة قبل أن يطل بول برأسه في المكتب ليتأكد بأن كل شيء على ما يرام ويفاجئها، ورأى حينها ابتسامة ترتسم على شفتيها.

«هل أزعجكِ؟» سألها بشكل مباغت جعلها تقفز في مكانها.

«إنها رواية رائعة!».

«ألا تعتقدين أنه كان من الممكن أن تطلبي مني الإذن قبل شروعك في قراءتها؟».

«هل بمقدوري استعارتها حتى أتمكن من إتمام قراءتها؟».

«لا يجيب الناس الطبيعيون على السؤال بطرح سؤال آخر!».

«أنت من بدأت بطرح الأسئلة. حسنًا، هل أستطيع استعارتها؟».

سألها بول بارتياب: «هل تعجبك حقًّا؟».

ردت لورين وهي تجمع أوراق المخطوطة: «نعم تعجبني».

ثم حملتها وعادت إلى الصالة، ومرّت أمام بول الواقف ينظر إلى ما تفعله من دون أن تضيف كلمة واحدة.

فقال وهو يلحق بها: «لكن.. هل سمعتِني أقول «نعم»؟».

ثم همس في أذنها بألا تتحدث مع آرثر في هذا الموضوع.

نهض آرثر متسائلًا عمّ يدور.

ردت لورين: «لا أعرف عن أي شي يتكلم. هيا لنذهب؟».

مكتبة هي و هو

وقبل أن تحين الفرصة لـ«بول» أن يقول شيئًا، كان آرثر ولورين على الباب يشكرانه على دعوتهما إلى هذه الأمسية ثم ذهبا.

* * *

مسافرون آخرون يخرجون بأعداد كبيرة من المطار هذه المرة، خرج نحو ثلاثين مسافرًا، لكن ليس من بينهم من جاء لاستقبالهما.

لماذا تأخرا! ماذا يفعلان كل هذا الوقت؟ هل ينظفان الطائرة؟ ما الذي أفتقر إليه منذ مجيئي إلى باريس حقًّا؟ كنت أتشوّق إلى الذهاب في عطلة نهاية الأسبوع إلى المنزل في كارميل، أن أكون بصحبتهما، وأتأمل غروب الشمس على الشاطئ. لقد مضت سبعة أعوام تقريبًا منذ مجيئي إلى باريس. كيف انصرمت هذه الأعوام بهذه السرعة؟ أفتقدهما كثيرًا. المكالمات بالصوت والصورة لا بأس بها، ولكن لقاء مَنْ نحب والإحساس بوجودهم، أجمل بكثير. ثم أنا أودُّ في الواقع التكلمَ مع لورين عما أعانيه من حالات صداع نصفي متكررة فهذا مجال تخصصها الطبي. لكن لا، ستطلب مني الكثير من الفحوص، وهو مجرد صداع في الرأس. لا يمكن لكل مَنْ يعاني من الصداع النصفي أن يفكر في احتمال وجود ورم. وعلى كل الأحوال لو كان ثمة شيء فسأعرفه عاجلًا أو آجلًا. حسنًا، هل سيخرجان من المطار في يومنا هذا؟.

* * *

كان شارع غرين خاليًا من المارة. وبعد أن صّف سيارته الـ«فورد» في موقف السيارات، فتح آرثر باب السيارة للورين وصعدا معًا درجات السلالم حتى الطابق الأخير للمنزل ذي الطراز الفيكتوري حيث كانا يعيشان. قليلون هم الأزواج الذين أقاموا في الشقة نفسها قبل أن يتعارفوا، لكن هذه قصة أخرى...

كان على آرثر أن ينجز التصاميم المعمارية لأحد الزبائن الهامّين.

مكتبة هي و هو

اعتذر للورين وقبّلها قبل الجلوس إلى طاولة العمل. أما لورين فسرعان ما اندسّت تحت الأغطية وغرقت من جديد في قراءة مخطوطة بول.

لمرات عديدة سمعها آرثر وهي تضحك من وراء الجدار. كان، في كل مرة، ينظر إلى ساعته ويلتقط ثانية قلمه الرصاص. وفي وقت متأخر من الليل، سمعها تبكي، نهض، وفتح باب الغرفة برفق ليرى زوجته، جالسة في سريرهما، منهمكة في القراءة.

«ماذا دهاكِ؟» سألها بقلق.

«لا شيء»، أجابت وهي تطوي المخطوطة».

أخذت منديلا ورقيًا من طاولة السرير، واعتدلت في جلستها.

«هل لي أن أعرف ما الذي يجعلكِ حزينة؟».

«لست حزينة».

«هل يعاني أحد مرضاك من وضع سيئ؟».

«لا، أوضاعهم ممتازة».

«ولهذا تبكين؟!».

«هلّا تنام!».

«ليس قبل أن تشرحي لي لماذا لم تنامي أنتِ!».

«أظن أنني لن أستطيع إخبارك».

ظل آرثر في مكانه في مواجهة لورين مباشرة مصممًا على انتزاع بعض الاعترافات منها.

«إنه بول». قالت أخيرًا.

«ماذا؟ هل هو مريض».

«لا، لقد كتب شيئًا...».

«ماذا كتب؟».

«يجب أن أطلب إذنه قبل أن...».

مكتبة هي و هو

«لا حاجة لك بذلك لأنه ليس بيني وبين بول أسرار يخفيها أيٌّ منا على الآخر».

«لا، يبدو أن هناك مثل هذه الأسرار، لا تصرّ وهيا تعالَ لتنام فقد تأخر الوقت!».

في مساء اليوم التالي، كان بول في الوكالة حين تلقى مكالمة من لورين:

«يجب أن أتكلم معك، سأنهي عملي خلال نصف ساعة، سأنتظرك في الكافتيريا التي أمام المستشفى».

تناول بول سترته مرتبكًا، وغادر مكتبه على الفور. التقى بآرثر أمام المصعد. سأله:

«إلى أين أنتَ ذاهب؟».

«سأمر لآخذ زوجتي من عملها».

«هل أستطيع مرافقتك؟».

«هل أنت مريض يا بول؟».

«سأشرح لك في الطريق، أسرع، هيا لا تضيّع الوقت!».

بمجرد ظهور لورين أمام المستشفى، سارع بول للقائها قبل زوجها.

كان آرثر يراقبهما للحظة قبل أن يقرر الالتحاق بهما. لكن لورين قالت لزوجها:

«نلتقي في البيت، يجب أن أناقش بول في موضوع يخصّه».

دخلا الكافيتريا وتركا آرثر بمفرده.

صرف بول النادلة وهو ينظر في وجه لورين، وسألها:

«هل انتهيتِ من القراءة؟».

«أجل، انتهيت البارحة».

مكتبة هي و هو

«هل أعجبكِ ما كتبت؟».

«كثيرًا، وقد اكتشفت أشياء كثيرة تخصّني».

«لربما كان عليَّ أن أطلب موافقتكِ على ذكرها قبل كتابتها».

«كان من المفترض أن تفعل ذلك».

«على أي حال، لن يقرأ شخص آخر غيركِ هذه الحكاية».

«هذا بالضبط ما أردت مناقشته معك. يجب أن تبعثها إلى ناشر، وأنا على يقين أنها ستُنشر».

لم يرغب بول في التحدث عن ذلك لأنه لم يتخيّل للحظة واحدة أن مخطوطة روايته يمكن أن تلفت انتباه دار نشر، كما أنه لم يتقبّل فكرة أن يقرأ أي غريب ما يكتبه.

استخدمت لورين كل الحجج لتقنعه، لكن بول أصّر على موقفه. وعند مغادرته، طلبت منه أن يسمح لها بمشاركة السرّ مع آرثر، لكن بول لم يجبها وكأنه لم يسمع ما قالته.

عند العودة إلى منزلها، أعطت لورين مخطوطة الرواية إلى آرثر، وقالت:

«ها هو السرّ الذي بيني وبين بول. إنها رواية، وبعد أن تنتهي من قراءتها، سوف نتناقش حولها».

جاء الدور على لورين هذه المرة كي تسمع آرثر وهو يضحك مرات عديدة وهو يقرأ رواية بول. ثم أخذت تنتظر بصبر وقد ساد هدوء أعقب الانفعال الذي كان قد اجتاح آرثر في أثناء قراءة بعض الفقرات. وبعد مرور ما يقرب من ثلاث ساعات من القراءة جاء إلى لورين في غرفة الجلوس، فسألته على الفور:

«ما رأيك؟».

«أرى أنها مستوحاة من قصتنا، وقد أعجبتني كثيرًا».

مكتبة هي و هو

«لقد نصحت بول أن يبعث بالمخطوطة إلى أحد الناشرين، لكنه رفض».

«يمكنني أن أفهم ذلك».

***

لقد أصبح نشر قصة بول هوَسًا بالنسبة للطبيبة الشابة، وكلما كانت تلتقيه في أي مكان، أو تتحدث معه على الهاتف، كانت تطرح عليه السؤال نفسه: «هل بعثتَ بمخطوطتك إلى الناشر؟» وفي كل مرة، يجيبها بول «لا»، ويرجوها عدم الإلحاح.

وذات يوم أحد، في نهاية الظهيرة، رنّ هاتف بول لم تكن لورين المتصل بل أحد المسؤولين من دار نشر سيمون وشوستر.

«تظن نفسك مرِحًا يا آرثر، أقلِع عمَّ تفعله!» قال بول منزعجًا.

وردّ الناشر، الذي فوجئ بما سمع، وأخبره أنه انتهى من قراءة رواية أعجبته كثيرًا، ويتمنى لو كان باستطاعته مقابلة مؤلفها.

استمر سوء الفهم، وتمادى بول في ما اعتبره نوعًا من المزاح، وجاراه الناشر في البداية حيث لم يشعر بالضيق، ثم بدا له أن المسألة زادت على حدها فاقترح على بول زيارته في مكتبه في اليوم التالي، ليؤكد له أن الأمر ليس مزحة.

استولى الشك على تفكير بول.

«كيف حصلتَ على مخطوطة الرواية؟».

«بعثها لي صديق من طرفك».

وبعد أن اتفق معه على موعد الزيارة، أنهى الناشر مكالمته. أخذ بول يذرع شقته ذهابًا وإيابًا، ولا تثبت قدماه في مكان واحد. قفز إلى سيارته الـ«ساب» وشقَّ المدينة إلى أن وصل إلى قسم الطوارئ في مستشفى سان فرانسيسكو. فور وصوله، طلب مقابلة الطبيبة لورين على الفور.

مكتبة هي و هو

لكن الممرضة أخبرته أنها لا تجد فيه أي أمارات مرض تستدعي قدومه إلى الطوارئ. لكنه نظر إليها باستغراب مؤكدًا أن في الحياة حالات طارئة أخرى غير الحالات الطبية! ثم لم يمنحها سوى ثانيتين لإبلاغ الطبية لورين عبر الجهاز برغبته في مقابلتها قبل أن يثير فوضى. غمزت الممرضة إلى رجل الأمن. ولكن تُجُنِّب الأسوأ عندما ظهرت لورين ورأت بول فهرعت لمقابلته.

«ماذا تفعل هنا؟».

«هل لديكِ صديق ناشر؟».

«لا»، ردّت وهي تثبّت حذائها.

«هل لآرثر صديق ناشر؟».

«لا، لا أظن».

«أنا على ثقة بأنها واحدة من مزحاتك؟».

«ليس هذه المرة».

«ماذا فعلتِ إذًا؟».

«لم أفعل أي شيء خطأ. يظل القرار في النهاية قرارك».

«أريد أن أفهم ما حدث».

«أحد زملائي لديه صديق ناشر، أعطيته مخطوطة الرواية ليقرأها شخص متخصّص يمكنه أن يعطيني رأيًا مستقلًا».

«ليس لديكِ الحق في ذلك».

«تصرّفتَ ذات مرة وساندتني. وقفت إلى جانبي من دون أن تطلب مني إذنًا، واليوم، أفعل معك الأمر نفسه. ماذا في ذلك؟ وأكرر لك القرار في النهاية قرارك أنت».

«أي قرار؟».

«قرار مشاركة القرّاء روايتك. أنتَ لست همنغواي، لكن بمقدور قصتك أن تبعث بعض الفرح في نفوس مَن يقرؤونها. وهذا في ذاته أمر

جيد بالنظر إلى الواقع الذي نعيشه. هذا كل ما في الأمر والآن سأتركك لمواصلة عملي».

التفتتْ قبل أن تتخطى باب قسم الطوارئ، وقالت له:

«وقبل كل شيء، أنا لا أنتظر منك شكرًا».

«أشكركِ على ماذا؟».

«بول، اذهب إلى موعدك ولا تكن عنيدًا. وبالمناسبة، لم أخبر آرثر بأي شيء».

ذهب بول لمقابلة الناشر الذي استحسن روايته، واستمع إلى مقترحاته. وفي كل مرة يسمع كلمة «رواية»، يجد صعوبة كبيرة في التعامل معها باعتبارها الحكاية ذاتها التي استولت على لياليه في فترة لم تكن فيها حياته سعيدة.

وبعد مرور ستة أشهر صدرت الرواية. وفي اليوم التالي لتوزيعها في المكتبات، التقى بول في المصعد باثنين من زملائه المهندسين المعماريين، وهما يحملان كتابه الجديد. وقاما بتهنئته على كتابه، بينما بقي بول متجمّدًا في مكانه في انتظار أن يخرجا لكي ينزل إلى الطابق الأرضي. ذهب ليجلس في المقهى التي اعتاد أن يتناول فيها فطوره كل صباح فطلبت منه النادلة أن يوقّع على نسختها. ارتجفت يد بول وهو يكتب لها الإهداء. دفع حسابه، وعاد إلى منزله، ثم شرع في إعادة قراءة روايته. وكلما قلبَ صفحة، استرخى غارقًا في مقعده، متمنيّا أن يذوب فيه فلا يخرج منه أبدًا، كان قد سرد في هذه الحكاية جزءًا من نفسه، من طفولته، من أحلامه، من آماله وكذلك من إخفاقاته. لم يفترض أن يقرأها الغرباء ذات يوم. وأسوأ من ذلك أن يقرأها معارفه وأصدقاؤه الذين يعمل معهم. مكث بول مبهوتًا ومستسلمًا، هو الذي يعتبر ودّه وطريقته في الحديث بصوت عالٍ مع الآخرين غطاءً يحجب حقيقة حياته الشديد

مكتبة هي و هو

الذي يصل إلى حد المرض، وكان كل ما يتمناه في ذلك الوقت أن يصبح شخصًا غير مرئي على غرار أحد شخوص روايته.

وصل به الأمر حدّ أن خطر على باله أن يشتري جميع نسخ روايته المتداولة لكي لا يقرأها أحد. هرع إلى التليفون، وقبل أن يتحدث إلى ناشره عن تلك الفكرة، بدأ الأخير حديثه بتهنئته على المقال الذي نُشر عن روايته هذا الصباح في صحيفة «سان فرانسيسكو كرونيكل». صحيح أن الناقد قام بسلخه قليلًا، وهذا أمر لا مفر منه، ولكن المقال كان ترويجًا جميلًا للرواية. وعلى الفور أنهى بول المكالمة من دون أي كلمة إضافية وهرع إلى أول كشك لبيع الصحف. لقد تطرّقت المقالة إلى الأخطاء التي تضمنتها أي رواية أولى، والأسوأ بالنسبة لبول، أنها هنأت المؤلف ونعتته بصاحب الأحاسيس المرهفة. «ففي هذا العصر حيث يسود توجّه يحتقر كل القيم وتكون له الغلبة على كل ما يمكن أن ينمّ عن فكر ما، ربما يمكن اعتبار الرواية فعل مقاومة يتسم بالشجاعة»، هكذا ختم الصحفي مقاله. شعر بول وكأنه قد مات، ليس الموت المفاجئ، وهو ما قد يريحه، بل شعر باحتضار بطيء وخانق.

لم يتوقف هاتفه عن الرنين، أرقام مجهولة تظهر على الشاشة، وكان يتجاهل الرّد عليها، ثم يضطر لإقفال هاتفه، والاختفاء. لزم بيته ولم يحضر حفلة الكوكتيل التي نظّمها ناشره، ولم يذهب إلى المكتب طوال الأسبوع. وذات مساء، قدّم له عامل البيتزا نسخة من روايته ليوقعها له، قائلًا إنه تعرّف على صورته التي رآها على شاشة التلفزيون بالأمس. حدث الشيء ذاته مع موظف الصندوق في البقالة، وهو ما جعل بول يمكث في يبته ولا يغادره، إلى أن دق آرثر على باب شقته وأخرجه من مخبئه بالقوة. على العكس من بول، كان آرثر مبتهجًا، ويحمل أخبارًا سارّة.

حظيت أصالة قصته باهتمام وسائل الاعلام. وجمعت مورين، المساعِدة في الوكالة، كل قصاصات الصحف بكل محبة، وكان معظم المتعاملين مع الوكالة قد قرأوا الرواية واتصلوا هاتفيًا للتهنئة.

وسعى أحد منتجي الأفلام للاتصال ببول في مكتبه، أما الخبر الأهم الذي احتفظ به آرثر للنهاية هو ما أعلنه له أحد القائمين على مكتبة «بارنز ونوبل»، التي يتردد عليها بانتظام، من أن الرواية تلقى إقبالًا منقطع النظير فهي «تُباع مثلما يباع الخبز» قال له! كما أن نجاحها اجتاح منطقة «وادي السيليكون»، وهذا يؤكد أن الكتاب سينتشر على نطاق واسع.

في شرفة المطعم أشار آرثر لبول بضرورة أن يحلق ذقنه، والاعتناء بمظهره قليلًا، والاتصال بناشره الذي ترك خمسًا وعشرين رسالة في مكتبه، وأن عليه أن يعانق السعادة التي منحتها له الحياة، بدلًا من أن يظل يحمل هذا الوجه العابس الحزين.

ظلَّ بول صامتًا وأخذ نفسًا عميقًا وقال في نفسه إن شعوره بالضيق في الأماكن العامة سيضاعف لا شك من سوء حالته، ثم تلقى ما اعتبره الضربة القاضية حين تعرّفت عليه امرأة فى المقهى وتوقفت عن فطورها لتسأله هل تحكي روايته سيرته الذاتية.

بنبرة جدية، أعلن بول لآرثر أن عليه الاهتمام بالعمل في المكتب لأنه، وبعد تفكير طويل خلال هذا الأسبوع، قرّر أن يترك العمل لمدة عام.

«وماذا ستفعل؟ سأله آرثر بقلق!».

سأختفي، فكر بول. وحتى لا يعرّض نفسه لمحاضرة أخلاقية ذكر حجة لا يمكن لآرثر أن يواجهها: أخبره أنه سيختفي ليكتب رواية ثانية، أو على الأقل ليحاول أن يكتب هذه الرواية. ولم يكن لآرثر أن يعترض، فقال:

مكتبة هي و هو

«لو كانت هذه بالفعل رغبتك فلا مانع عندي، فأنا لا أنسى أني ذهبتُ للعيش في باريس لبعض الوقت عندما كنتُ أمرّ بظروف سيئة، وكنت أنتَ من تكفّل بتدبير شؤون أعمالنا. لكن إلى أين تريد الذهاب؟».

ومن دون تفكير أجاب بول الذي لم يكن لديه أي فكرة عن الوجهة التي سيقصدها:

«إلى باريس. فكثيرًا ما امتدحت لي عجائب مدينة النور هذه، حاناتها، وجسورها، وأحياءها التي تفيض بالحياة، والباريسيين... ومن يدري فقد ألتقي، إذا ما توفر ليّ بعض الحظ، ببائعة الزهور التي حدثتني كذلك عن فتنتها».

«ربما»، ردّ آرثر باقتضاب، «ولكن ليس كل ما قلته لك رائع كما تظن».

«هذا لأنك لم تكن حينها في أحسن أحوالك. أما أنا، فإنني بحاجة فقط إلى تغيير جو.. من أجل تحفيز قدراتي الإبداعية، أفهمت ما أقصده؟».

«حسنًا، هذا جيد إذا كان من أجل تحفيز قدراتك الإبداعية! متى تنوي الذهاب؟».

«لننظّم أولًا عشاءَ عندك هذا المساء، وندعو إليه بيلغيز وزوجته حتى تكتمل كل العصابة! ستكون حفلة الوداع، ثم غدًا، سأذهب إلى فرنسا والحياة الجميلة!».

أدخل قرار بول في الرحيل الحزن إلى قلب آرثر، وتمنى لو اعترض عليه باعتباره قرارًا متعجّلًا، وأنه من الأفضل للوكالة التي يعمل فيها أن ينتظر بضعة أشهر قبل أن يشرع في تفرُّغه هذا، لكن الصداقة حالت دون ذلك. فلو كان هو من يطلب ذلك لبذل بول كل ما في وسعه من أجل مساعدة صديقه، وهو ما برهن عليه في الماضي. أما في ما يخصّ سير العمل، فستسير الأمور وسيجد طريقة لذلك.

مكتبة هي و هو

بعد أن حيّا آرثر، عاد بول إلى منزله، في حالة رعب كامل. كيف خطر على باله التفكير في مثل هذا الأمر؟ أن يستقر في باريس، وبمفرده!

بعد أن صعد إلى شقته مسرعًا، بدأ يبحث عن مبرّرات لهذا الهروب المجنون والمستبعد الحدوث. فكّر أنه إذا كان آرثر قد فعلها من قبل، فلمَ لا يفعلها هو بدوره. ثم هناك مبرّر ثان أكثر إقناعًا من سابقه هو تشوّقه لرؤية الباريسيات الفاتنات. ويتعلق المبرّر الثالث باحتمال أن يكتب بالفعل رواية أخرى.. لن ينشرها.. أو ربما ينشرها في الخارج فقط، ثم بوسعه العودة ثانية إلى سان فرانسيسكو بمجرد أن تستقر الأمور. في آخر المطاف، ستتلخص كل هذه المبررات تحت عنوان واحد: كاتب.. أمريكي.. أعزب.. في باريس!

وفي باريس، حيث يعيش منذ سبعة أعوام، كتب بول خمس روايات أخرى. وبعد أن أرهقته المغامرات مع الباريسيات المتقلبات المزاج اللاتي استحال عليه فهمهن بالمرة، اختار حياة العزوبية، ما لم تكن العزوبية هي التي اختارته.

لم تحقّق رواياته الخمس النجاح الذي كان يأمله، على الأقل، لا في أوروبّا ولا في الولايات المتحدة، بينما ولسبب يجهله، حقّقت كتبه نجاحًا باهرًا في آسيا، وخصوصًا في كوريا.

منذ سنوات قليلة، كان بول على علاقة غرامية مع كيونغ مترجمته الكورية التي كانت تزوره مرتين في العام وتبقى لأسبوع لا أكثر في باريس، كان متيَّمًا بها لكنه لم يعترف بذلك. وكانت مشكلته الوحيدة معها أنه لم يكن يجد الكلمات المناسبة عند التواصل معها.

كانت كيونغ تحب لحظات الصمت، وكان بول يرتعب منها. كم فكّر لو أنه يستطيع أن يمحو بقلمه تلك اللحظات، تمامًا كما يفعل القلم نفسه حين يمحو بالكتابة الفراغات البيضاء. كان يمضي كل عام مع كيونغ

مكتبة هي و هو

أربعة عشر يومًا ونصف نهار، من ضمنها وقت الذهاب والمجيء إلى المطار. وحين تكون كيونغ معه، كان بول يتأمّلها لساعات طويلة، من دون أن يستطيع أن يقرّر إن كانت جميلة حقًّا، أم إنها تبدو هكذا في نظره هو فقط. كان وجهها متفرّدًا وكانت نظراتها تزداد حدّة حينما كان يضاجعها، حتى إنه كان يتساءل أحيانًا هل كان يضاجع كائنًا فضائيًّا؟!

لم يتواجدا معًا كثيرًا، فقد كان لكل منهما عاداته الخاصة به. كانت تحب أثناء رحلاتها إلى باريس أن ترتاد صالات السينما في شارع أبولينير، وكان مبنى السينما عندها أهم من الفيلم الذي تعرضه. كانت تحب أن تعبر جسر «ليزار»، وتتناول البوظة في محل «بيرتيون» حتى في عزّ الشتاء. وكانت تحب قراءة الصحف الفرنسية، والتجول في المكتبات، والتنزّه في منطقة «الماريه»، وكانت تحب أن تجوب الشوارع الصغيرة في حي «لوهال»، وأن تصعد سيرًا على الأقدام إلى شارع «بيلفيل». واعتادت كيونغ أن تتناول الشاي في الهواء الطلق في حديقة متحف «لافي رومونتيك» بشارع «شابتال»، وأن تزور مجموعة أعمال «كاموندو» في شارع «مونسو»، حيث كان بول يهدي إليها باقة من الزهور قبل عودتهما إلى منزله. وكانت تحب أن تختار بنفسها الأجبان من على طاولة «فانو»، وهو رجل له خبرة كبيرة في هذا المجال يدير محلًا للبقالة أسفل بيت بول. كانت كيونغ تحب أن ينظر إليها بول وأن يشتهيها، أكثر مما كانت تحب كتبه، رغم أن تلك الكتب كانت الرابط الذي يجمعهما.

شغلت كيونغ فكر بول خصوصًا عند غيابها عنه. فما سرّ انجذابه إليها إلى هذه الدرجة، ولماذا كان يفتقدها كثيرًا؟

كانت تأتي إليه في باريس بمجرّد أن يُتم كتابة إحدى مخطوطاته. كانت تتوهج دائمًا بنضارة غريبة، متجاهلة حالة التعب والإنهاك التي تصيب أي شخص طبيعي قطع إحدى عشرة ساعة من الطيران. تتناول

مكتبة هي و هو

غداءً بسيطًا: سلطة بيض بالمايونيز، وشطيرة مع بعض الزبدة، وشيئًا من عصير الفواكه، وربما تعتبر هذه الوجبة في حد ذاتها بمنزلة دواء ساحر ضد فارق التوقيت، وتلك مسألة على العلم أن يثبتها! وكان الغداء نفسه الذي كانت تتناوله دائمًا في مقهى «لو مارشيه» الكائن عند زاوية تقاطع شارع «لا بريتاني» مع شارع «شارلو» -عليها أن تعرف مصدر الدجاج مُنتِج البيض الذي تتناوله تحسُّبًا لإغلاقه يومًا ما! وبعد الغداء يصعدان معًا إلى شقة بول. وبعد أن تستحم تستقر كيونغ أمام طاولة الكتابة من أجل البدء بقراءة ما كتبه بول. وكان هذا الأخير يجلس قبالتها عند أسفل السرير ويراقبها. لكن كان هذا بمنزلة تضييع للوقت لأنها تبقى غير مبالية به أثناء القراءة. وبدا له أن استحسانها للرواية سيكون شرطًا أساسيًا للارتماء بين أحضانه، وهكذا هي لن تقول «سنكون أكثر من مجرد أصدقاء» إلا بعد أن تقول «لقد أحببت ما كتبته»! ولهذا السبب كان بول ينتظر تعليقًا صريحًا عما كتبه، من مترجمته التي يدين لها بالجزء الأساسي من إيراداته المالية بسبب ما يعود إليه من حقوق تأليف، كما كان ينتظر كذلك لحظة توقفها عن القراءة واستسلامها لعلاقتهما الحميمية».

كان يحب الكتابة، والإقامة في الخارج. وكان ينتظر زيارة كيونغ له مرة كل ستة أشهر، وباستثناء بعض العزلة التي كان يشعر بها بقية السنة كضريبة لاختياره هذا، كان بمقدوره أن ينظر إلى حياته الجديدة باعتبارها شبه مثالية.

* * *

انفتحت الأبواب الزجاجية وتنفس بول الصعداء.

كان آرثر يدفع عربة الحقائب بينما كانت لورين تلوّح بيدها بقوة.

مكتبة هي و هو

الفصل 4

فتحت ميّا عينيها ومطّت جسدها. كانت بحاجة إلى دقائق معدودة لكي تدرك أين هي جغرافيًّا وعاطفيًّا. غادرت السرير، وفتحت باب الغرفة باحثة عن ديزي لكنها لم تجدها.

كان فطور الصباح ينتظرها على طاولة المطبخ، مرفقًا بكلمة، على صحن قديم من الخزف.

«كنتِ بحاجة إلى النوم. الحقي بي في المطعم عندما تستطيعين».

أشعلت ميّا الغلاية الكهربائية وتقدمت نحو النافذة. كان المنظر أكثر روعة في النهار. تساءلت كيف ستمضي نهارها والنهارات الآتية. نظرت إلى الوقت على مؤشّر الساعة المثبّتة على الفرن وحاولت أن تتخيل ما يمكن أن يفعله زوجها ديفيد، هل يشعر بالوحدة أم أنه سينتهز تمامًا فرصة غيابها ليفعل ما يريد؟ هل كانت على صواب أن تترك له الحرية كما فعلت على أمل أن يشتاق إليها في النهاية؟ ألم يكن من الأفضل أن تظل حاضرة وأن تحاول استعادته من جديد؟ مَنْ يمتلك مفاتيح حل هذا النوع من الألغاز؟

مكتبة هي و هو

لم تكن ميّا تعرف ماذا تريد، ولكنها كانت تعرف ما لا تريد: الصمت والشك والانتظار. كانت تأمل في تنفيذ مشاريع مستحيلة لكن مع ذلك تمنحها الرغبة في الاستيقاظ صباحًا، واستعادة شهيّة الحياة والكف عن الشعور يوميًّا بالتوتر.

كانت السماء غائمة لكنها لم تمطر، وكانت هذه بداية جيدة لليوم. لن تلحق بديزي، بل ستفضّل أن تتنزّه وحدها في أزقة مونتمارتر، تتسوّق في محلات الأشياء المستعملة، ولم لا تجلس أمام أحد رسامي الكاريكاتير الموجودين في المنطقة ليرسم لها صورة؟ كانت تلك أمنية عادية جدًّا، لكن هذا تحديدًا ما أرادته. هنا، على العكس من إنجلترا، لن يتعرف الناس عليها. وستنتهز هي هذه الحرية لكي تفعل ما يحلو لها.

بحثت في حقيبة السفر عما ترتديه من ملابس من دون أن تتمكن من مقاومة الفضول في اكتشاف شقة أفضل صديقاتها. راقبت المكتبة بلونها الأبيض وقد تقوست رفوفها تحت ثقل الكتب. اختلست سيجارة من العلبة المنسية على الطاولة الصغيرة، وهي تبحث عن أبسط دليل يكشف عن هوية صاحبها. أي نوع من الرجال كان؟ هل كان صديق ديزي أم عشيقها؟ وأنعشت فكرة أن تعيش ديزي حياتها مع شخص ما في حد ذاتها رغبتها في الاتصال بديفيد وأن تعود بالزمن للوراء، قبل هذا التصوير الذي استولت بسببه ممثلة أدوار ثانوية على تفكيره، وربما قد حدث ذلك من قبل، لكن ما رأته بنفسها كان قاسيًا للغاية عليها. أشعلت سيجارةً أخذت تراقبها وهي تحترق بين أصابعها.

دخلت إلى الغرفة العلوية وجلست إلى مكتب ديزي، وكان كمبيوترها المحمول مفتوحًا، لكن يتطلب استخدامه معرفة كلمة السر.

أخذت هاتفها وبدأت في محادثة صديقتها عبر خدمته النصية:

«ما كلمة السر؟ إني بحاجة إلى قراءة رسائلي الإلكترونية».

مكتبة هي و هو

«ألا تستطيعين قراءتها على هاتفك؟».
«لا أستطيع عندما أكون في الخارج».
«بخيلة!».
«هل هي كلمة السّر؟».
«هل تقولين ذلك عن قصد؟».
«ماذا؟».
«إنني أشتغل. الثوم المُعمر».
«إنها كلمتي السرية».
«كلمتك السرية: إنني أشتغل الثوم المُعمر؟».
«...».
«بل الثوم المُعمر فقط، يا غبية!».
«كلمة سر سيئة».
«لا ليست كذلك وأرجوكِ لا تعبثي بملفاتي».
«لست من هذا الصنف».
«بل أنتِ تحديدًا من هذا الصنف».

وضعت ميّا الهاتف وكتبت كلمة السر. فتحت بريدها الإلكتروني ولم تعثر سوى على رسالة من كريستون سألها فيها عن مكانها ولماذا لا ترد على مكالماته. ونقل لها اقتراحًا من مجلة أزياء بأن تجري تحقيقًا مصورًا عنها في بيتها، ومعرفة رأيها بأسرع ما يكون.

وكتبت له:

عزيزي كريستون،

غادرت لبعض الوقت. أعتمد على تكَتُّمك فلا تخبر أحدًا، وعندما أقول لا تخبر أحدًا، فأنا أقصد (أيَّ أحدٍ) أيًّا كان. ولكي أجيد لعب الدور الذي تجبرني على القيام به،

مكتبة هي و هو

أحتاج أن أكون وحيدة، من دون توجيهات من مخرج، أو مصور، أو إحدى مساعداتك، أو حتى توجيهاتك شخصيًّا. منذ عامين لم أرفض شيئًا، لكن الآن أرفض اقتراح مجلة الأزياء لأني لا أرغب في ذلك. فمن بين قائمة القرارات التي اتخذتها مساء أمس على متن قطار اليوروستار، هو ألا أخضع لأحد من الآن فصاعدًا. أريد أن أبرهن لنفسي أنني قادرة على ذلك ولو لبضعة أيام فقط. الطقس جميل في باريس، سأذهب للتنزه، سأزوّدك قريبًا بأخباري، وسأكون متكتمة في شتى الظروف، لا تقلق.

المخلصة

ميّا

قرأت ما كتبت وضغطت على زر «الإرسال».

نقرت على علامة تبويب صغيرة أثارت فضولها في أعلى الشاشة. فتحت عينيها باتساع حين اكتشفت صفحة استقبال خاصة بأحد مواقع التعارف. كانت قد تعهدت بعدم العبث بملفات ديزي، ولكن عندما أعادت التفكير في ذلك، وجدت أن وعدها لم يكن صريحًا بما يكفي لتنفيذه، ثم إن ديزي لن تعلم عن الأمر شيئًا.

تفحّصت بعض سمات وأوصاف الرجال الذين اختارتهم صديقتها، ضحكت عاليًا وهي تقرأ بعض الرسائل، ووجدت رسالتين تستحقان التوقف عندهما. لكنها ارتأت مع شعاع الشمس الذي يتسّرب إلى غرفتها أن تغادر هذا العالم الافتراضي الذي وجدته مزعجًا، لتواجه العالم الآخر الذي ينتظرها بالخارج. أغلقت الكمبيوتر واستعارت معطفًا خفيفًا كان مُعلقًا في المدخل.

عند خروجها من المبنى، صعدت الشارع متوجهة نحو ساحة

مكتبة هي و هو

«تيرتر»، توقفت أمام واجهات أحد المعارض، ثم واصلت طريقها. نظر إليها زوجان سائحان، وأشارت المرأة إليها بإصبعها وسمعتها تتحدث لزوجها، قائلة: «أؤكد لك أنها هي، اذهب واسألها!».

سارعت ميّا الخطى ودخلت أول مقهى في طريقها. تسمّر الزوجان أمام واجهة المقهى الزجاجية، التصقت ميّا بجوار منضدة المقهى وطلبت قنينة ماء «فيتيل»، وعيناها تحدّقان في المرآة التي تعكس صورة الشارع. كانت تنتظر أن يسأم الزوجان المتبلِّدا الإحساس، فتدفع حسابها وتغادر.

عند وصولها إلى ساحة «تيرتر»، كانت تراقب رسامي الكاريكاتير المنشغلين بالرسم عندما تكلم معها أحد الشبان. كانت ابتسامته طيبة وذا مظهر جميل، ويرتدي سروالًا من الجينز.

«أنتِ ميليسا بارلو، أليس كذلك؟ شاهدت جميع أفلامك! قال لها بلغة إنجليزية ممتازة».

ميليسا بارلو كان الاسم الفني لميّا غرينبرغ.

«أتمثلين فيلمًا في باريس أم تقضين عطلتك؟» تابع حديثه.

ابتسمت ميّا.

«أنا لست هنا في باريس، أنا في لندن. أنت تتصور أنك قابلتني، ولكن لست أنا من تصورته، إنما أنت التقيت امرأة تشبهني».

«معذرة، لا أفهم». ردّ محترسًا.

«أنا التي أطلب منك أن تعذرني، فما قلته لا يمكن أن تفهمه، لا تغضب مني لو كنتُ قد خيّبتُ ظنك».

«كيف يمكن لميليسا بارلو أن تخيّب ظني ما دامت في إنجلترا؟!».

ثم حيّاها الشاب باحترام، وبعد أن مشى خطوات استدار نحوها وقال:

«العالم صغير، لو صادفك الحظ السعيد وصادفتها في شوارع لندن أرجو أن تخبريها على لساني أنها ممثلة رائعة».

«سأفعل ذلك ولا شك أن هذا سيُفرحها للغاية».

ورأته ميّا يبتعد.

«إلى اللقاء». تمتمتْ.

بحثت عن نظاراتها الشمسية في حقيبتها، وضعتها وقطعت الطريق باتجاه صالون تجميل. وخمنت أن كريستون سيعنّفها بشدة على ما ستُقْدِم على فعله ومنحتها هذه الفكرة في ذاتها الرغبة في تنفيذ خطتها. دفعت الباب، واسترخت على المقعد ثم خرجت بعد ساعة، بشعر قصير بنّي اللون.

ثم عمدت إلى اختبار خطتها، جلست على مدرّجات كنيسة «القلب المقدس» وانتظرت. وعندما توقفت سيارة مليئة بالسيّاح في الساحة تشير لوحتها إلى أنها قادمة من بريطانيا العظمى، اقتربت ميّا من السيّاح الذين هبطوا منها وسألت مرشدهم عن الوقت. كان عددهم نحو ستين شخصًا ولم يتمكن أحدهم من التعرّف عليها. هنّأت في نفسها الرجلَ الذي تولى قص وتصفيف شعرها، الذي منحها وجهًا جديدًا. وهكذا تحولت إلى مجرد امرأة إنجليزية بسيطة تزور باريس، امرأة لا يعرفها أحد.

* * *

دار بول مرتين حول البيوت حيث يقطن لأجل أن يوقف سيارته وانتهى به الحال بالوقوف صفًّا ثانيًا بمحاذاة سيارة أخرى. استدار إلى آرثر ولورين، وابتسم لهما ابتسامة عريضة.

«حسنًا، هل تشعران كثيرًا بالغربة؟».

«من طريقة قيادتك، لا». أجاب آرثر.

سأل بول لورين: «هل حكيتِ له عن تلك الليلة الي أمضيتُ فيها ساعتين منكمشًا تحت طاولة العمليات بسببه؟».

مكتبة هي و هو

رد آرثر: «أجل، عشرين مرة، لماذا؟».

«بلا سبب، خذ المفاتيح، البيت في الطابق الأخير، اجلبا حقائبكما، سوف أركن السيارة في الجراج».

وصل لورين وآرثر إلى غرفتهما وأفرغا حقائبهما.

«خسارةٌ أنكما لم تصطحبا «جو»». تنهّد بول وهو يدخل.

شرحت لورين: «الرحلة طويلة على طفل في مثل سنّه، ثم إنه سعيد عند عرّابته».

«سيكون أكثر سعادة لو يكون مع عرّابه».

تدّخل آرثر قائلًا: «نحن نحلم بقضاء عطلة كعاشقَيْن».

«ربما، لكن أنتما عاشقان منذ فترة طويلة، أما أنا، فلا أرى كثيرًا ابني بالمعمودية».

«عد ثانيةً إلى سان فرانسيسكو وستراه كل يوم».

«هل ترغبان في تناول شيء؟ لا أدري أين خبأت هذه الكعكة؟» غمغم بول وهو يُفتش في رفوف مطبخه. «أنا واثق بأنني اشتريت كعكة».

تبادل لورين وآرثر نظرة.

قدّم لهما فنجانين من القهوة وحدَّثهما بالتفصيل عن البرنامج الذي أعدّه لهما.

ولأن الطقس سيكون مشمسًا سيخصّص اليوم الأول لزيارة معالم باريس الشهيرة: برج إيفل، قوس النصر، جزيرة المدينة، كنيسة القلب المقدس، وإذا لم يتّسع الوقت لذلك، فمن الممكن استئناف البرنامج في اليوم التالي.

«كعاشقَيْن...». ذكّره آرثر.

«بالتأكيد». أضاف بول، بقليل من الانزعاج.

كانت لورين بحاجة إلى الراحة قبل أن تقوم بهذا الماراثون الكبير.

مكتبة هي و هو

لا بد أن يكون لدى الرجلين كثير من الحكايات يريدان أن يتبادلاها، لذا فقد طلبت منهما الغداء من دونها.

اقترح بول أن يأخذ آرثر إلى مقهى قريب جدًّا من شقته، خصوصًا أن شرفة المقهى تغمرها الشمس في الظهيرة.

ارتدى آرثر قميصه وتبعه.

حين جلسا إلى الطاولة، بقي الصديقان يتبادلان النظرات من دون أن يقولا شيئًا. كأن كل واحد منهما ينتظر الآخر لكي يبادر بالحديث.

وفي النهاية كان آرثر هو من بدأ، سأله:

«هل أنت سعيد هنا؟».

«نعم، أظن».

«تظن؟».

«من بمقدوره الجَزْم بشعوره الكامل بالسعادة؟».

«ربما هذه العبارة تليق بكاتب ما، لكن هنا، أنا الذي أطرح عليك السؤال».

«بماذا تريدني أن أجيب؟».

«بالحقيقة».

«إنني أحب مهنتي، حتى لو شعرت أحيانًا بأنني قد انتحلت صفة الكاتب. فكما تعلم أنني أنتحل صفة لم أكتب سوى ست روايات. يبدو أن كثيرًا من الكتّاب يشعرون بهذا، وبعضهم اعترف لي بذلك».

«هل تخالطهم كثيرًا؟».

«لقد اشتركت في نادي للكتّاب بالقرب من هنا، أذهب إليه ليلة في الأسبوع، نثرثر ونتكلم عما يواجهنا من عقبات، ثم نذهب لقضاء بقية الأمسية في حانة. إنه أمر غريب! يبدو هذا سخيفًا».

«لن أعارضك في هذا».

مكتبة هي و هو

«وأنت، كيف حالك؟ هل المكتب يعمل جيدًا».

«كنا نتحدث عنك».

«إنني أكتب، وهذا هو انشغالي الوحيد في الواقع. أشارك في بعض النشاطات المتعلّقة بالكتب، وأحيانًا أشارك في حفلات توقيع لكتبي في المكتبات. ذهبت إلى ألمانيا وإيطاليا في العام الماضي، حيث تُباع كتبي بشكل محدود. أذهب إلى صالة الرياضة مرتين في الأسبوع، أكره ذلك، ولكن بسبب الطريقة غير المنتظمة في تناول طعامي يجب ممارسة الرياضة. باستثناء ذلك.. أكتب، لكن لقد سبق وقلت هذا، أليس كذلك؟!».

أطلق آرثر صفيرًا بنبرة ساخرة، وعلّق: «يبدو لي ذلك مُفرحًا للغاية».

«لا أظن، لكنني أفرح كثيرًا في الليل. عندما ألحق بشخوصي الروائية، نعم حينها أسعد بالحياة».

«هل تعاشر امرأة؟».

«نعم ولا. فهي لا توجد هنا طوال الوقت، بل إنها لا توجد أبدًا لكن لا أتوقف عن التفكير فيها، أنت تعرف مثل هذه الأمور، أليس كذلك؟».

«ومَنْ تلك المرأة؟».

«مترجمتي الكورية. يدهشك هذا، أليس كذلك؟» صاح بول بابتهاج مصطنع. «أجل، يبدو أنني مشهور في كوريا رغم أنني لم أذهب إليها أبدًا، لأنني أرتعب من ركوب الطائرة، ولم أتعافَ بعدُ من الرحلة التي أوصلتني من سان فرانسيسكو إلى باريس».

«حصل هذا منذ سبع سنوات!».

«لقد كان ذلك وكأنه قد حدث بالأمس، أتذكّر جيدًا ما مررت به من اهتزازات أثناء تحليق الطائرة طوال إحدى عشرة ساعة. كان الأمر متعبًا للغاية».

«رغم ذلك سيتوجب عليك أن تعود ذات يوم».

«ليس مؤكّدًا، فقد حصلت على إقامتي. وربما سأسافر حينها على متن باخرة».

«وهذه المترجمة؟».

«إنها امرأة رائعة، مع أنني لا أعرفها معرفة عميقة، فإني ازددّت تعلقًا بها عامًا بعد عام. العلاقات عن بُعد ليست سهلة أبدًا».

«أشعر أنك تعاني من الوحدة يا بول».

«ألم تكن أنت من قلت لي ذات يوم بأن الوحدة شكل من أشكال الرفقة؟ ثم لنتوقف عن الحديث عني! ماذا عنك أنت؟ دعني أرَ صور «جو»، مؤكد أنه كبر كثيرًا».

جلست امرأة رائعة على الطاولة المجاورة لهما. لم يعِرها بول أي اهتمام، وهو ما أقلق آرثر، وجعله ينظر نحو بول باستغراب، فقال بول:

«لا تنظر إليّ هكذا، لقد مررت بمغامرات أكثر مما تتصور، وبعد ذلك ظهرت كيونغ! الأمر معها مختلف، أشعر معها بأنني على طبيعتي ولا أمثّل أي دور ولا بأنني مُجبر على ممارسة الإغواء. لقد تعلّمَت أن تعرفني من خلال كتبي، وهذا ليس بالشيء الجيد لأنني أظن أنها لم تنل إعجابها».

«لم يجبرها أحد على ترجمتها».

«ربما تضيف إليها أشياء لكي تثير غضبي، أو لتدفعني إلى تطوير نفسي ككاتب».

«لكنك رغم زياراتها تظل وحيدًا!».

«ستظن أنني أضيّع عمري مؤكّدًا ما تقوله أنت من عبارات، فأنت قلت من قبل أن بوسعنا أن نحب لكن نظل نشعر بالوحدة».

«لكنك توافقني على أن وضعي كان استثنائيًّا نوعًا ما».

«وضعي أيضًا استثنائي».

مكتبة هي و هو

«أنت مَنْ يكتب، وعليك إذًا أن تحصر قائمة بالأشياء التي تجعلك سعيدًا».

«لكنني سعيد، يا إلهي!».

«نعم أنت تبدو سعيدًا!».

«سُحقًا، يا آرثر، لا تبدأ بتحليلي نفسيًا، أنا أكره هذا، وأنت لا تعرف شيئًا عن حياتي».

«كلٌّ منا يعرف الآخر منذ فترة المراهقة، لا أحتاج إلى توضيح مفصَّل لأخمّن أحوالك! هل تتذكر ما كانت تقوله أمي؟».

«قالت أمك أشياء كثيرة. بالمناسبة، أرغب في استخدام بيت كارميل، الذي لم أزُرْه منذ مدة طويلة، كمكان أساسي تدور فيه روايتي المقبلة».

«وما يمنعك من أن تفعل؟!».

«إنَّ ما أشتاق إليه كثيرًا»، واصل بول، «هي جولاتنا إلى «غيراردلي»، وتسكّعنا على قمة القلعة، وسهراتنا ومشاداتنا في المكتب، وطريقتنا التي كنا نستشرف فيها المستقبل في كل نقاش والتي لم تفضِ إلى أي شيء...».

«لقد التقيت بـ«أونيغا»».

«هل حدثَتْك عني؟».

«نعم، أخبرتها أنك تعيش في باريس».

«هل ما زالتْ متزوّجة؟».

«لم تكن تضع خاتم الزواج».

«ما كان ينبغي لها أن تهجرني. لعلمك هي كانت غيورة من صداقتِنا». أضاف بول مبتسمًا.

***

لمحت ميّا رسامي الكاريكاتير في ساحة «تيرتر» واختارت واحدًا منهم. رأته ودودًا بل وسيمًا بالأحرى، وكان يرتدي سروالًا من القماش،

مكتبة هي و هو

وسترة صوفية، وقميصًا أبيض. جلست قبالته على المقعد القابل للطيّ وطلبت منه أن يكون مخلصًا في رسمها بقدر الإمكان.

قال رسام الكاريكاتير بصوت خشن: «الحب المخلص الوحيد هو حب الذات، كما يقول «غيتري[1]»».

«لقد كان على حق».

«هل أنتِ تعيسة في الحب».

«لماذا تطرح عليَّ هذا السؤال؟».

«لأنك وحيدة، ولقد خرجت للتو من مصفف الشعر. نقول عادة «قصةُ شَعْرٍ جديدة لحياة جديدة»».

حدّقت ميّا به، ثم قالت:

«أنت تعبّر بالاقتباسات دائمًا؟».

«أرسم البوريتريهات منذ خمسة وعشرين عامًا وتعلّمت أن أعرف الكثير من الأشياء من نظرة واحدة. ونظرتك جميلة، ومثيرة للاهتمام، ولكن ما يضيرُها لو كانت أكثر بهجة. الآن لا مزيد من الكلام، ولا تتحركي إذا أردتِ أن أكون مخلصًا في رسمكِ».

انتصبت ميّا بجسدها.

«هل أنتِ في عطلة بباريس؟ تابع رسام الكاريكاتير وهو يشحذ قلمه الرصاص».

«نعم ولا، أمضي بعض الأيام عند صديقة تدير مطعمًا في الحي».

«لا بد أنني أعرفها. أعرف كل ما هو موجود في مونمارتر فهذا الحي عبارة عن قرية صغيرة».

---

(1) ألكسندر بيير-جورج غيتري المعروف بساشا غيتري Sacha Guitry (1885-1957): ممثل ومخرج وسيناريست ومسرحي فرنسي، كتب نحو 124 مسرحية، لقي معظمها نجاحًا كبيرًا. (المراجع)

مكتبة هي و هو

«إنه مطعم لاكلامادا».

-آه، أهي صديقتك تلك الريفية الصغيرة؟! فتاة شجاعة، ومطبخها مختلف وأطباقها ليست باهظة الثمن. على عكس الآخرين، فهي لا تغازل السيّاح ولديها شخصيتها الخاصة. أذهب بين الحين والآخر لتناول الغذاء عندها.

لمحت ميّا خاتم الزواج في يد رسام الكاريكاتير.

«هل سبق لك أن اشتهيت امرأة غير زوجتك؟».

«ربما، لكن لفترة لا تزيد عن الوقت الذي تستغرقه نظرة خاطفة، أو بالأحرى لوقت يكون خلاله بمقدوري التأكد من الدرجة التي كنت أحب بها زوجتي».

«هل افترقتما؟».

«لا. لكن لماذا استعملتِ صيغة الماضي؟».

وقبل أن ترد أكمل:

«اصمتي قليلًا لأنني أرسم فمكِ».

صمتت ميّا وتركت الفنان يواصل عمله. استمرت عملية الرسم فترة أطول مما تصورت.

عندما أنهى الرسام البورتريه، دعاها لتتفح~ص الرسمة. ابتسمت ميّا وهي تكتشف ملامح وجه تجهله.

«هل أشبه هذه الرسمة بالفعل؟».

قال رسام الكاريكاتير: «اليوم، نعم، وأتمنى في المستقبل أن تبتسمي تمامًا مثلما تظهرين في هذه الرسمة».

أخرج هاتفه من جيبه، والتقط لها صورة وبدأ يقارنها بالرسمة.

هنأته ميّا على عمله: «الرسمة بارعة. هل تستطيع أن تنفّذ رسمة على هذه الطريقة من خلال صورة؟».

مكتبة هي و هو

«نعم إذا كانت واضحة المعالم».

«سوف أجلب لك صورة ديزي، إنني واثقة أنها ستكون سعيدة برسمة ترسمها لها بقلمك البارع».

انحنى رسام الكاريكاتير ليبحث في واحدة من علبه الكرتونية وسحب منها لوحة نفَّذها على ورق مقوى وناولها إياها.

قال:

«صديقتك صاحبة المطعم فاتنة الجمال. إنها تمرّ يوميًّا من أمامي. سأهدي إليها رسمتها تلك».

دقّقت ميّا في وجه ديزي الذي رسمه، ولم يكن ما فعله كاريكاتيرًا بل بورتريهًا حقيقيًّا، أظهر تعابير وجهها بمهارة وحساسية.

«أترك لك رسمتي في المقابل». قالت، قبل أن تحيّي رسام الكاريكاتير.

***

صحبهما بول في جولة سريعة إلى برج إيفل، قاطعًا الطابور المنتظر أسفل البرج، في انتهاك واضح هو وحده من يستطيع الإتيان بمثله ليوفر بذلك ساعة كاملة. أحسَّ بالدوار في الطابق العلوي من البرج وبقي بعيدًا عن الحافة مُتشبّثًا بحواجز الأمان. ترك آرثر ولورين يتمتّعان برؤية المنظر من دونه وهو يقسم لهما بأنه يحفظه عن ظهر قلب. وبعد الهبوط من المصعد بعينين مغلقتين، استعاد هيبته من جديد واصطحب صديقيه إلى حديقة «التويلري».

عند رؤية الأطفال يحومون حول لعبة الدوّارة، اشتاقت لورين لسماع صوت ابنها «جو»، فاتصلت بعرّابته «ناتاليا» ودعت آرثر للانضمام إليها على المقعد الذي تجلس عليه. استغلّ بول الفرصة لشراء بعض الحلويات، وراقبته لورين من مكانها بينما كان آرثر يتحدث مع «جو».

مكتبة هي و هو

من دون أن تبعد نظرها عنه، أخذت الهاتف، وغمرت طفلها الصغير بكلمات الحب، ووعدته بهدية من باريس، لكن خاب أملها تقريبًا لأن «جو» بدا لها وكأنه لا ينتظر مثل تلك الهدية حيث يقضي أوقاتًا كثيرًا في اللعب عند عرابته.

أرسلت له الكثير من القبلات، وأبقت الهاتف ملتصقًا على أذنها بينما كان بول عائدًا يحمل ثلاثًا من حلوى غزل البنات.

«كيف حالُه؟» همست.

«هل تتحدثين معي أم مع «جو»؟» سأل آرثر.

«أغلق «جو» السماعة».

«لماذا تتظاهرين إذًا بالاتصال؟».

«ليبقى بول على مسافة بعيدة قليلًا».

«حسنًا، أظنه سعيدًا»، أجاب آرثر.

فقالت: «أنت لا تعرف كيف تكذب».

«آمل ألا يكون هذا لومًا على عدم إجادتي لذلك؟!».

«مُجرّد ملاحظة، ألم تنتبه إلى أنه يتمتم باستمرار؟».

«هو يشعر كثيرًا بالوحدة ولا يريد أن يعترف بذلك».

سألته لورين: «ألا توجد امرأة في حياته؟».

«وماذا في هذا؛ فقد عشت أنا كأعزب في باريس طيلة أربع سنوات؟».

«وكنت تحبني كثيرًا. ألم تمرّ بحكاية حب صغيرة مع بائعة الورد الفاتنة؟».

«هو أيضا مغرم بامرأة تعيش في كوريا حتى إنه يفكر بالاستقرار معها. وكتبه ستحقق نجاحًا كبيرًا هناك».

«في كوريا؟».

«نعم، رغم عدم تصديقي للأمر، أرى أن ما يفكر فيه نوع من العبث».

«لماذا إذا كان يحبها حقًّا؟».

«لا أشعر أنها تحبّه بقدر ما يحبّها هو، ثم إن لديه رهابًا من ركوب الطائرة، وإذا سافر فمن المحتمل ألّا يعود أبدًا. هل تتخيلين كيف سيشعر بالوحدة في كوريا؟ ثم إن باريس هي الأخرى تبعد كثيرًا عن سان فرانسيسكو».

«لا يحقّ لك أن تَحْرِمَه ذلك، إذا كانت تلك رغبته».

«يحقّ لي أن أحاول إقناعه».

«هل نحن نتحدث عن الشخص نفسه؟ هل تقصد بول؟».

تعب بول من الانتظار وتقدم نحوهما.

«هل يمكنني التحدث إلى ابني الروحي؟».

أجابت لورين بارتباك: «لقد أقفل السماعة».

أعادت الموبايل إلى حقيبتها وابتسمت له ابتسامة كبيرة.

«أي مؤامرة تخططان لها أنتما الاثنان؟».

أجاب آرثر: «لا نخطط لشيء على الإطلاق».

«لا تقلقا، لن أظل ملتصقًا بكما طوال إقامتكما، أريد أن أنتهز فرصة وجودكما معي هنا، لكن سرعان ما سأترككما في هدوء».

«نحن أيضًا، نريد ان نستمتع بوجودك بيننا، وإلّا لماذا جئنا إلى باريس؟».

بقي بول يتأمل في كلمات لورين فقد كانت لها دلالتها.

«لقد ظننتُ بالفعل أنكما تتآمران عليّ. ما الذي كنتما تتحدثان عنه إذًا؟».

قال آرثر:

«كنا نتحدث عن مطعم أود أن أدعوكما إليه هذه الليلة، كنت أعتاد الذهاب إليه أثناء إقامتي في باريس. شرط أن تسمح لنا بالعودة إلى المنزل لنستريح قليلًا لأننا لم يعد بوسعنا مواصلة تمثيل دور السيّاح».

مكتبة هي و هو

قبل بول الدعوة. سلك الأصدقاء الثلاثة زقاق «كاسيغليون» متوجهين إلى شارع «ريفولي».

«هناك محطة سيارات أجرة قريبة». قال بول، وقد بدأ في السير على رصيف المشاة.

عندما أُنير الضوء الأخضر لم يتمكن آرثر ولورين من اللحاق به.

حركة المرور المتدفقة فصلت بينهم. مرّت حافلة أمامهما. ورأت لورين الإعلان على جانبها وكان عن أحد مواقع التعارف عبر الإنترنت:

«من الممكن أن تلتقي بامرأة حياتك على متن هذه الحافلة إلّا إذا استقلّتْ هي مترو الأنفاق»....

ضربت لورين بمرفقها جنب آرثر وتابعا الحافلة قبل أن يتبادلا النظرات.

قال آرثر بصوتٍ خافت: «هل أنتِ جادة في ما تفكرين فيه؟!».

«أشك أنه سيسمعنا وهو على الناحية الأخرى من الشارع».

«لن يقبل الانضمام أبدًا إلى موقع التعارف هذا».

قالت في تهكم: «مَنْ قال إن الأمر متروك له؟ عندما يحتاج القدر إلى دفعة صغيرة لا تتأخر الصداقة عن الاستجابة له.. ألا تبدو هذه المقولة مألوفة نوعًا ما؟».

وعبرت الشارع من دون انتظار آرثر.

***

وضعت ميّا نظارتها ذات الإطار العاجي التي ابتاعتها من أحد دكاكين التحف في تلك الظهيرة، لكن الرؤية فيها كانت صعبة بسبب عدساتها السميكة. دفعت باب المطعم ودخلت.

من الصالة الممتلئة، كان يمكن للزبائن الجالسين على الطاولات رؤية ديزي وهي تعمل في المطبخ عبر نافذة كبيرة مفتوحة في الجدار.

مكتبة هي و هو

كان الطبّاخ مشغولًا للغاية. حملت ديزي الصحون واختفت ثم انفتح باب وظهرت من جديد واتجهت نحو طاولة يجلس حولها أربعة أشخاص. قدمت لهم الأطباق وذهبت بسرعة كما جاءت، احتكّت بميّا من دون أن تعيرها أيّ اهتمام. وقبل أن تدخل إلى مطبخها، تراجعت ثلاث خطوات.

«إنني متأسفة، المطعم ممتلئ».

ألحّت ميّا بنظارتها التي تجعلها تبدو كمن يعاني من الحَوَل.

قالت وهي تغيّر نغمة صوتها: «حتى لو طاولة صغيرة؟ يمكنني الانتظار».

باستياء، ذهبت ديزي لتفحّص الأماكن.

«طلب بعض الزبائن هناك الفاتورة لكنهم ثرثارون... هل أنت وحيدة؟ هل يلائمك مقعد واحد عند البار، اقترحت عليها وهي تشير إلى الزاوية».

وافقت ميّا وذهبت لتجلس على المقعد العاري من الأذرع والمساند.

انتظرت دقائق معدودات قبل أن تأتي ديزي، التي مرّت من وراء البار، وضعت الملعقة والسكين والشوكة واستدارت لتلتقط كأسًا من أحد الرفوف. قدّمت لها قائمة الطعام وأخبرتها بأن طبق أسماك قواقع سان جاك قد نفد، والمطعم لا يقدّم سوى الأطباق الطازجة.

«خسارة، جئت من لندن خصيصًا من أجل تذوّق طبق قواقع سان جاك».

أمعنت ديزي النظر فيها بريبةٍ قبل أن ترتجف.

«سحقًا! من حسن الحظ أنني لم أكن ممسكة بأي شيء، وإلّا لكانت قد سقطت جميعها! أنتِ مجنونة!».

«ألم تتعرّفي عليّ؟».

مكتبة هي و هو

«لم أنظر إليك في الحقيقة، ما الذي جرى لك؟».

«ألا تحبّين شكلي الجديد؟».

«لا وقت عندي، لسنا في البيت الآن وأنا أعمل بمفردي فالنادلة تخلّت عني وتركتني في ورطة، إن كنت جائعة أحضّر لك طعامًا وإلّا...».

«هل تحتاجين إلى مساعدة؟».

«ميليسا بارلو تعمل نادلة، وماذا بعد؟».

«لا أرى سوى ميّا هنا وتكلمي بصوتٍ منخفض!».

نظرت ديزي إليها من رأسها حتى أخمص قدمها.

«هل تجيدين إمساك صحنٍ بيدك من دون أن يقع؟».

«لقد مثلّت دور النادلة، وتدرّبت عليه، وأنت تعرفين مدى إتقاني».

تردّدت ديزي، سمعت دقة جرس مساعدها الطباخ، فقد نفد صبر الزبائن، وهو يحتاج إلى مساعَدة.

«هيا أزيحي هذه النظارات السخيفة والحقي بي!».

رافقتها ميّا إلى المطبخ. أعطتها ديزي صدرية وأشارت إلى ستة صحون تُسخَّن.

«إنها للطاولة رقم ثمانية».

تساءلت ميا: «الطاولة رقم ثمانية؟».

«على اليمين عند المدخل، هناك حيث يجلس الشخص الذي يتكلم بصوت مرتفع، كوني لطيفة معه فهو زبون دائم».

«زبون دائم؟». علّقت ميّا وحملت الصحون.

«أرجوكِ لا تحملي أكثر من أربعة صحون في جولتك الأولى في الصالة».

«أنا تحت أمرك». أجابت ميّا وهي توازن بين الصحون على ذراعيها.

أكملت مهمتها ورجعت على الفور لتأخذ ما تبقى من الصحون.

بعد أن تحرّرت من خدمة الزبائن بدأت ديزي تعيد الإيقاع العادي إلى مطبخها. الأطباق الجاهزة للتقديم، ثم يرّن الجرس، ثم تأتي ميّا مسرعة لالتقاطها، وبعد أن تتفرغ من خدمة الزبائن تقوم بجمع الصحون، وتجميع فواتير الحساب، ثم تعود لتتلقّى الإرشادات تحت نظر ديزي المستمتعة بما يحدث.

«نحو الساعة الحادية عشرة ليلًا بدأ المطعم يخلو من الزبائن».

«يورو ونصف يورو بقشيش، هذا ما تركه لي «زبونك الدائم»».

«لم أقل إنه كريم!».

«كان ينظر إليّ في انتظار أن أشكره».

«وهذا ما قمتِ به، على ما آمل!».

«مؤكد أنك تمزحين، فلم يكن أمامي غير ذلك لأفعله!».

«هل لي أن أعلم من أين جاءتك فكرة تبديل مظهرك؟».

«فعلت ذلك عندما علمت أنكِ ستحتاجين لمن يحل محلكِ. إذًا، أنتِ لم يعجبك مظهري!».

«لم تعودي كما أعرفكِ، لا بد من تعوّد هذا الشكل الجديد».

«أنتِ لا تشاهدين أفلامي منذ زمن طويل، كان مظهري فيها أسوأ مما أنا عليه الآن».

«لا تؤاخذيني إن العمل يستنزفني فلا أجد فرصة للذهاب إلى السينما. هل يمكنك أن تقدّمي أطباق الحلوى هذه للزبائن؟ أودّ كثيرًا إغلاق المطعم والذهاب إلى فراشي».

أكملت ميّا دورها على أتمّ وجه حتى نهاية الأمسية، وكسبت تقدير صديقتها التي كانت تظن أنها غير قادرة على القيام بمثل هذا العمل.

ترك آخر الزبائن المطعم في منتصف الليل. قامت ديزي والطباخ بتنظيم مستلزمات المطبخ في حين قامت ميّا بترتيب الصالة.

مكتبة هي و هو

أغلقتا المطعم، وذهبتا إلى شقة ديزي سيرًا على الأقدام عبر شوارع مونمارتر.

«أهكذا تفعلين كل ليلة؟» سألت ميّا.

«أجل ستة أيام في الأسبوع. عمل مُنهك للغاية، لكنني أحب مهنتي ولا نية عندي أن أستبدل بها مهنةً أخرى مهما حدث. حتى لو كنت أغطي النفقات بالكاد، أعتبر نفسي محظوظة فأنا أعتبر المطعم بيتي».

«كان المطعم مكتظًا عن آخره».

«نعم كانت ليلة ممتازة».

«وكيف تمضين أيام الآحاد؟».

«أنام».

«وحياتك العاطفية؟».

«حياتي العاطفية.. لقد أضعتها بين ثلاجتي ومطبخي!».

«هذا يعني أنكِ لم تتعرّفي على أحد منذ أن فتحتِ هذا المطعم؟».

«تعرّفت على بعض الرجال لكن لم يتكيف أي واحد منهم مع ساعات عملي. أنتِ تشاركين حياتك مع شخص يمارس مهنتك، لكن كم رجلًا غيره كان سيتحمّل غيابك عندما تذهبين لتصوير الأفلام؟».

«مشاركة حياتي؟ لم نعد نتشارك كثيرًا في الحياة وبخاصة هذه الأيام».

كان صدى وقع أقدامهما يرنّ في الشوارع المهجورة.

قالت ديزي: «ربما سنبقى وحيدتين أنا وأنتِ في النهاية».

«أنتِ ربما، لكن ليس أنا».

«ساقطة!».

«أحب أن أكون ساقطة».

«ما الذي يمنعك من ذلك؟».

مكتبة هي و هو

«وأنتِ، ما الذي يمنعك من ذلك؟ ثم أين التقيتِ بهؤلاء الرجال؟ هل هم من الزبائن؟».

أجابت ديزي: «لا أخلط أبدًا بين الحبّ والعمل، لم يحصل ذلك سوى مرة واحدة. كان أحد الزبائن الذي يتردّدون دومًا على المطعم، ومن ثم فهمت في لحظة ما بأنه لا يأتي من أجل أطباقي فقط».

سألت ميّا، مستثارة: «وكيف كان؟».

«ليس سيئًا، بل ليس سيئًا على الإطلاق».

وصلتا إلى أسفل البناية، ضغطت ديزي أرقام الدخول وأضاءت المصابيح قبل أن تتسلقا السلالم.

«ما معنى ليس سيئًا؟».

«كان وسيمًا».

«وماذا أيضًا؟».

«ما الذي تريدين معرفته؟».

«كل شيء! كيف أغواكِ، ليلتك الأولى معه، كم استمرّت قصتكما وكيف انتهت!».

«إذا أردت أن أتحدّث لك عن كل ذلك، يجب أن تنتظري حتى ندخل إلى الشقة».

وبمجرّد دخولهما، رمت ديزي بنفسها على كنبتها.

«إنني مُنهكة، هلا تحضّرين لنا الشاي! يبدو أن تحضير الشاي هو الشيء الوحيد الذي يتقنه الإنجليز في المطبخ».

سخرت ميّا من جملتها تلك بحركة نابية من إصبعها وتقدمت وراء طاولة المطبخ. ملأت الغلّاية في انتظار أن تبرّ ديزي بوعدها بأن تحكي قصتها.

«كان ذلك ذات ليلة في بداية شهر يوليو من العام الماضي، كان

مكتبة هي و هو

المطعم خاليًا تقريبًا، كنت على وشك إطفاء الأفران حين دخل هو. ترددتُ في خدمته، ولكن اقتضى واجبي المهني أن أفعل. كنت قد طلبت من الطبّاخ والنادلة المغادرة. وكان بإمكاني خدمة زبون واحد. قدّمت له قائمة الطعام، فأمسك بيدي، وطلب مني أن أختار له ما أشاء، وقد كان ممتنًا لأني أبقيت على المطعم مفتوحًا من أجله. وكمغفّلة، جذبني هذا اللطف».

«لماذا تعتبرين نفسك مُغفّلة؟».

«لأني جلست أمامه على الطاولة بينما كان يتناول عشاءه، حتى إنني تذوقت الطعام معه، فقد كان مسليًا ومُفعمًا بالحيوية. أصرَّ على مساعدتي في التنظيف، فتركته يفعل مستمتعة بذلك. عندما أغلقنا المطعم، اقترح عليّ تناول كأس ووافقت. ثم مشينا حتى رصيف أحد المقاهي. وهناك، حاولنا إعادة صياغة العالم فجعلناه جميلًا. كان مفتونًا بالطبخ، وكان صادقًا في ما يقوله. ولم أصدق أنه رافقني حتى أسفل البناية التي أسكنها، ولم يحاول الصعود إلى شقتي، تبادلنا فقط قُبلة واحدة. كنت قد ألتقيت رجلًا مثاليًا. ومنذ ذلك الحين، لم نعدّ نترك أنفسنا، اعتاد أن يأتي في آخر المساء ليلحق بي ويساعدني على إغلاق المطعم، وكنت أمضي أيام الأحد معه. استمرَّ ذلك حتى نهاية الصيف، وبعدها أخبرني بأنه لا يستطيع الاستمرار معي».

«لماذا؟».

«لأن زوجته وأولاده عادوا من العطلة! وسأكون ممتنّة لك لو تمتنعي عن أي تعليق. أما الآن، فسأستحم وأنام». اختتمت ديزي كلامها قبل أن تغلق باب غرفتها.

***

بعد أن غادرتْ مطعم «شيه لامي لوي»، توقفت لورين لتعبِّر عن إعجابها بالواجهات القديمة في شارع «فيرتبوا».

مكتبة هي و هو

قال بول: أنت تنهارين أمام سحر باريس؟

قالت لورين: ما أعرفه يقينًا أنني انهرت أمام الوجبات المدهشة التي أكلناها للتو.

استقلوا التاكسي حتى بيت بول، وعندما وصلوا إلى بيته تمنّى لهما ليلة سعيدة ودخل إلى مكتبه للكتابة.

استقرّت لورين في السرير، وبدأت تنقر على لوحة مفاتيح كمبيوترها. بعد عشر دقائق، خرج آرثر من الحمّام واندسّ تحت الأغطية.

قال متعجبًا: هل تقرأين رسائلك الإلكترونية في هذه الساعة؟

أزاحت الكمبيوتر عن ركبتيها، بينما كان آرثر يكتشف، مشدوهًا، ما فعلته للتو، وبدأت تضحك بصوت عالٍ.

واضطرّ أن يعيد قراءة الأسطر الأولى من النص الذي كتبته لورين:

روائي، أعزب، يعمل ليلًا على الدوام، يحب المرح والحياة والصدفة....

«أظن أنكِ شربت الكثير من النبيذ هذا المساء».

وعند إغلاقها شاشة الكمبيوتر، ضغطت بشكل لا إرادي على زر يؤكّد تسجيل بول على موقع التعارف.

«لن يغفر لنا أبدًا مزحتنا هذه».

«إذًا، عليك أن تقدّم له اعتذارك بأسرع ما يُمكن، لأنني أخشى الجرس الصغير الذي سمعناه...».

سارع آرثر إلى فتح الكمبيوتر ثانية، مضطربًا بسبب ما فعلاه.

قالت له لورين: اهدأ، لا تكن هكذا، نحن الوحيدان اللذان يستطيعان الدخول إلى هذا الحساب، وفكرةُ تغيير حياته الروتينية أمر يروقني فعلًا.

«لا يمكنني أن أخاطر بفعل ذلك معه»، ردّ عليها آرثر.

قالت له وهي تُطفئ الأنوار:

«هل تريد أن أذكّرك (بالمخاطر) التي تَقَبّلها من أجلنا؟».

بقي آرثر لفترة فاتحًا عينيه في الظلام. داهمته آلاف الذكريات عن مغامرات مجنونة وأفعال مؤذية. لقد خاطر بول بالدخول إلى السجن من أجل آرثر. وكان الأخير يدين بسعادته اليوم إلى شجاعة صديقه الكبيرة التي برهن عليها في صداقته معه.

ذكّرته باريس بفترات حزينة، وبسنوات العزلة. والآن بول يعيش الشيء ذاته، وآرثر يعرف كم تكون هذه العزلة شديدة الوطأة. ولكن هناك بالضرورة وسائل أخرى لإخراجه من هذا الوضع أفضل من مواقع التعارف.

«نم، وسنرى ماذا سيحصل»، تمتمت لورين في أذنه.

التصق آرثر بزوجته ونام.

* * *

تقلّبت في فراشها مئة مرة من دون أن تستطيع النوم. قلّبت في أسابيعها الأخيرة ولم تجد فيها أي فرحٍ من أي نوع. وكان اليوم المنصرم هو أفضل يوم عرفته منذ زمن طويل، حتى لو لم يغادرها الشعور بأن ثمّة من تفتقده.

ارتدت ثيابها من جديد وغادرت الشقة من دون ضجيج.

وفي الخارج بلّلت زخّات مطر خفيفة أرصفة الأزقة الضيقة. صعدت الهضبة حتى ساحة «تيرتر» حيث كان رسام الكاريكاتير يهمّ بجمع أغراض الرسم. رفع رأسه فرآها تجلس على أحد المقاعد.

قال وهو يجلس بالقرب من ميًا: «هل هي أوجاع الليل؟».

«إنه الأرق». أجابت ميّا.

«أعرف مثل هذا الأرق أيضًا. لا أتمكن أبدًا من إغلاق جفوني قبل الساعة الثانية صباحًا».

مكتبة هي و هو

«وزوجتك، هل تنتظرك كل هذه الليالي؟».
«آمل أن تكون في انتظاري». أجابها بصوت خشن.
«لا أفهم».
«هل أعطيتِ الرسمة إلى صديقتك؟».
«لم تتح الفرصة بعد، سأسلّمها إياها غدًا».
«هل يمكن أن أطلب منكِ خدمة؟ لا تقولي لها إني مَن رَسَمها. لأنني أرغب في تناول الغداء في مطعمها، وأن تعرف هويتي هو أمر يجعلني أشعر بالحرج».
«لماذا؟».
«لأن رسم وجه شخص من دون موافقته يعتبر تطفّلًا».
«لكنك رسمتها مع ذلك».
«أحب أن أراها تمّر كل صباح أمامي حيث أعمل، وقد رسمتها لأستدعي هذا الوجه الذي يمنحني مزاجًا طيبًا».
«هل يمكنني أن أضع رأسي على كتفك، من دون أي سوء فهم؟».
«هيّا، كتفي لن تُسيء الفهم».
تأملا معًا، بصمتٍ، القمرَ الذي بالكاد غطته سماء باريس.
وفي الساعة الثانية صباحًا سعل رسام الكاريكاتير.
«لم أكن نائمة». قالت ميّا.
«ولا أنا».
اعتدلت ميّا وقالت:
«لا بد أن الوقت قد حان لنودّع أنفسنا».
نهض رسام الكاريكاتير وقال: «طاب مساؤكِ».
وافترقا عند ساحة «تيرتر».

الفصل 5

كانت ديزي تحب أن تتنزه في الشوارع الهادئة في الوقت الذي تخترق فيه الشمس خط الأفق، حيث يكون للرصيف رائحة الصباح المُنعش. توقفت عند ساحة «تيرتر»، وحدّقت في مقعد شاغر وهزّت رأسها قبل أن تتابع طريقها.

استيقظت ميّا بعد مرور ساعة. حضّرت الشاي وجلست أمام الشرفة الزجاجية.

رفعت كوب الشاي إلى شفتيها، ورغبت في استخدام كمبيوتر صديقتها، والجلوس في المكتب.

رشفت الرشفة الأولى من الشاي.. ثم فتحت بريدها الإلكتروني، تابعت جميع الرسائل التي تذكّرها بواجباتها المهنية لكنها لم تقرأها. رشفت رشفة ثانية ولأنها لم تعثر على الرسالة التي تمنّتها، أغلقت الكمبيوتر.

عادت من جديد لتتأمل الشارع بالأسفل وأعادت التفكير في نزهتها الليلية.

مكتبة هي و هو

بعد قليل فتحت الكمبيوتر ثانية لتتصفّح مواقع اللقاءات. وقرأت ميّا بعناية إرشادات التسجيل في الموقع.

بعد عدة رشفات وضعت الكوب وبدأت في تنفيذ خطوات التسجيل:

لإنشاء بروفايل:

هل أنت على استعداد للدخول في علاقة؟ أرغب في ذلك، لا على الاطلاق، لنترك الأمر للحظ يفعل ما يشاء.

«أجل، لنتركه يفعل».

وضعيتك العائلية: لم يسبق لها الزواج أبدًا، منفصلة، مُطلقة، أرملة، متزوجة.

«منفصلة».

هل لديك أطفال؟

«لا».

شخصيتك: حنونة، مغامرة، هادئة، مرنة، مرحة، متطلّبة، فخورة، كريمة، متحفّظة، حسّاسة، اجتماعية، عفوية، خجولة، يمكن الاعتماد عليها، وأشياء أخرى.

«كل هذا».

لا يمكنك اختيار سوى صفة واحدة.

«مرنة».

لون العينين.

« لدينا كل ما بوسعه أن يحقق سعادتك لكن مع لون عينيك هذا لن يكون ذلك ممكنًا».

«(عمياء) سيلائمني أفضل».

مظهرك: عادي، رياضي، رشيق، وزن زائد، قصيرة، سمينة.

«كما لو أن هذه القائمة تصلح لمعرض البهائم. عادية».

قوامك.

«بالسنتميتر، ليس لدي فكرة، لنقل طولي 175 سم، مثل زرافة».

جنسيتك.

«بريطانية: فكرة سيئة، منذ واترلو لم يكن الفرنسيون طيبين معنا. أمريكية: لديهم أفكار مسبقة حول الأمريكيين. مقدونية: سيتطلّب ذلك مزيجًا من صفات كثيرة. مكسيكية: لا أتحدث الإسبانية. ميكرونيزية: إنها جميلة، ولكن ليس لدي فكرة أين تقع ميكرونيزيا، مولدافية: مثيرة للغاية جنسيًّا، لكن يجب ألّا نبالغ. موزامبيقية: غرائبية، ولكن لن تنفع هذه الجنسية بالهيئة التي أبدو عليها الآن. إيرلندية: ستقتلني أمي لو علمت بهذا. إيسلندية: سوف ينتظرون ما أدندنه عن المغنية «بجورك» طوال النهار. ليتوانية: نغمة لغتها جيدة، لكن لن يكون لديّ الوقت لتعلمها، سيكون ممتعًا إذًا أن نبتدع لكنة وأن نتحدث بلغة غير موجودة أصلًا، على اعتبار أن احتمال اللقاء بامرأة ليتوانية ضعيف للغاية. تايلاندية: غير ممكن. نيوزيلندية: مع لكنتي، يمكن للأمر أن يكون معقولًا!».

أصلك العرقي.

«ألم يكفيهم ما أحدثته الحرب العالمية الثانية. ما هذه النوعية من الأسئلة؟».

رؤيتك وقيمك: الدين.

« ألا يوجد شيء غير الدين يميّز رؤيتك وقيمك؟ لاأدرية(1)، سألقنهم درسًا».

رؤيتك للزواج.

«ضبابية!».

هل تريدين أطفالًا؟

---

(1) اللاأدرية: مذهب فلسفي يرى أن القيم الحقيقية للقضايا الدينية أو الغيبية غير محددة ولا يمكن لأحد تحديدها. (المترجم).

«أفضّل أن ألتقي برجل يرغب بإنجاب طفل مني أنا بالتحديد».

مستواك الدراسي.

«اللعنة ثلاث مرات! كذب في كذب. بكالوريا + 5... لا، سأقع على أشخاص أذكياء جدًّا سيزعجونني حتى الموت، بكالوريا + 2، سيكون أفضل، فهذا هو المعتاد».

مهنتك.

«ممثلة: ولكن لا.. لن ألعب بالنار. وكيلة تأمين: لا. تعملين في السياحة والسفر: لا أيضًا. ممرّضة: ولا ذلك. عسكرية: لا أبدًا. أعمل في مجال العلاج الطبيعي: لا، سيطلبون مني أن أدلّكهم. موسيقية: أغني بنشاز. صاحبة مطعم.. مثل ديزي: فكرة جيدة جدًّا.

صفي مهنتك.

«إنني أطبخ... في الواقع أنا لا أعرف كيف أحضّر عجة البيض، ولكننا هنا لنتسلى».

النشاط الرياضي: السباحة، التنزه عبر المرتفعات، الركض البطيء، البلياردو، التصويب بالسهم...

«هل التصويب بالسهم رياضة؟».

... يوغا، الفنون الحربية، الغولف، لعبة الشراع، البولينج، كرة القدم، الملاكمة...

«هل هناك حقًّا نساء يُجدن الملاكمة؟».

أنت تدخنين؟

أحيانًا.

«من الأفضل أن أجيب عن هذا السؤال بصدق حتى لا أجتمع بشخص ضد التدخين».

حيواناتك التي ترافقك.

«زوجي السابق. كما سيصير قريبًا»

مكتبة هي و هو

مجالات اهتمامك: الموسيقى، الرياضة، الطبخ، التسوّق...

«التسوّق: هذا يقتل الذكاء. أعمال يدوية: حال اختياري الملاكمة كرياضة. الرقص: سوف ينتظرون فتاة بجسد راقصة باليه، وهو ما لن يجدوه. الكتابة: الكتابة جيدة، والقراءة أيضًا. السينما: لا، إلا هذه، فقد أقع على مولع بالسينما. المتاحف التي تنظم معارض: يتوقف هذا على طبيعة المعرض. الحيوانات: لا أرغب أن أقضي عطلة نهاية الأسبوع في حدائق الحيوانات. ألعاب الفيديو، صيد الأسماك والصيد والحيوانات: أوه يا للقرف! أوقات فراغ إبداعية، لا فكرة عندي عمّا يعني ذلك...»..

نزهاتك.

سينما...

«نعم، ولكن لا».

مطعم.

«نعم».

قضاء الأمسيات مع الأصدقاء.

«ليس الآن».

العائلة.

«أقل ما يمكن».

الحانة.

«هذا نعم».

المرقص.

«هذا لا».

أحداث رياضية.

«لا أبدًا».

ذوقك بخصوص الموسيقى والسينما.

«هل هذه محكمة تفتيش؟!».

مكتبة هي و هو

ما الذي تبحثين عنه عند الرجل؟

قوامه وشكله: عادي، رياضي، نحيف، وزن زائد.

« لا يهمني شكله».

وضعيته العائلية: لم يتزوج أبدًا، أرمل، أعزب.

«الثلاثة، لا مشكلة».

له أطفال.

«هذا أمر يخصه هو».

هل يريد أطفال؟

«لدينا الوقت لذلك»

شخصيته.

أخيرًا!

حنون، مغامر، هادئ، متصالح، مرح، كريم، متحفظ، حساس، اجتماعي، عفوي، يُعتمد عليه!

« كل ما سبق».

صفي نفسك.

تضع ميّا أصابعها على لوحة مفتاح الكمبيوتر لكنها عاجزة عن كتابة كلمة واحدة. رجعت إلى صفحة موقع التعارف، أدخلت كنية ديزي، وكلمة السر، وقرأت بياناتها الشخصية.

«امرأة شابة تحب الحياة، والضحك، ولكن مواعيدها صعبة، شيف مطعم، وتعشق مهنتها...»..

قامت بقصّ ولصق بيانات صديقتها، ثم أكدت تسجيلها.

فتحت ديزي باب الشقة. أغلقت ميّا شاشة الكمبيوتر وقفزت واقفة.

«ماذا تفعلين؟».

«لا شيء، كنت أقرأ الرسائل. أين كنتِ، الوقت مبكر؟».

مكتبة هي و هو

«إنها التاسعة صباحًا، لقد عدتُ من السوق. هيا ارتدي ملابسك؛ أنا بحاجة إلى مساعدتك في المطعم».

أدركت ميّا من نبرة صوتها أنه ليس ثمة موضوعات يمكن الحديث بشأنها.

بعد أن أفرغت الصناديق من الشاحنة الصغيرة، طلبت ديزي من صديقتها مساعدتها في جرد السلع. سجّلت مشترياتها في دفترها بينما رتّبتها ميّا بكل طاعة.

قالت وهي تفرك يديها في جنبيها: «ألا تستغلينني قليلًا؟».

«إنني أقوم بهذا العمل لوحدي كل يوم، إنها المرة الوحيدة التي أطلب منك مساعدتي أيتها الفتاة العجوز. هل خرجتِ من جديد مساء أمس؟».

«لم أستطع النوم، فخرجت قليلًا».

«تعالي واعملي في المطعم هذا المساء، وأؤكّد لك أنك ستجدين النوم سريعًا».

دخلت ميّا إلى ثلاجة التبريد، وكانت تحمل صندوقًا من الباذنجان حينما طلبت منها ديزي مراعاة النظام.

«يجب وضع الخضراوات في درجات حرارة الغرفة من أجل أن تحفظ طعمها».

«سئمت من هذا!».

«أما الأسماك فتُحفظ في الثلاجة».

«أتساءل عما لو كانت الممثلة «كيت بلانشيت» هي من كانت تضع الأسماك في ثلاجة المطعم؟!».

«سنعاود الحديث عن ذلك في اليوم الذي ستحصلين فيه على الأوسكار!».

أخرجت ميّا قطعة من الزبدة، وأخذت من الدُرج الخشبي قطعة من الخبز وجلست على الكاونتر.

مكتبة هي و هو

حملت ديزي بقية الأطعمة وراحت توزّعها وتضع كل نوع في مكانه المناسب.

«وجدت بالصدفة شيئًا غريبًا وأنا أقرأ رسائلي الإلكترونية»، قالت ميّا، والطعام في فمها.

«ما هذا الشيء؟».

«موقع للتعارف».

«وجدتِه بالصدفة؟!».

«أقسم لك». أكدت ميّا وهي ترفع يدها اليمنى.

«ألم أقل لكِ ألّا تفتشي في ملفاتي؟».

«هل سبق وقابلتِ رجالًا بهذه الطريقة؟».

«هذه إهانة، هذا أشبه بالحديث مع أمي! وهذا ليس موقعًا إباحيًّا».

«كلا، لكنه موقع ذو طبيعة خاصة!».

«أي طبيعة خاصة؟ ألا ترين حين تركبين الحافلة أو المترو، أو تمشين في الشوارع كيف يمضي الناس أكثر وقتهم وعيونهم ملتصقة بهواتفهم النقالة أكثر مما ينظرون إلى ما يحدث حولهم. الطريقة الوحيدة لجذب الاهتمام في أيامنا هذه، هي أن تبتسمي على شاشة هاتف نقّال، هذا ليس خطأي، ولكن صار الأمر هكذا».

أصرّت ميّا: «أنت لم تجيبيني. هل تنفع مثل هذه الأمور؟».

«أنا لست ممثلة، وليس لديّ وكيل أعمال، ولا مُعجَبون، ولا أسير على السجّاد الأحمر ولا تشغل صوري أغلفة المجلات. استغراقي في مطبخي يُبعد عني الصورة المثالية للمرأة المُغوية. أجل، سجّلت نفسي على أحد المواقع، وبالفعل قابلت رجالًا بهذه الطريقة».

«رجال جيّدون؟».

«نادرًا، لكن هذا ليس ذنب الإنترنت!».

«كيف قمتِ بذلك؟».

«قمتُ بماذا؟».

مكتبة هي و هو

«أسألك، على سبيل المثال، ما الذي جرى في الموعد الأول؟».

«بالطريقة ذاتها حين يتحدث أحدهم معك في المقهى، ما عدا أنك تعرفين عنه معلومات أكثر».

«أو أن يكون هو قد منحك المعلومات التي يريد أن ينقلها إليك؟».

«إذا تعلمتِ كيف تفكّين شِفْرَة ما كتبه على حسابه، فستنجحين في التمييز بين الأشياء بسرعة».

«كيف نتعلّم فكّ شِفْرَة ما ذكره عن نفسه؟».

«في أي شيء يهمك ذلك؟».

فكرت ميّا بالسؤال، ثم قالت بنبرة مراوغة:

«يهمّني من أجل تمثيل دورٍ عندما تتاح لي الفرصة».

«بالتأكيد من أجل تمثيل دور». تمتمت ديزي ثم تنهّدت وجاءت تجلس بجوار ميّا.

«يحكي الاسم المستعار أمورًا كثيرة عن شخصية صاحبه «ماما، أقدم لك دودو 21 سنة، هو ألطف بكثير من رورو الخبيث الذي تعشقينه مع ذلك. مستر بيغ، لا بد أن يكون أنيقًا، أليس كذلك؟ إلبيلو، نشعر فورًا بالتواضع... اتصل بي من اتخذ لنفسه اسم غاسباشو 2000. هل بمقدورك أن تُقبّلين شخصًا يُدعى غاسباشو؟».

وانطلقت ميّا في الضحك.

«ثم هناك أيضًا مَنْ يقولون أشياء كثيرة عن أنفسهم ولا تتخيلي كَمّ الأخطاء الإملائية التي يقعون فيها، وغالبًا يبعث ما نقرؤه على الشفقة».

«إلى هذا الحد؟».

«نعم، دعينا نعُدْ إلى البيت، وسأجعلك تشاهدين ذلك بنفسك، فلن يأتي الطبّاخ قبل ساعة».

عند العودة إلى الشقّة، دخلت ديزي موقع التعارف وشرحت لميّا كيفية التعامل معه.

«انظري ماذا كتب هذا!».

مكتبة هي و هو

«صباح الخير، أنت جميلة ومرحة؟ إذا كنتِ كذلك، أنا هنا من أجلك، مرِح، لكن ساحر وعاشق...»، كلا، يا هيرفي 51، آسفة، أنا قبيحة وحزينة... لكن بصراحة، أين سيجد هؤلاء أشياء مماثلة؟ هنا، تتابع، من خلال النقر على هذه الخانة ستعرفين من جاء لزيارة حسابك.

تُفتح نافذة جديدة وبدأت ديزي تتصفّح أسماء المرشَّحين للسعادة.

«هذا يصف نفسه بالهادئ، تمنّيت لو صدّقته، كأنّه قام بتدخين ثلاث لفائف من الحشيش قبل أن يلتقط صورته تلك. وأكثر من ذلك، في أحد مقاهي الإنترنت، وهذا ما يُضفي الاطمئنان... وكان كما كتب يبحث عن «شخص يدعمه»، وهذا يُغني عن أي تعليق، أليس كذلك؟».

«انتقلت إلى الخانة التالية».

«يبدو جيدًا،» قالت ميّا: «لم يسبق لي الزواج، مغامر، ذو منصب، أحب الموسيقى والذهاب إلى المطاعم...».

«تمهّلي، يجب الانتباه إلى كل ما يُكتب»، أجابت ديزي وهي تؤشر على أحد السطور: «أراهنك بعلبة شوكولاتة أنك ستقرأين إعلاني هذا حتى نهايته... احتفظ لنفسك بالشوكولاتة يا داندي 26».

«وهذا، ما هذا؟» تساءلت ميّا.

«ملف بروفايل الأشخاص من اختيار الموقع. فبحسب ما كشفته عن نفسك، يتم بناء على حسابات معينة اقتراح نوعية بعينها من اللقاءات. إنها حسابات الصدفة لكن في صيغتها الإلكترونية».

«هل يمكن أن تُريني ذلك؟».

«تظهر معلومات شخصية أخرى، بعضها يثير الضحك إلى حدّ القهقهة لكن ميّا توقفت عند أحدها».

«انتظري، هذ البروفايل يثير الاهتمام، انظري!».

انحنت ميّا على الشاشة.

«أجل».

«ما سر اختلافه؟».

مكتبة هي و هو

«هو روائي...».

«وماذا في ذلك! هذه ليست ميزة سيئة؟».

«ينبغي أن نعرف ماذا نُشر. هناك أشخاص يتظاهرون بأنهم يكتبون بينما يمضون نهاراتهم في أحد المقاهي ولا يستطيعون الانتهاء من كتابة صفحة واحدة، وهناك آخرون لم يتابعوا أكثر من عشرة دروس في التمثيل الكوميدي ويظنون أنهم صاروا ممثلين محترفين، وهناك الذين يدندنون على الغيتار وكأنهم «جون لينون»، وجميع هؤلاء يريدون اصطياد الضحية المثالية التي سيعيشون على حسابها بينما هم يفكرون بمسارهم الفني... وهم كُثر».

«أنت ترين السوء في كل مكان، أجدكِ قاسية، ولمعلوماتك فقد حضرت أنا أيضًا دروسًا في التمثيل».

«ربما، لكنني عاشرت بعض هؤلاء المهرجين. ومع ذلك، أعترف بأن كاتبك هذا له مظهر لطيف في هذه الصورة، مع حلوى غزل البنات الثلاث تلك التي يمسكها في يده... لا بد أن له ثلاثة أولاد!».

«وربما يكون نهِمًا!».

«كل هذا من أجل أداء دور افتراضي. سأعود إلى المطعم. يجب أن أحضّر مستلزمات الغداء».

«انتظري لحظة أخرى. ما هذا المغلف الصغير والفقاعة الصغيرة تحت الصورة؟».

«الأول يحتوي على الرسائل التي يبعثها لك، والأخرى، إذا كانت خضراء، تدعوكِ إلى النقاش معه مباشرة. لكن لا تمزحي مع هذا، وخاصة من كمبيوتري. هنا أيضًا، توجد شِفْرَات وقواعد يجب احترامها».

«ما هي؟».

«إذا ما أعطاك موعدًا في المقهى في المساء، فيعني أنه يأمل في مضاجعتك وتناول العشاء فيما بعد. ولو كان الموعد في مطعم فهذا مؤشر جيد ولكن يجب أن تعرفي سريعًا أين يسكن. إذا كان يسكن

مكتبة هي و هو

على بعد خمس مئة متر على الأقل من مكان لقائكما، فهذا يعني أن نياته خطيرة. إذا لم يتناول المقبّلات، فذلك يعني أنه بخيل، وإذا اختار لكِ طعامكِ فهذا يعني أنه شديد البخل، واهربي بسرعة إذا لم يتحدث إلّا عن نفسه في الربع ساعة الأولى، وإذا تحدث عن عشيقته السابقة في النصف ساعة الأولى فهذا يعني أنه يمر بمرحلة النقاهة، في هذه الحالة اهربي أيضًا، وإذا طرح أسئلة كثيرة حول ماضيك، فإنه غيور، وإذا تحدث معك عن مشاريعك على المدى القصير، فهو يريد معرفة إذا كنت ستضاجعينه في الليلة ذاتها. وإذا راجع هاتفه مرارًا، فإن لديه مواعيد متضاربة في وقت واحد. وإذا تحدث لك عن حياته الصعبة فمعنى ذلك أنه يرى فيكِ أمه، وإذا ما أشار إليك بأنه طلب قنينة نبيذ كبيرة للغاية، فهذا يعنى حبه للتباهي، وإذا ما أراد اقتسام دفع الفاتورة، فقد وقعتِ على جنتلمان حقيقي، أما إذا كان قد نسي بطاقته الائتمانية، فهذا يعني أنه متسوّل».

«ونحن، ماذا يجب علينا فعله أو قوله؟».

«نحن؟».

«أنتِ!».

«ميّا، لديَّ عمل، يمكن أن نتحدث عن هذا لاحقًا».

نهضت ديزي ثم قالت لها وهي تبتعد:

«لا ترتكبي حماقات باستخدام كمبيوتري، هذه ليست لعبة».

«لم تخطر هذا الفكرة على بالي أبدًا».

«لعلمك، أنا لا أصدقك!».

انغلق باب الشقة.

مكتبة هي و هو

الفصل 6

أيقظه الناشر بمكالمة هاتفية يزفّ له خبرًا مهمًّا، لكنه رفض أن يوضح المزيد مُصّرًا على لقائه بأسرع وقت ممكن.

لم يسبق للناشر غيتانو كريستونيلي أن اقترح على بول تناول الفطور معه أو حتى أن يلتقيه قبل العاشرة صباحًا. فهو ناشر أصيل ومتميز عن أقرانه، شغوف للغاية بعمله، وعلى الرغم من كونه إيطاليًا فإنه تحمّس لنشر الأدب الفرنسي. في نهاية مراهقته، التي وجب أن تنتهي في يوم ما، وأثناء قضاء عطلته في مدينة مونتون، غيّرت قراءته لرواية «وعد الفجر»[1] مجرى حياته، التي كان قد عثر عليها في مكتبة البيت الذي استأجرته أمه آنذاك. كان غيتانو على خلاف مع أمه، وكانت الرواية بالنسبة له مثل طوق نجاة. وبعد أن انتهى من قراءة آخر صفحة منها، صار كل شيء واضحًا أمامه إلا رؤيته هو التي أغشتها الدموع التي تسبّبت فيها الخدعة

(1) رواية وعد الفجر La Promesse de l'aube كتبها المؤلف الفرنسي رومان جاري Romain Gary وهي سيرة ذاتية له وقد حقّقت انتشارًا هائلًا منذ نشرها لأول مرة، حيث زادت مبيعاتها عن مليون نسخة. (المترجم)

مكتبة هي و هو

اللطيفة في نهايتها. ومنذ ذلك الوقت سيكرّس غيتانو حياته للقراءة ولن يعيش إلّا في فرنسا. ومن غرائب القدر أن يُنثر رماد الكاتب رومان غاري بعد سنوات في المكان ذاته الذي وقع فيه غيتانو في عشق الكتب. وكان قد اعتبر ذلك دليلًا لا شك فيه على صواب اختياره.

دخل كمتدرّب في دار نشر باريسية، وعاش حياة باذخة مع امرأة غنية تكبره بعشرة أعوام اتخذته عشيقًا لها. ثم خاض مغامرات عاطفية أخرى مع نساء ثريات، ولكن أصغر من زوجته سنًّا. كانت النساء تحب غيتانو، بثقافته الواسعة، ولأنه يشبه كثيرًا الممثل ماستروياني، ولا شك أن هذا الشبه سيمثل ورقة رابحة يمكن أن يستغلها هذا الشاب في حياته الجنسية. كان متفردًا وضليعًا، فأن تكون إيطاليًا وتنشر في فرنسا أعمال كاتب أمريكي فلا بد أن تكون متمتّعًا بالفعل بالأصالة والموهبة.

ومن سماته المتفرِّدة الأخرى، أنه مثلما كان يقرأ الفرنسية بحضور ذهني رائع وكأنه يقرأ لغته الأم، ومثلما كان بمقدوره اكتشاف أي خطأ في مخطوطة من خمس مئة صفحة، كان يجد صعوبة بالغة في الكلام ويخلط بين الكلمات أثناء الحديث شفاهة، وكان أحيانًا يتلفّظ بكلمات لا أصل لها في اللغة. ومن خلال طبيبه الذي قام بتحليل سلوكه هذا، فإنّ تلك السمة كانت نتيجة لمخّ يفكر بسرعة تفوق سرعة التعبير عن أفكاره بالكلام وهو ما اعتبره غيتانو وسام شرف منحه له الله.

في الساعة التاسعة والنصف كان غيتانو كريستونيلي ينتظر بول في مقهى «دو ماغو» وأمامه صحن من الكرواسون.

سأل بول وهو يجلس على المقعد:

«خيرًا، هل وقع أمر خطير؟».

قدّم له النادل فنجان قهوة كان قد طلبه الناشر.

«قال غيتانو وهو يفتح ذراعيه واسعًا، لقد تلقيت يا صديقي العزيز اتصالًا استثنائيًّا عند الفجر».

مكتبة هي و هو

وكان غيتانو قد مطّ كلمة «استثنائي» حتى إن بول أنهى شرب قهوته الإسبرسو قبل أن ينتهي هو من نطق الكلمة!

«هل تريد فنجان قهوة آخر؟ أنت تعلم أن شرب فنجان القهوة عادة يتم على جرعتين، بل حتى على ثلاث جرعات، حتى لو كانت القهوة من نوع الريستريتو(1). فأفضل ما في القهوة هو ما يترسب في قاع الفنجان. ولكن لنعد إلى ما يخصّك، عزيزي باولو».

«بول».

-هذا ما قلته. تلقيت إذًا مكالمة عظيييمة هذا الصباح.

«أشعر بالسعادة لأجلك».

«لقد بعنا، أو الأصح لقد باعوا، 300 ألف نسخة من روايتك التي تدور أحداثها حول المِحن التي يواجهها أمريكي في باريس. وهذا أمر مدهش!».

«في فرنسا؟».

«لا وصل البيع في فرنسا إلى نحو 750 نسخة، وهو رقم كبير أيضًا».

«في إيطاليا؟».

«وبسبب هذا الرقم لا يريد الإيطاليون نشرها، ولكن لا تقلق، سيغيّر هؤلاء المغفلين آراءهم في النهاية».

«في ألمانيا إذًا؟».

«ظل غيتانو صامتًا».

«إسبانيا؟».

«تعاني مبيعات الكتب في إسبانيا أزمة خانقة».

«أين إذًا؟».

---

(1) القهوة الريستريتو ristretto كميتها قليلة جدًّا لشدة تركيزها وهي أقل في الكمية من القهوة الإسبرسو. (المراجع)

مكتبة هي و هو

«في سيول، أي في كوريا. كوريا التي تقع قريبًا من الصين. إن بيع 300 ألف نسخة هناك أمر مدهش للغاية. طبعًا سوف نطبع لافتة هنا لإعلام القرّاء والمكتبات بهذا».

«هل تظن أن هذه اللافتة ستغيّر الوضع؟».

«ربما، لكنها لن تضرَّ في شيء على كل الأحوال».

«كان بإمكانك أن تخبرني بذلك عبر الهاتف».

«نعم كان بوسعي ذلك لكن أنا رغبت في رؤيتك شخصيًا لأمر آخر مُذهال(1) هو الآخر».

«هل حصلت على جائزة «فلور» الكورية؟».

«لا لكن! كافيه دو فلور في كوريا؟! يا لأصالة هذه الفكرة!(2)».

«هل كتبت عني مجلة «إل» في نسختها الكورية مقالة جيدة؟».

«ربما، لكن لو حدث ذلك لن أستطيع تأكيده لأني لا أقرأ باللغة الكورية».

«حسنًا، غيتانو، ما هذا الخبر الآخر المُذهال؟».

«أنت مدعو إلى صالون الكتاب في سيول».

«في كوريا؟».

«نعم، أين تريد أن تقع سيول؟!».

---

(1) المقصود هنا كلمة «مذهل» لكننا كتبناها بهذه الطريقة لكي تتفق مع الأصل الفرنسي الذي ورد فيه كلمة خطأ لا توجد في اللغة الفرنسية rapatant لأن الكلمة الفرنسية المقصودة هي épatant لكن وردوها بهذه الطريقة يتسق وسمة الشخصية الروائية هنا (غيتانو) الذي يبتكر ألفاظًا نتيجة لتداخل الكلمات في ذهنه وهو الأمر الذي سيتكرر في مواضع أخرى سنلجأ فيها للتصرف نفسه وذلك للحفاظ على الأسلوب الساخر الذي أراده مارك ليفي. (المراجع).

(2) يشير الكاتب هنا إلى جائزة أدبية فرنسية تمنح سنويًا للأعمال الأدبية هي جائزة «de Flore» على اسم المقهى الذي تعلن فيه، وهو يقع في الدائرة السادسة في حي سان جيرمان دوبريه الباريسي الشهير. (المراجع).

مكتبة هي و هو

«على بعد ثلاث عشرة ساعة طيران من هنا؟».
«لا تبالغ، إنها بالكاد اثنتا عشرة ساعة».
«هذا رائع، لكن يستحيل حدوثه».
«ولماذا هو غير ممكن؟» اعترض غيتانو وهو يحرّك ذراعيه من جديد.

تساءل بول في نفسه عمّا إذا كانت الطائرة هي ما يخيفه أم أنه يخشى فكرة لقائه بكيونغ في بلدها. فهما لم يتقابلا في أي مكان آخر سوى باريس. فماذا يمكنه أن يفعل في بلد لا يجيد لغته، ولا يعرف عاداته؟ وكيف ستتصرف هي إزاء جهله هذا؟ وثمة سبب آخر فكّر بول فيه يتعلّق بمشروع العيش معها ذات يوم في سيول، لأن هذا يعني أنه سيستقر في بلدها إلى الأبد، هل يريد ذلك بالفعل أم أن ذلك لم يكن إلا حلمًا كاذبًا راوده؟ وقد رغب أن تظل إجابة هذا السؤال بالتحديد غامضة في ذهنه.

هل كان عليه أن يضع أحلامه قيد الاختبار بدلًا من أن يبدّدها؟

«كيونغ مثل بحر واسع في حياتي وأنا رجل لا يعرف العوم، هذا قول يثير السخرية، أليس كذلك؟».

«لا أبدًا، إنها جملة جميلة جدًّا، حتى لو لم أفهم منها شيئًا، ويمكنك أن تبدأ بها روايتك المقبلة، فهي تجعلنا نرغب على الفور في معرفة ماذا سيحدث بعدها».

«لست أنا فيما أظن صاحب هذه الجملة، ربما قرأتها في مكان ما».

«آه، في هذه الحالة رأيي فيها سيختلف! لكن لنعدّ إلى أصدقائنا الكوريين الأعزاء. استطعت أن أوفّر لك تذكرة طائرة تتيح لك مقعدًا متميزًا ومريحًا».

«لا شيء يريحني. أكره في الطائرة».

«ومَنْ يحب ذلك؟ لكنها الطريقة الوحيدة التي نصل بها إلى هناك».

«لن أذهب».

مكتبة هي و هو

«كاتبي العزيز، أنت تعلم كم أقدّرك خصوصًا مع الأموال التي أقدّمها لك، ولن يكون بوسعي توفيرها من نسب مبيعات رواياتك في أوروبّا. إذًا عليك أن تساعدني قليلًا إذا كنت ترغب أن أنشر رائعتك المقبلة».

«بالذهاب إلى كوريا؟».

«أجل، لتلتقي بقرّائك. سيستقبلونك كنجم وسيكون ذلك حدثًا راؤوعًا(1)».

«مُذهال وراؤوع لا أصل لهما في اللغة!».

«لا يهم.. صارا في اللغة الآن ما دمت ذكرتهما!».

«تنهّد بول قائلًا: لا أرى سوى طريقة واحدة. أن أتناول قرصًا منوّمًا في صالة انتظار الدرجة الأولى، ومن ثم تدفعني حتى مقعد الطائرة بكرسي متحرّك، ولا توقظني إلّا في مطار سيول».

«أظن أن تذكرة الطائرة لا تشمل إمكانية دخول صالة انتظار الدرجة الأولى، وعلى أيّ حال، لا أستطيع أن أرافقك».

«هل تريدني أن أذهب وحدي إلى هناك؟».

«عندي مواعيد في هذا الوقت».

«أي وقت؟».

«بعد ثلاثة أسابيع. لديك الوقت الكافي لتستعد للسفر».

«لا مستحيل. رّد عليه بول وهو يهزّ رأسه».

رغم أن الطاولات المجاورة كانت خالية، مالَ غيتانو على كاتبه وهمس في أذنه.

«مستقبلك هناك. إذا ما تأكد نجاحك في كوريا، فستهتم كل آسيا

---

(1) المقصود رائعًا، لكنها طريقة نطق الشخصية الخطأ للكلمات، حيث جاء على لسانه كلمة لا اصل لها في الفرنسية هي maginifique والصواب magnifique. (المراجع).

مكتبة هي و هو

بكتاباتك. فكّر باليابان، والصين، وإذا ما أحسنّا تدبير أمورنا فسيمكننا أن نقنع ناشرك الأمريكي بانتهاز هذه الفرصة. وتأكّد أنه حين تشتهر في الولايات المتحدة، فستنتشر أعمالك في فرنسا، وسيحبّك النقّاد كثيرًا».

«لكنني مشهور في الولايات المتحدة!».

«برواياتك الأولى، رغم أنكَ منذ أن...».

«منذ إقامتي في فرنسا! لا أفهم لماذا يجب أن أمرّ بآسيا وأمريكا أولًا حتى تُقرأ رواياتي في جزيرة نوارموتييه أو مدينة كايين الفرنسيتين؟».

«بيني وبينك لا أعرف لذلك سببًا، لكن هذه هي الحقيقة فلا كرامة لنبيٍّ في بني قومه، فما بالك لو كان هذا النبيّ أجنبيًّا؟».

وضع بول رأسه بين يديه. وأخذ يفكر في وجه كيونغ، وهو يبتسم لها لدى وصولها إلى المطار لاستقباله، ثم يتقدم نحوها بعفوية كاملة وكأنه يعتاد دومًا على السفر. يتخيّل شقّتها، وغرفتها، وسريرها، ويتذكر من جديد الحركات التي تقوم بها عندما تتعرى، ورائحة جلدها، ويحلم بلحظات شاعرية معها. وفجأة وفي لحظة واحدة تظهر قبعة المضيفة فتمحو وجه كيونغ وهي تعلن عن الاضطرابات الجوية التي ستشهدها الرحلة. حينها فتح بول عينيه وهو يرتعد.

«هل كل شيء على ما يرام؟» سأله غيتانو.

تمتم بول: «نعم، سأفكر في الأمر، سأعطيك إجابتي في أقرب فرصة ممكنة».

«تفضّل تذكرتك». قال له غيتانو وهو يسلمه ظرفًا، ثم أضاف: «من يدري قد تجد هناك فكرة رائعة لرواية جديدة. أنت ستقابل مئات القرّاء الذين سيعبّرون لك عن مدى إعجابهم بكتبك، وستكون تلك تجربة أكثر إثارة مما جرى عند صدور روايتك الأولى».

«ناشري فرنسي إيطالي، وأنا كاتب أمريكي جاء ليعيش في باريس وقرّائي الأساسيين في كوريا. لماذا تبدو حياتي بمثل هذا التعقيد؟».

مكتبة هي و هو

«أنت من تجعلها كذلك يا عزيزي. استقلّ هذه الطائرة ولا تتصرف مثل الطفل المُدلَّل. جميع المؤلفين الذين أنشر كتاباتهم يحلمون أن يكونوا في مكانك».

دفع غيتانو الحساب وترك بول وحيدًا.

* * *

التقى آرثر ولورين بـ«بول» على رصيف كنيسة سان جيرمان دو بريه، بعد مرور نصف ساعة من الاتصال بهما.

سأله آرثر: «لماذا تبدو متعجلًا هكذا؟».

أجاب بول بوجه من تعرّض لتهديد:« اكتشفت في النهاية دليلًا على سخرية القدر».

أطلقت لورين ضحكة من وراء ظهره فالتفت إليها، فبدت جادّة على الفور كأن ما يقوله يعنيها تمامًا.

«هل قلتُ شيئًا مضحكًا؟».

«لا، أنتظر البقية».

«البقية شيء صعب». واصل بول بنبرة استسلام.

ضحكت لورين ضحكة مُجَلْجِلَة.

«يمكنك أن تخبر زوجتك بأنها تزعجني». تمتم بول متذمرًا، وهو يلتفت إلى آرثر.

ابتعد نحو الساحة وجلس على إحدى المقاعد. لحقا به، وجلسا إلى جانبه.

سألت لورين: «هل الأمر بمثل هذه الخطورة؟».

«أظنه ليس خطيرًا في ذاته».

وحكى لهما النقاش الذي دار مع ناشره.

مكتبة هي و هو

تبادل آرثر ولورين النظرات من وراء كتفه.

قال آرثر: «لا تذهب إذا كنت غير راغبٍ في ذلك».

«نعم، أنا غير راغبٍ في ذلك، بل أنا غير راغب فيه بالمرّة».

قال آرثر: «إذًا، قُضي الأمر».

«لا، لم يُقضَ الأمر!» هتفت لورين.

«ماذا؟» قال الرجلان في نفس واحد.

قالت لورين وقد فقدت أعصابها: «هل تظن أن سعادتك ستتحقّق بذهابك إلى المغسلة العامة لغسل ملابسك، أو حين تجلس أمام شاشة التليفزيون ممسكًا بصحن من الجُبن مع كأس من النبيذ؟ أهكذا تكون حياة كاتب كبير مثلك؟ كيف يمكنك أن تتخلّى عن مثل هذه الرحلة من دون حتى أن تحاول خوض مغامرتها؟ يبدو أنك تجد سعادتك بإحباط آمالك، ولن يشقّ عليك فعل هذا! ستسافر لا محالة إلّا لو حدث لك هنا أمر خطير. وهكذا ستمنح نفسك فرصة اكتشاف حقيقة مشاعرك تجاه هذه المرأة ومشاعرها هي تجاهك. وإذا ما عدّت وحيدًا، فلن تحزن على علاقة لم توجد أصلًا».

قال بول ساخرًا: «وأنتِ، ستأتين لتواسيني في المغسلة وبيدكِ شطيرة جبن».

أضافت لورين: «هل تريد الحقيقة، يا بول؟ سفرك إلى هناك أمر سيخيف آرثر أكثر، لأن ابتعادك عنه سيكون شديد الوطأة عليه وسيفتقدك بشدة، كلانا سيفتقدك. لكن لأنه صديقك، لا بد أن ينصحك بالسفر. فلو كانت فرصة أن تجد سعادتك هناك فعليك أن تتشبث بها».

استدار بول إلى آرثر الذي وافق مترددًا على قولها بحركة برأسه.

«بَيعُ ثلاث مئة ألف نسخة من رواية واحدة أمر معتبر من دون شك،

أليس كذلك؟». صفّر بول وهو ينظر بطرف عينه إلى الحمامتين اللتين تراقبانه بطريقة غريبة، وقال: «إنه أمر راؤوع! كما قال ناشري».

* * *

كانت تجلس على أحد المقاعد وعيناها مسمّرتان على شاشة الموبايل منذ أن رنّ قبل نصف ساعة. لكن ميّا لم تجب على المكالمة.

ترك رسام الكاريكاتير كرسيه وجاء ليجلس بجوارها. وقال:

«أهم شيء هو اتخاذ القرار».

«أي قرار؟».

«قرار العيش في الحاضر بدلًا من السؤال عن المستقبل».

«آه، نعم، فهمت... نظرياتك العظيمة! أعرف بأنك ترغب أن تكون لطيفًا معي، وهذا كَرَمٌ منك، ولكن الوقت غير مناسب. أنا بحاجة إلى التفكير».

«وإذا أخبرتكِ بأن قلبكِ سيتوقف عن النبض خلال ساعة. وأرجو أن تأخذي كلامي على محمل الجّد، فماذا ستفعلين؟».

«هل أنت عرّاف؟».

«أجيبي عن السؤال!» أمر رسام الكاريكاتير ميّا بصوت سلطوي أرعبها.

«سأتصل بديفيد لأقول له بأنه أحمق قذر، وأنه أفسد كل شيء، وأنْ لا شيء سيعود كما كان، وأني لم أعد أريد رؤيته، حتى لو كنت أحبّه، وأني أريده أن يعرف هذه الحقيقة قبل موتي».

تابع رسام الكاريكاتير بصوت ناعم:

«أترين، لم يكن الأمر صعبًا. اتصلي به، وأعيدي له ما قلته لي للتو، ما عدا الجملة الأخيرة... لأنني لا يمكنني التنبؤ بالمستقبل».

ووقف رسام الكاريكاتير عائدًا إلى مكان عمله، ولحقت به ميّا.

«لكن ماذا لو كان قد تغير وصار من جديد الرجل الذي عرفته عند لقائنا الأول؟».

«إلى متى ستستمرين في الهرب منه والمعاناة بصمت؟».
«لا أعلم إلى متى».
«يرضيكِ إذًا أن تواصلي أداء الدور، أليس كذلك؟».
«ماذا تعني بأداء الدور؟».
«أنتِ تفهمينني تمامًا، وأرجوكِ لا ترفعي صوتك، لأنك ستجعلين زبائني يهربون».
«لا يوجد زبائن غيرنا!» صرخت ميّا.
ألقى رسام الكاريكاتير نظرة شاملة على المكان. ثم أشار إليها لتقترب منه. وهمس لها:
«هذا الرجل لا يستحقّك!».
«ماذا تعرف عنه، ربما أنا امرأة صعبة المعشر».
«لماذا تهيم النساء حبًّا برجال يسببون لهنَّ المعاناة، ويتعاملن بلا مبالاة مع الرجال الذين يستعدّون لفعل المستحيل لأجلهن، وحتى لو أردن جلب القمر لهن فسيفعلون؟».
«آه، فهمت... لأنك من صنف الصديق بييرو(1)».
«لا، لكن زوجتي كانت مثلكِ عندما ألتقيتُ بها. أحبّت رجلًا وسيمًا كاد يفطر قلبها. وتطلّب ذلك منها عذاب عامين من أجل أن ينتبه إلى حبها. وهاتان السنتان الضائعتان أثارتا غضبي لأنه كان بإمكاننا أن نعيشهما أنا وهي معًا».
«وماذا في ذلك، عامان ليسا بالوقت الطويل. ولا أهمية لذلك ما دامت القصة انتهت».
«اطرحي ذلك السؤال عليها. لن يكلفكِ الأمر سوى النزول إلى شارع لوبيك، هناك ستجدينها في مقبرة مونمارتر عند أسفل الربوة».

---

(1) يشير الكاتب هنا إلى أغنية أطفال شهيرة بطلها الصديق بييرّو ami Pierrot عنوانها Au clair de la lune (على ضوء القمر).

مكتبة هي و هو

«عفوًا؟».

«كان يومًا جميلًا كهذا اليوم، كان جميلًا حتى اللحظة التي قطعت فيها شاحنة الطريق أمامنا، كنا نركب دراجة نارية».

«أنا آسفة». تمتمت ميّا وهي تخفض عينيها.

«لا تأسفي، لست أنتِ مَنْ كان يقود».

هزّت ميّا رأسها، تراجعت وذهبت إلى حيث كانت تجلس.

«آنستي!».

«نعم». قالت وهي تلتفت.

«لكل يوم قيمته».

نزلت ميّا الشارع المدرّج، جلست على أحد أدراجه، اتصلت برقم ديفيد وأجابها بريده الصوتي.

«انتهى كل شيء، ديفيد، لا أريد أن أراك لأنك... كم أحبّك، اللعنة، كان من الأفضل أن أجري الاتصال وأنا لا أزال جالسة على المقعد حين تحدّث معي رسام الكاريكاتير فقد كانت الكلمات هناك تأتيني متدفّقة... صمتكِ هذا بشع، لقد بدأتِ للتو، تابعي الكلام أيتها الغبية... لأنكَ سبب تعاستي، أنتَ أفسدت كل شيء، وأردت أن تعرف ذلك قبل أن... لكن كم أحبّك...».

أغلقت الموبايل، وتساءلت إن كان يمكن حذف الرسالة عن بعد، تنفّست بعمق، وعاودت الاتصال.

«قريبًا سألتقي برجل طيب.. ما أحكيه لا معنى له... يا إلهي، هل قلتُ هذا بصوت عالٍ؟... رجل لديه الرغبة بأن يجلب لي القمر، ولن أضيّع دقيقة واحدة من وقتنا معًا بسبب عواطفي تجاهك. بالإضافة إلى ذلك، سأمحو عواطفي مثلما ستمحو أنت هذه الرسالة... توقفي الآن، ستصيرين مثيرة للشفقة.. لا تعاود الاتصال بي... أو اتصل بي بعد خمس دقائق لتخبرني بأنك تغيّرت وأنك ستصل في أول قطار لتراني..

مكتبة هي و هو

كلا، ارحمني، لا تتصل بي من جديد... سوف نلتقي عند تقديم العرض الأول، كل منا سيلعب دوره، إنها مهنتنا رغم كل شيء... كلامك الأخير شيء جيد، محترف وحازم. توقفي، لا تضيفي شيئًا، كان قولك هذا ممتازًا... حسنًا، الآن سأنهي هذه المكالمة، لم يكن ثمة داعٍ لهذه الإضافة على الإطلاق، إلى اللقاء ديفيد. ميّا التي كانت...».

انتظرت عشر دقائق، لكنها لم تتلقَ أي اتصال فوضعت الموبايل من جديد في جيب معطفها الواقي من المطر.

كان المطعم قريبًا. وعلى الرغم من قلبها المثقل، بدت خطواتها أكثر خفّة.

* * *

«لو توفّرت لي فرصة الإقامة في لندن فلن أضيع وقتي في مكان التصوير حيث تعملين». قالت ديزي وهي تنظر إلى ميّا التي دخلت إلى المطعم، وتابعت: «ماذا تفعلين هنا؟ من الأفضل أن تذهبي للتنزّه!».

«هل أنتِ بحاجة إلى نادلة في فترة الظهيرة؟».

من دون أن تجيبها، ذهبت ميّا إلى المطبخ. لحقت بها ديزي ونزعت عنها المئزر المشدود حول خصرها. وقالت:

«هل ترغبين في الحديث؟».

«ليس الآن».

عادت ديزي من جديد إلى مكانها في المطبخ وتركت لميّا مهمة توزيع الصحون. ولم تكن ثمّة ضرورة كي تعطيها التعليمات لأنه لم يكن هناك سوى طاولة واحدة مشغولة فقط.

* * *

بعد وجبة الغداء، ترك بول آرثر ولورين يتسكّعان في باريس. وذهب هو إلى أمسية سيقرأ فيها مقاطع من رواياته في إحدى مكتبات

مكتبة هي و هو

الدائرة التاسعة في باريس، وقد رفض أن يخبرهما باسم المكتبة خشية أن يفاجئانه هناك. سلمهما نسخة من مفاتيح شقته وقال إنه سيقابلهما لاحقًا.

ذهب آرثر مع زوجته إلى الحي الذي كان يعيش فيه آرثر أثناء إقامته في فرنسا وأراها في الطريق نافذة الشقة الصغيرة القديمة التي سكنها. شربا القهوة في المطعم الذي كان يجلس فيه ويفكر فيها في أغلب الأوقات قبل أن تجمعهما الحياة معًا. ثم بعد أن تابعا جولاتهما على جسور باريس، ذهبا إلى شقة بول.

نامت لورين منهَكة من دون تناول العشاء. راقبها آرثر للحظة، ثم أمسك بكمبيوترها. بعد أن قرأ بريده، فكّر بما تبادله بول ولورين من أحاديث في الساحة الصغيرة في سان جيرمان دو بريه.

تهمّه سعادة صديق طفولته كثيرًا من دون شك، وهو مستعد لتقديم كل التضحيات الممكنة لأجله، حتى لو رآه يذهب إلى آخر نقطة في العالم. لكن من المؤكّد أن كيونغ هذه لم تكن هي الوحيدة القادرة على إسعاده. لكن ربما يستحق الأمر العناء ومن ثم لا بدّ من الاستجابة للقدر. ثم تذكّر هنا قصة رجل عجوز دخل يومًا إلى الكنيسة من أجل أن يلوم الرّب الذي لم يساعده على ربح بطاقة اليانصيب، فهو لم يربح أي شيء على مدى عمره أي طوال سبعة وتسعين عامًا، برق آنذاك شعاع ضوء مُقدّس في السماء، وأجابه صوت الرّب: «قبل أي شيء عليك أولًا أن تشتري بطاقة اليانصيب».

أمّا ما حدث فيما بعد فربما كان أكبر مقلب قام به آرثر بحق بول خلال ثلاثين عامًا من الصداقة القوية لكنه فعل ذلك بحسن نية.

الفصل 7

لم تعرف ديزي كم كانت الساعة حين نامت. حاولت أن تفكّر فيما تبقّى من مواد غذائية في ثلاجة التبريد في المطعم، من أجل أن تتسوّق ما تحتاج إليه لمطبخها، لكنها كانت متعَبة فقرّرت أن تنام لتستعيد نشاطها. ولم تصحُ إلّا في الساعة العاشرة حيث فتحت عينًا واحدة، حينها تذمّرت، ثم تذمّرت وهي تقفز من السرير، وكذلك تذمّرت وهي ترتدي ثيابها، وتذمّرت وهي تغادر شقتها، وسمعها جيرانها وهي تتذمّر قافزة على قدم واحدة في الشارع وهي تحاول تسوية الفردة الأخرى من حذائها.

لم تتوقف ميّا عن الحديث في الليلة الماضية، وهي تروي حكايتها مع ديفيد، من اليوم الأول للقائهما حتى المكالمة الهاتفية التي وضعت حدًا لعلاقتهما.

استيقظت ميّا على سيل تذمّر ديزي، ولم تستطع الخروج من غرفتها إلّا بعد أن اختفت!

جالت في الشقة، شغّلت الكمبيوتر، ثم عدلت عن قراءة بريدها

مكتبة هي و هو

الإلكتروني، لكنها قرأته في نهاية المطاف واكتشفت رسالة قصيرة جاءتها من كريستون يرجوها ببساطة أن تزوّده بأخبارها.

ثم توجهت إلى موقع التعارف وليس في نيتها سوى الترفيه لا أكثر. لكنها لم تعثر على أيّ شيء ممتع، وفقط قبل غلق الكمبيوتر نقرت على الملف الغريب الذي تخلق فيه الاحتمالات الرياضية صدفًا للقاءات البشر. ولم يظهر في موقع التعارف سوى مرشح واحد، أحسّت ميّا بشكل مؤكد أنها قد رأت هذا الوجه من قبل. هل سبق أن صادفته في طريقها في الحيّ؟ لم يكن قد اتخذ له اسمًا مستعارًا أو مبتذلًا، ورأته وسيمًا وهو ما أدهشها لكن أكثر ما فاجأها هو الفولدر الصغير الذي يومض تحت صورته. لم تكن رسالته كتلك التي قرأتها مع ديزي. كان النص، بسيطًا ومهذبًا، وجعلها تبتسم وهي تقرؤه:

> كنت مهندسًا معماريًّا يعيش في سان فرانسسكو. جاءتني فكرة مجنونة في خوض مغامرة كتابة رواية نُشرت بعد ذلك. أنا أمريكي، ولا أدّعي الكمال، أعيش حاليًّا في باريس وأواصل الكتابة. لم يسبق لي أن سجّلت اسمي على أي موقع للتعارف وأجهل ما يجب أن أقوله أو لا أقوله. أنت طاهية وهذه مهنة جميلة، ما يجمعنا هو انشغالنا ليل نهار بالعمل بانتظار الحصول على ثمرته. ما الذي يدفعنا إلى ذلك، لا أعرف، لكنها السعادة التي تكمن في قيامنا بمثل هذا التحدي المجنون المتمثّل في العمل من دون انقطاع لأجل سعادة الآخرين. لا أعرف أي نوع من الجرأة ألهمني الكتابة إليك، ولا أعرف هل ستردّين عليّ أم لا. أتساءل: لماذا تكون شخصيات الرواية أكثر شجاعة منا؟ لماذا تتجرّأ تلك الشخصيات الروائية على كل شيء ونحن عاجزون عن فعل شيء؟ هل لأن حريتهم

مكتبة هي و هو

هي مصدر أفعالهم؟ سأذهب هذه الليلة لتناول العشاء في مطعم «أوما» الكائن في شارع 29 يوليو. قرأت أن الشيف يحضّر سمك «الدوراد»، بمذاق رائع في الفرن ويُعطّره بأعشاب آتية من أقاصي العالم، ثم إنني أحب هذا الشارع الجميل دومًا. إذا كان فن الطبخ يسحرك، فيمكنني دعوتك، وأنا أعني ذلك بطريقة محترمة جدًّا.

مع خالص المودة.

بول.

أغلقت ميّا الرسالة سريعًا وكأن قراءتها قد أحرقت عينيها، لكنها مع ذلك ظلت تحدّق في الشاشة. حاولت أن تسيطر على نفسها لكنها لم تستطع في النهاية منع نفسها من قراءتها مرة ثانية. لو كانت أمها تعلم يومًا أن ابنتها ستلتقي برجل لا تعرفه عن طريق الإنترنت لصلبتها، ولهرع كريستون من أجل أن يساعدها في شحذ المسامير.

«لماذا تكون شخصيات الرواية أكثر شجاعة منا؟

كم عدد الأدوار التي مثّلتها وهي تحلم بما تمنحها من حرية! وكم مرة ذكّرها ديفيد بأن الجمهور لم يكن يحبّها لشخصها هي إنما كان يحبُّ الأدوار التي تقوم بها، وأضاف أن الناس لو تعاملوا معها في الواقع لأصابتهم الصدمة!

«لماذا تتجرأ تلك الشخصيات الروائية على كل شيء ونحن عاجزون عن فعل شيء؟».

طبعت الرسالة وطوتها أربع طيّات. فمن الآن فصاعدًا حين تشك في قدرتها أو حين تعوزها الشجاعة على فعل شيء ستعيد قراءة هذه السطور.

«هل لأن حريتهم هي مصدر أفعالهم؟».

مكتبة هي و هو

هذا الرجل مُحقٌّ فيما يقول!

وضعت أصابعها على لوحة المفاتيح.

عزيزي بول

أحببت رسالتك كثيرًا. أنا أيضًا لم أزر هذا النوع من مواقع التعارف من قبل. بل كنتُ سأسخر من صديقة توافق على قبول دعوة لتناول العشاء مع شخص مجهول. لكنك وضعت بالفعل يدك على الحقيقة: هل حرية الشخصيات الروائية هي التي تجعلنا نحلم بأن نكون مثلهم، أم أنها الطريقة التي يتغيرون بها من خلال هذه الحرية؟ لماذا تتجرأ تلك الشخصيات الروائية على كل شيء ونحن عاجزون عن فعل شيء؟ (أعتذر على التكرار، فأنا لست كاتبة).

ولأنني لا أخالط تلك الشخصيات في الواقع، فسأكون سعيدة أن أتناقش مع واحد من هؤلاء الذين يخرجونها إلى الوجود. لا بد أنك تشعر بلذّة مفرطة أن تجعل تلك الشخصيات تفعل كل ما يبدو لك جيدًا، إلّا لو كانوا، من وقت إلى آخر، هم الذين يفرضون قانونهم؟ أنت مشغول بلا شك، والأفضل أن نتناقش معًا في ما أقوله وجهًا لوجه.

إلى اللقاء هذا المساء، وأنا أعني ذلك بطريقة محترمة جدًّا.

ميّا.

ملحوظة: إنني إنجليزية، ولا أدّعي الكمال أيضًا.

***

«غير معقول!» هتفت لورين.

انتظرت أن يبتعد النادل، شربتْ كأس الليمون بجرعة واحدة ومسحتْ فمها بظهر يدها.

«ستحقّق رسالتي الغرض منها، أليس كذلك؟».

«رسالتك كافية وستدفعها لا شك إلى الرد. أنت بالفعل مستعد لتقوم بأي شيء يثنيه عن السفر إلى كوريا، لكنك مخطئ».

«أنتِ مَنْ بادر بهذه اللعبة».

«فعلتُ ذلك قبل أن يعقد موعدًا مع ناشره...».

«ما أريده هو أن يذهب إلى صالون الكتاب، ويعود منه. ... قبل أن يتحدث لنا عن السبب الآخر لسفره».

«هذا سبب إضافي!».

«وكيف ستقنعه بالقدوم إلى هذا المطعم؟».

«هنا سأحتاج إليكِ».

«أنتَ دومًا بحاجة إليّ».

«سوف أخترع عشاءً مع زبونة مهمة وأطلب منه العون».

«لم يمارس ذلك العمل منذ سبعة أعوام. بماذا يمكن أن يكون مفيدًا؟».

«اللغة، ربما؟».

«أنت تجيد الفرنسية مثله، بل أفضل منه».

«وهو يعرف باريس جيدًا».

«لكن من أجل أي مشروع؟».

«سؤال جيد ومن المهم الاستعداد له حتى لا يشك في الأمر».

«يمكنك فقط أن تخبره أن المشروع خاص بأحد المطاعم».

«هذا غير كافٍ لإغراء وكالتنا للمشاركة فيه قياسًا إلى بُعد مكان هذا المطعم المزعوم».

«نقول إنه مطعم كبير جدًّا؟».

«لا، لمَ لا يكون المشروع خاص بمطعم أمريكي سيفتح فرعًا له في فرنسا؟».

«هل سيصدّق ذلك؟».

«أعرف أنه سيصدقه! مطعم «سمباد»، مطعمه المفضل في سان فرانسيسكو، يقرّر افتتاح فرع له هنا».

«وماذا سيكون دوري؟».

«لو طلبت منه ذلك بنفسي، فربما يثير فعلي هذا شكوكه، ويرفض الاستجابة، ولكن إذا أصررتِ أنتِ على دعوته، فإنه سيتقبّلها من أجلك».

«ستكون حركة حمقاء وتدخُّلًا فجًّا في حياته».

«ربما، ولكن هذا التدخّل لصالحه، إني أثق بكما أنتما الاثنين. وأنتِ تعرفين إلامَ ألمح».

«لن تلومنا لأننا أنقذنا حياتك؟».

«أوه نعم، أنا بدوري، سأنقذ حياته، ولن يكون هناك سبب لكي يلومني عليه».

«بلى، بمجرّد أن يشعر بأنك أوقعته في ورطة ستصير بقية الأمسية جحيمًا. وعمَّ سنتحدث على العشاء؟».

«لن نتحدث في أي شيء لأننا لن نكون هناك من الأساس!».

«ستجعله يتناول العشاء مع امرأة مجهولة لبّت دعوته من موقع للتعارف، بينما هو يظن أنه سيلتقي زبونة ليتحدث معها كمعماري؟».

انفجرت لورين بالضحك، وأضافت:

«أرغب كثيرًا في رؤية ذلك».

«وأنا أيضًا، لكن دعينا لا نبالغ».

«لن ينجح الأمر أبدًا، سيكتشفان الحقيقة حتى قبل أن تُقدَّم أطباق المقبلات».

«ربما. أتمنى أن ينجح الأمر، حتى لو كانت الفرص ضئيلة. فكم

مرة نجحْتِ أنتِ في تحقيق المستحيل في غرفة العمليات، وسط تأكيد الجميع لكِ بعدم توفر أي فرصة أمامك لتحقيق مرادك».

-لا تحاول التأثير عليَّ عاطفيًا، فأنا لا أعرف هل لعبتنا مقزّزة أم مضحكة!

«ربما الاثنان! إلّا لو نجح الأمر».

طلبت لورين الحساب من النادل.

سأل آرثر: «إلى أين نذهب؟».

«نحزم حقائبنا ونبحث عن فندق، أخشى أن يطردنا غدًا».

«فكرة جيدة جدًّا. لنغادر باريس هذه الليلة، سآخذك في زيارة للنورماندي».

***

وجد بول أن آرثر تسرَّع عندما حجز باسمه، كما أزعجه أن يكون أول الواصلين. ثمّ إن النادلة أرشدته إلى طاولة لأربعة أشخاص لكن الطاولة مجهّزة بطبقين فقط. وسرعان ما تم تجهيز الطبقين الآخرين بعد أن أشار بهذه الملاحظة إلى النادلة الشابة.

وصلت ميّا على الموعد تقريبًا. حيّت بول وجلست على المقعد المقابل له.

قالت وهي تبتسم:

«كنت أظن أن جميع الكتّاب عجائز».

«أفترض أن مَنْ لم يمت شابًّا منهم سينتهي إلى الشيخوخة».

«هذا جواب هولي غولايتلي(1)».

---

(1) هولي غولايتلي Holly Golightly هي بطلة رواية الكاتب الأمريكي ترومان كابوت «فطور على مائدة تيفاني» ا Breakfast at Tiffany's التي نشرت عام 1958 والرواية تم اقتباسها في فيلم عرض بالاسم نفسه عام 1961 من إخراج بليك إدواردز ومن بطولة أودري هيبورن وباتريسيا نيل. (المترجم).

مكتبة هي و هو

«من فيلم فطور على مائدة تيفاني».

«أحد أفلامي المفضّلة».

قال بول: «أنا أقدّر ترومان كابوت كثيرًا وأكرهه في آن واحد...».

«ولماذا هذا الموقف؟».

«يتمتّع هذا الرجل بموهبة لا تجتمع في رجل واحد، وهذا يدعو إلى الغيرة. كان عليه أن يشارك الآخرين هذه الموهبة، ألا تشاركينني الرأي؟».

«أجل، ربما».

«معذرة، هو لم يتأخر من قبل أبدًا».

«خمس دقائق تأخير عن الموعد لا يعني شيئا في نظر المرأة». أجابت ميّا.

«لا أتحدث عنكِ، ولا يحقّ لي أن أفعل. أتكلّم عنهما، لا أعرف ماذا يفعلان فقد كان عليهما أن يكونا هنا».

«أممم.. حسنًا.. كما تشاء».

«أعتذر من عدم تقديم نفسي، أنا بول وأنتِ...».

«ميّا».

«أفضّل انتظار وصولهما لنناقش ما جئنا لأجله، ولكن هذا لا يمنع الحديث في شيء آخر. هل أنتِ إنجليزية؟ هذا واضح من لكنتك».

«بالتأكيد. لقد كتبت لك تلك الملحوظة في رسالتي».

«آه. لم يخبرني بذلك! وأنا، أمريكي، ويمكن أن نتبادل الحديث بلغة موليير، الفرنسيون لا يطيقون كلامنا باللغة الإنجليزية في ديارهم».

«لا بأس، لنتحدث بالفرنسية».

«معذرة لم أقصد إثارة مخاوفك بما قلته، لكن الفرنسيين يعشقون المطاعم الأجنبية. وإنها لفكرة ممتازة فتح مطعمٍ في باريس».

أجابت ميّا متقمّصة شخصية ديزي: «مطبخي ريفي».

«هل في نيّتك الإخلاص لأصولكِ؟».

«لا يمكن أن تتصوّر كم يهمني الإخلاص، لكن بوسعنا الجمع بين الأصالة والإخلاص».

أجاب بول، مرتبكًا: «أفترض أن هذا ممكن».

«ما نوع كتاباتك؟».

«هل كلمكِ عن كتاباتي؟ لم يكن عليه أن يفعل. أكتب روايات، ولكن من دون أن أترك مهنتي».

«هل تقصد الهندسة المعمارية؟».

«طبعًا وإلّا، ما الذي أفعله هنا؟» أجاب بول وهو ما أربك نوعًا ميّا ثم أضاف: «ما الذي أخبركِ به أيضًا؟».

إنه يتحدّث عن نفسه بضمير الغائب، أعرف كيف أختار الرجال!.

سألها بول: «هل قلتِ شيئًا ما، لكنني لم أنتبه؟».

«لا شيء. آسفة، يحدث لي أحيانًا أن أتكلم مع نفسي».

ابتسم لها بول ابتسامة عريضة، وقال:

«أيمكنني أن أبوح لكِ بسّر؟».

«إذا رغبتَ في ذلك».

«يحدث لي أنا أيضًا أن أتكلم مع نفسي». وأضاف: «لن أتردّد في التعبير لهما عن انزعاجي بسبب تأخرهما عن الموعد. أنا مندهش للغاية من تصرّفهما».

أكدت ميّا: «أنا أكثر اندهاشًا».

«أي تصرّف لا ينسجم مع المهنية هذا؟! وأؤكد لك أن هذا ليس من طبيعتهما».

«ومجنون أيضًا!... ولكن ما الذي أفعله هنا؟».

«هي تزمجر، وهذا شيء خطير، سأقتل آرثر وأقطّعه إربًا إربًا، إنني طيّب جدًّا. ولكن ماذا يفعلان حتى يتأخرا هكذا، يا إلهي؟».

مكتبة هي و هو

«ربما لم يكن ما فعلته فكرة جيدة، لكن كما قلت لك، إنها المرة الأولى وهو أمرٌ يُسبب الكثير من الإحراج بدرجة أكبر مما ظننت».

«تقولين لي.. هل هذه أول مرة تأتين فيها إلى باريس؟ أنت تجيدين التحدث بالفرنسية، أين تعلمتِها؟».

«لا ليس هذا ما أردت قوله لك. فهذه ليست أول مرة أقيم فيها هنا، وصديقتي المفضّلة فرنسية. تعارفنا منذ سنوات طفولتنا، كانت تأتي لتقيم عندنا من أجل تعلّم الإنجليزية، وكنت بدوري أقضي عطلتي في بيتهم الريفي».

«وهناك تعلّمتِ الطبخ على الطريقة الريفية الأصيلة؟».

«نعم».

ساد صمت بينهما لبضعِ دقائق فقط، لكنها بدت لهما كأنها دهر ثم عادت النادلة بقائمة الطعام.

قال بول: «إذا ما استمر غيابهما، فإننا سنطلب الأكل من دونهما، حتى يتعلما ألا يتأخرا».

«أظن أنني لم أعد جائعة». قالت ميّا وهي تضع قائمة الطعام على المائدة.

«خسارة، فالطعام لذيذ، قرأت مقالات جيّدة عن هذا المطعم».

«سمكة «دوراد» مشوية على النار مع أعشاب آتية من أقصى العالم. لقد كتبتها لي».

«متى كتبتُ ذلك؟ تساءل بول وقد غلبه الاندهاش.

«هل تتناول أدوية؟».

«لا، لماذا؟ وأنتِ؟».

«أفهم ما تفعله. تنهدت ميّا، إنك تحاول أن تضحكني أو تسعى لتخفيف التوتر عني، لكن ليس ثمة داعٍ أن ترهق نفسك وأنت تفعل

مكتبة هي و هو

ما تفعله، لأنه لا ينجح، بل يرعبني، أرجوك إذًا أن تتوقف، فليس ثمة مشكلة».

«لم أحاول إضحاككِ.. ومن أي شيء أخيفك؟».

هذا الرجل مجنون تمامًا. لن أعترض على ما يفعله، وفي أسوأ الحالات، سأطلب بعض المقبلات ثم أرحل خلال ربع ساعة. «أنتَ على حق، لا تتنظرهما بعد ذلك، لن ننتظرهما إلى الأبد، كان عليهما الحضور في الموعد».

«حسنًا! لنطلب الأطباق، وبعد ذلك، حدثيني عن مشروعك».

«أي مشروع؟».

«مطعمكِ!».

«قلت لك، مطبخ الجنوب. على وجه الدقة مطبخ «نيس»».

«آه، مدينة «نيس»، كم أحب هذه المدينة، لقد دُعيتُ إلى هناك لحضور صالون الكتاب في حزيران الماضي، كان الجو شديد الحرارة، ولكن الناس كانوا مضيافين جدًّا، أو تحديدًا الأشخاص الذين وقّعت بعض كتبي لهم وكان عددهم قليلًا لكي أكون صادقًا معك».

«كم رواية كتبتَ؟».

«ست روايات، من بينها الرواية الأولى بالطبع».

«لكن لماذا كنت تفترض عدم اعتبار روايتك الأولى ضمن ما كتبت من روايات؟».

«لا يوجد سبب، ففي أثناء الكتابة لم أكن أعرف بأنني كنت أكتب رواية».

بدأ يُقرفني بالفعل بمناقشته البلهاء. «ماذا تتصوّر أنك كنت تفعل وأنت تكتبها، هل كنت تظن أنك تلعب بالرمل على الشاطئ؟!».

هل هي غبية حقًّا أم إنها تستغبيني؟ «لا، ما أردتُ قوله، أنني لم أكن أتخيل أن ما أكتبه سيُنشر، ولم يكن في ذهني حتى أن أرسله إلى ناشر».

مكتبة هي و هو

«لكن نُشِرت روايتك؟».

«نعم، لورين هي التي بعثت النص من دون أن تطلب مني إذنًا، وهو ما ضايقني كثيرًا، لكن حسنًا أنا لا ألومها على ذلك، حتى في ظل صعوبة تعايشي مع الأمر في البداية. إنما في النهاية أنا مدين لها بالعيش هنا».

«هل أستطيع أن أطرح عليكَ سؤلًا قد يبدو لك تطفلًا؟».

«بإمكانك طرح أي سؤال تريدين، وأنا لست مجبرًا على الإجابة».

«هل تعيش بعيدًا عن هنا؟».

«أعيش في الدائرة الثالثة من باريس».

«أي على بعد أكثر من خمسِ مئة متر من هذا المطعم؟».

«نحن هنا في الدائرة الأولى، ما يعني أن بيتي أبعد من ذلك، لماذا؟».

«لا لشيء».

«وأنتِ؟».

«في مونمارتر».

«حي جميل جدًّا. حسنًا، قُضي الأمر سنطلب الطعام».

استدعى بول النادلة.

«أقترح عليك سمك «دوراد». قال ذلك وهو ينظر إلى ميّا».

لكن ميّا توجهت إلى نادلة المطعم سائلة:

«هل يتطلب إعداد طبق سمك «دوراد» وقتًا طويلًا؟».

أومأت النادلة بكلمة: لا، وانصرفت.

مال بول نحوها وقد بدا عليه الاندهاش وقال:

«لا أريد التدخل بما لا يعنيني، لكن إذا أردتِ أن تفتحي مطعمًا للأسماك، يجب أن تعرفي الوقت اللازم لطهو سمك «دوراد». واعتدل في جلسته وهو يتبسّم ساخرًا».

هذه المرة، كان الصمت طويلًا. وكان كلٌّ منهما يراقب الآخر.

مكتبة هي و هو

أخيرًا سألها بول: «هكذا إذًا، أنتِ تحبّين سان فرانسسكو، هل عشتِ هناك؟».

«لا، زرتها في إطار العمل مرات عديدة. مدينة جميلة، وأضواؤها ساحرة».

«أظن أنني عرفت! تعلّمت الطبخ في «سمباد» وقرّرت نقل هذه الخبرة هنا».

«ما «سمباد» هذا؟».

«سوف أقتله، أقتل الاثنين معًا»، تمتم بول، هذه المرة بصوت عالٍ فسمعته ميّا. ثم أضاف: «بصراحة، أعتذر إذ أقول لكِ هذا، ولكن كان بإمكان آرثر أن يكون أكثر دقّة على الأقل».

«أنت تتحدث عن هذا القتل المزدوج بالمعنى المجازي، أليس كذلك؟».

«كم تبدو بلهاء بسؤالها هذا! ماذا أفعل هنا؟ ماذا أفعل هنا بدلًا من أن أكون في بيتي؟» «أؤكد لكِ، ليس لدي نيّة قتل أحد، لكنني أعترف أنني في مأزق! كيف أبدو أمامك الآن؟ مجرّد رجل غير كفء لا يعرف الملف الذي يشتغل عليه».

«هل أنا عبارة عن ملف؟».

«أنت تقولين ذلك عن قصد؟ أنا لا أتحدث عن شخصكِ، بل عن السبب الذي جمعنا معًا هنا».

قالت ميّا بنبرة حازمة وهي تضع يديها على الطاولة: «حسنًا، أظن أننا قلنا ما هو جوهري وبما أنني لست جائعة... لكنني أتضور جوعًا... يمكنك أن تأكل سمكة «دوراد» من دوني».

«معذرة»، قال لها بول مرتبكًا، وأضاف: «لقد أسأت التعبير، أعتذر لكِ ثانية. ربما فقدتُ السيطرة على نفسي، فبصراحة أنا لم أمارس هذا العمل من مدة طويلة. قلت لها إن الأمر لن ينجح وقد كان عليَّ أن

مكتبة هي و هو

أرفض، وما كان عليها أن تتركني بمفردي هنا. هي لم تكن صادقة معي، هما الاثنان افتقرا إلى الصدق معي».

«ألديك أشباح تتقاسم معهم حياتك! أم أن هؤلاء الأشخاص الذين تتحدث عنهم موجودون بالفعل ؟».

«مجنونة! إنني أمضي المساء مع فتاة إنجليزية فقدت عقلها، أنا موعود بمثل هذه الأشياء!».

«أنت تتمتم من جديد...!».

«كنت أفكّر بشريكي السابق، آرثر، وزوجته لورين. هل ما زلتِ تصرّين على تكليفه بوضع وتنفيذ التصور المعماري الخاص بمطعمك؟».

«لا أظن». أجابتْ بنبرة قاطعة.

«بوسعي تفهُّم ذلك... أردت أن أقول، قبل هذا الموعد الكارثي».

«لا أظن».

«ماذا تفعلين هنا إذًا؟».

«حتى هذه اللحظة كانت مجرد شكوك، ولكن الآن تأكد لي أنك مجنون. لقد حذّرتني ديزي، ولم أصغِ إليها».

«جميل! لا أدري كيف فكّرت ديزي بأني مجنون وأنا لا أعرف من الأساس امرأة اسمها ديزي! لا، بل أعرف واحدة لكنها كانت سيارة إسعاف(1). عليك نسيان ما قلته للتوّ فتلك قصة طويلة. من ديزي هذه؟».

عند وصول النادلة توقف بول للحظة، وكانت ميّا تنتظر قدوم النادلة حتى تنصرف، ففي حضور تلك النادلة لن يتجرأ هذا المعتوه على اللحاق بها. وبمجرد أن تتخلص منه ستعود إلى مونمارتر، وستهرع إلى

---

(1) في رواية «ماذا لو كانت واقعية؟...» Et si c'etait vrai نقل آرثر وبول جسد لورين وهي من دون حراك من سان فرانسيسكو إلى كارمل على متن سيارة إسعاف قديمة اسمها ديزي. (المؤلف).

مكتبة هي و هو

الكمبيوتر وتمسح بياناتها من هذا الموقع اللعين وينتهي الأمر. وبعد ذلك، ستذهب لتناول العشاء في مطعم «لاكلامادا»، لأنها تتضور جوعًا.

«لماذا تظنين أني مجنون؟» سألها بول.

«اسمع، لن ينجح الأمر، كانت لعبة وقد ندمت على ما فعلت».

أخذ بول نفسًا عميقًا في إشارة منه إلى شعوره بالراحة.

«بالتأكيد! كان عليّ أن أشك في الأمر. قد أدخلتني في لعبتكِ، كنت شريكة معهما! إذًا، برافو، قال وهو يصفق. لقد سقطتُ في الفخ. إنهما مختبئان في مكان ما هنا، أليس كذلك؟ حسنًا، لقد نلتم مني جميعًا، أخبريهما إذًا لكي يظهرا، فهذه هي قواعد اللعبة».

وابتسم بول ابتسامة عريضة، ثم استدار يمعن النظر بحثًا عن آرثر ولورين، بينما أصيبت ميّا بالفزع. وتساءلت إلى متى ستنتظر وتصبر حتى يصل طبق السمك الملعون.

«هل أنتَ كاتب حقًّا؟».

«نعم»، قال لها متحفزًا!.

«ربما هذا ما يفسر سلوكك. يحصل أن تهيمن بعض الشخصيات التي يكتب عنها الكاتب على حياته. أنا لا ألومكَ، بل ربما توجد بعض الشاعرية في هذا الجنون العذب. ولقد أحببت ما كتبته لي في رسالتك. أما الآن فسأتركك معهما وأذهب إلى بيتي».

«ماذا كتبتُ لكِ أيضًا؟».

أخرجت ميّا ورقة من جيبها، وفتحتها وسلمتها إلى بول.

«أأنتَ كاتب هذه السطور؟».

عاين بول النص ونظر إلى ميّا التي بدت عليها الحيرة.

«أعترف أن ثمة نقاط مشتركة تجمعني مع ما كُتب هنا في هذه الرسالة بل ربما أكون قد كتبت بعض الكلمات التي يقترب معناها مما قرأته الآن لكن يبدو أن المزحة لم تنتهِ بعد».

مكتبة هي و هو

«لا أمزح، ولا أعرف مَنْ هو آرثر الذي تتحدث عنه ولا زوجته!».

قال بول بنبرة ساخرة: «أخشى أن تكون مجرد صدفة مربكة. ثم إني لستُ الكاتب الوحيد في باريس. قد يكون موعدك على طاولة أخرى في مكان ما في هذه الصالة، أو ربما أنا أخطأت المكان».

«لكن صورتكَ كانت على ملف بياناتك الشخصية!».

«أيّ ملف؟».

«هذا يكفي، أرجوك، أصبح الموضوع معقّدًا! أتحدّث عن الصورة التي نُشرت على موقع التعارف».

«ماذا تقولين؟! لم أكن قط على موقع التعارف! التفسير الوحيد هو أن كل واحد منا كان له موعد مع شخص آخر».

«انظر من حولك، لا أرى قرينك!».

«ربما أخطأ كلانا العنوان؟» قال بول وهو يدرك عبثية ما يقوله.

«وربما لم يجدني الرجل الذي كنت على موعد معه على ذوقه، وسخر مني متظاهرًا بأنه شخص آخر؟».

«مستحيل، يجب أن يكون أعمى لكي يتصرف هكذا».

«أنت مجامل، أحببت صدقَ كلماتك وكان من المفترض أن تكون أفعالك أيضًا جيدة».

نهضت ميّا، فوقف بول وأمسك بيدها.

«اجلسي من فضلك. لا بد من وجود تفسير منطقي لما يحدث. أنا أجهل أسباب هذا الوضع المعقد... أو أنهما، وهذا ما لا أتخيله، قد دبّرا حيلة غريبة كهذه».

«هل تقصد صديقيك اللامرئيين؟».

«نعم، تمتلك لورين موهبة خارقة في فعل أشياء كهذه والاختفاء، وهذه ليست المرة الأولى التي أدفع فيها الثمن».

«أصدّقك في ما تقوله! أما الآن فسأرحل وأنتَ عِدْني بألّا تلاحقني».

مكتبة هي و هو

«لماذا ألاحقكِ؟».

هزّت ميّا كتفيها. كانتْ تستعد لمغادرة طاولة الطعام عندما ظهرت النادلة. كانت سمكة «دوراد» رائعة. بدا أن لعاب ميّا يسيل إلى درجة جعلت النادلة تبتسم وهي تضع الطبق أمامهما.

لقد جئت في الموعد المناسب! «شهية طيبة»، قالت النادلة وغادرت.

هيّأ بول شرائح السمك ووضع شريحتين في صحن ميّا. في تلك الأثناء، وصلت رسالة نصية إلى هاتفه. لم يُمضِ سوى لحظة في قراءتها. وتبدلت سحنته وهو يقول:

«سيدتي، هذه المرة أنا أقدم لك الاعتذارات الأكثر صدقًا في العالم».

قال لها هذه الكلمات وهو يضع الموبايل على الطاولة. فردّت عليه:

«أتقبّل اعتذاراتكَ عن طيب خاطر، ولكن بمجرّد أن ننهي هذا العشاء سأغادر».

«ألا ترغبين في معرفة لماذا أعتذر لكِ؟».

«لا. حقًّا لا أعرف، قل لي إذا كنتَ مصرًّا».

«أعترف بأنني اعتبرتكِ مجنونة، ولديَّ الآن البرهان على خطأ ما تصورته».

«من الجيد أن أسمع هذا الكلام منك، حتى لو أنك...».

قاطعها بول واضعًا الموبايل أمام عينيها لتقرأ الرسالة التي وصلته:

عزيزي بول..

أردنا أن نستحثّ القدَر قليلًا، ويمكن أن تخمّن ذلك، لقد رتّبنا لك خدعة نأمل أن تتحول إلى ليلة سعيدة. نعترف لك بأن ليلتنا كانت مزيجًا عذبًا من الإحساس بالذنب والضحك الجنوني. لا تُمَنِّ نفسك بالانتقام عند عودتك إلى بيتك لأننا غادرنا إلى مدينة هانفلور بعد ظهر

مكتبة هي و هو

هذا اليوم. وها نحن نكتب إليك من المطعم الذي نتناول العشاء فيه. السمك رائع، والميناء عبارة عن ديكور مشابه تمامًا لما نراه في البطاقة البريدية، كم بَهَرَ هذا المنظرُ لورين، والنزل الذي سنبيت فيه هذه الليلة يبدو رائعًا. نحن عائدان خلال يومين، وربما أكثر بقليل، وهذا رهن المدة التي تلزمك لمسامحتنا. لا بد أنك تنفجر من الغضب، ولكن في غضون سنوات قليلة، عندما نتذكر ذلك، سنضحك معًا بقلب مبتهج، من يدري فربما أصبحت ميّا امرأة حياتك، وحينها ستكون ممتنًّا لنا إلى الأبد.

في ذكرى جميع الخدع التي أوقعتنا فيها، نحن الآن متعادلون، أو تقريبًا.

نُقَبِّلُك.

آرثر ولورين.

تركت ميّا الموبايل على الطاولة، واحتست كأسها من النبيذ بجرعة واحدة، ما أثار دهشة بول، لكن ذلك لم يكن سوى مفاجأة أولى. فقد نظرت إليه وقالت:

«حسنًا، هذا أمر جيد، فعلى الأقل.. لا أتناول العشاء برفقة شخص مختل عقليًّا».

ردّ بول: «وماذا عن الجانب السيئ من الأمور؟».

«صديقاك يتمتّعان بروح فكاهية منحرفة لا يمكن قبولها، وخصوصًا من قبل ضحايا مزاحهما، أرى ما قاما به مهينًا لي بما يكفي».

«مهلًا، إن كان بيننا غبيّ أو مخدوع، فهو أنا لا أنتِ!».

«أنتَ على الأقل، لم تسجّل على موقع التعارف. أشعر بأنني مثيرة للشفقة».

اعترف بول: «فكرت أحيانًا أن أقوم بذلك. أؤكّد لكِ بأن ما أقوله هو حقيقة، وليس مجاملة، كان بمقدوري أن أفعل ذلك».

«ولكنكَ لم تفعله».

«المهم هو النيّة، أليس كذلك؟».

سكب بول النبيذ في كأس ميّا واقترح عليها أن تأخذ شريحة خبز محمَّص. ورفع نخبًا. فقالت ميّا:

«هل أستطيع أن أعرف لماذا نرفع الأنخاب؟».

«أما العشاء فليس بوسعنا.. لا أنا ولا أنتِ.. الحديثُ عنه مع أي شخص، فهذا السبب وحده يجعله عشاء مميزًا له خصوصيته. هل يمكن أن أقترح عليكِ اقتراحًا صادقًا من دون أي نيّاتٍ مسبقة؟».

«لو اقترحت عليّ طبق حلويات فلن أمانع، فلا أخفي عنك أنني ما زلت جائعة فهذه السمكة كانت صغيرة جدًّا».

«طبق حلويات!».

«أكنت تفكر في شيء غيره؟».

«هل يمكن أن تريني الرسالة التي كان يُفترض أن أكون أنا من كتبها إليك، أود أن أعيد قراءة مقطع منها».

قدمتها له ميّا.

«ينطبق هذا الكلام علينا تمامًا! لأننا برهنّا على أننا أشجع من شخصيات الرواية، على الأقل لأننا لن نغادر طاولة الطعام ونحن نشعر بأننا تعرضنا أنا وأنتِ للإهانة، لنمحُ ما جرى بيننا، وكل ما قلناه بحق بعضنا. والأمر سهل، فقط علينا أن نضغط زر المحو لكي نحذف النص. ثم نعيد معًا كتابة المشهد من لحظة دخولك إلى المطعم».

ابتسمت ميّا عند سماع اقتراح بول، وقالت:

«أنت بالفعل كاتب!».

مكتبة هي و هو

«عبارة جميلة تصلح كبداية فصل جديد لهذا المشهد ويمكن ربطها مع الفقرة التي اقتبستها من ترومان كابوت:

«كنت أظن أن جميع الكتّاب عجائز»، قالت وهي تبتسم.

«أفترض أن مَنْ لم يمت شابًّا منهم سينتهي إلى الشيخوخة».

«هذا جواب هولي غولايتلي».

«من فيلم فطور على مائدة تيفاني».

«أحد أفلامي المفضّلة».

«أنا أقدّر ترومان كوبوت كثيرًا وأكرهه في آن واحد» قال بول.

«ولماذا هذا الموقف؟».

«يتمتع هذا الرجل بموهبة لا تجتمع في رجل واحد، وهذا يدعو إلى الغيرة. كان عليه أن يشارك الآخرين هذه الموهبة، ألا تشاركينني الرأي؟».

«بلى، ربما».

«هل أحببت الرسالة التي بعثتها لك؟».

«وجدت فيها بعض السمات المميزة التي تكفي لأن أكون هنا الليلة».

«أمضيت ساعات أمام شاشة كمبيوتري لكي أستطيع بصعوبة بالغة كتابة هذه السطور القليلة».

«وأنا أيضًا أمضيت الساعات نفسها لكي أجيب على رسالتكَ».

«أرغب كثيرًا في إعادة قراءة الرسالة التي تركتِها لي. وكذلك لديكِ مطعمًا للطبخ الريفي؟ إنه شيء أصيل لامرأة إنجليزية».

«أمضيت فصول الصيف في الريف، وذكريات الطفولة هي التي تشكل أذواقنا ورغباتنا، على ما أظن. وأنتَ، أين كبرتْ؟».

«في سان فرانسيسكو».

«كيف يتحول كاتب أمريكي مثلك ليصير باريسيًّا؟».

«إنها قصة طويلة، لا أحب الحديث عن نفسي، لأنه أمرٌ مُضجر».

مكتبة هي و هو

«وأنا أيضًا، لا أحب الحديث كثيرًا عن نفسي».

«قد يعرّضنا هذا لخطر مواجهة وضع لا نجد فيه أي شيء لنكتب عنه».

«ما رأيك لو قمنا بتوصيف هذا المكان؟ كم صفحة يمكن أن ننجز فيها هذا الموضوع؟».

«تفصيل أو تفصيلان كافيان لوصف الديكور، أو الأجواء إذا لزم الأمر، لكن بعد ذلك سيشعر القارئ بالضجر».

«ظننتُ أنه لا توجد أيّ وصفة جاهزة لفعل الكتابة».

«كنت أتحدث من وجهة نظر القارئ وليس الكاتب. يبدو أنكِ تحبين الوصف الطويل؟».

«لا، أتفق معك أن الوصف غالبًا ما يكون مملًّا. إذًا، ما الذي يجب أن نكتبه بعد ذلك؟ ما الذي سيفعله بطلايَ هذا العشاء؟».

«سيطلبان الحلويات؟».

«طبق حلويات واحدًا؟».

«طبقَين، أذكّرك بأنه العشاء الأول، يجب أن نكون متحفّظين».

«باعتباري مؤلفة مشاركة، اسمح لي أن أشير إلى أن البطلة كانت ترغب كثيرًا أن يقدّم لها البطل كأسًا أخرى من النبيذ».

«فكرة جيدة، لكن كان عليه أن يقدّم لها هذه الكأس من قبل حتى أن تطلبها هي منه».

«لا، كانت ستفكّر حينها أنه قد يرغب أن يسكرها».

«نسيت أنها إنجليزية».

«عدا ذلك، ما الشيء الذي لا تتحمّله في المرأة؟».

«لماذا - إن لم تمانعي ذلك - لا نطرح السؤال بصيغة إيجابية، كأن يكون: ما الشيء الذي تستحسنه في المرأة؟».

«لا أوافقك، السؤال بهذه الطريقة يختلف معناه وبافتراض طرحه بهذه الصيغة فسيصير من آليات الإغواء».

مكتبة هي و هو

«هذا الأمر قابل للنقاش، لكن لو قبلت صيغتك في طرح السؤال سأجيب: الكذب. لكن إذا ما استخدمنا صيغتي التي اقترحتها في طرحه فسأقول: الصراحة».

نظرت ميّا إليه طويلًا قبل أن تطلق كلماتها:

«لا أرغب في مضاجعتكَ».

«المعذرة! ماذا قلتِ؟».

«إنها الصراحة، أليس كذلك؟».

«لكنها صراحة صادمة؟ وأنتِ، ما الذي تستحسنينه في الرجل؟».

«الصدق».

«لا نيّة لي في مضاجعتكِ».

«هل تراني قبيحة؟».

«أنت فاتنة! بوسعي إذًا أن استنتج من سؤالك السابق أنني قبيح في نظرك؟».

«لا، أنت رجل أَرْعَن، وأنت تستوعب ذلك وهو أمر نادر أن يحدث، لكني أراه لطيفًا. أنا لم آتِ إلى هذه المائدة وأنا أحلم ببداية رحلة جديدة في حياتي، إنما جئت لكي أمحو الماضي».

«أما أنا فالخوف من ركوب الطائرة هو ما جاء بي إلى هنا».

«لا أفهم! ما العلاقة بين ركوب الطائرة ومجيئك إلى هنا».

«مجرّد تلميح، ضرب من الأحجية سوف تفهمينه في فصل آخر».

«هل هناك فصول أخرى؟».

«ما دمنا لا نرغب في مشاركة السرير نفسه، فلنبقَ أصدقاء».

«هذه فكرة جديدة من نوعها، فعادة تقول الشخصيات هذه الجملة في لحظة القطيعة: «لنبقَ أصدقاء».

«لا، بل أظنها فكرة جديدة من نوعها للغاية!».

«هل يمكن حذف للغاية؟».

مكتبة هي و هو

«لماذا؟».

«أراها تُضعف من أناقة الجملة. أفضّل استخدام الصفات، ولكن ليس بكثرة في الجملة الواحدة. ألا توافقني أن التعبير التالي سيكون أكثر جمالًا: «بل هي فكرة جديدة جدًّا!» وفي اللغة الإنجليزية، نقول، هذا جديد بما يكفي، أليس كذلك؟ هذا تعبير أكثر دقّة».

«ليكن، سأبدأ الجملة من جديد: بما أنني لست من نوع الرجال الذي تفضلينه، هل أصلح كصديق؟».

«شريطة أن لا يكون اسمك «غاسباشو 2000»».

«ماذا، لا تخبريني أن هذا هو الاسم المستعار الذين منحوني إياه في موقع التعارف!».

قالت ميّا وهي تضحك: «لا، لقد انطلت عليك الخدعة، وهو أمر يحدث بين الأصدقاء، أليس كذلك؟».

«أعتقد ذلك». ردّ بول.

«إذا ما كان عليَّ قراءة أحد كتبك، أي كتاب تنصحني بقراءته أولًا؟».

«كتاب لروائي آخر».

«أجب عن سؤالي».

«الرواية التي يمنحك ملخصها الرغبة في ملاقاة شخصياتها».

«إذًا.. سأبدأ بالرواية الأولى».

«لا.. إلّا الرواية الأولى!».

«لماذا؟».

«لأنها أول عمل كتبته. هل ترغبين أن يحكم الناس الذين يأتون إلى مطعمك عليه من أول طبق قمتِ بطبخه؟».

«يجب ألا نحكم أبدًا على صديق، بل يجب أن نتعلّم كيف نعرفه بطريقة أفضل».

حملت النادلة لهما طبقان من الحلويات، وقالت:

مكتبة هي و هو

«طبق إيكلير بفاكهة اللوكوما الاستوائية والنارنج، وكعكة بالتين مرفقة ببوظة الجبن الأبيض. هدية الشيف».

وتوارت سريعًا كما جاءت.

«هل لديكَ فكرة عن فاكهة اللوكوما الاستوائية والنارنج؟».

شرح بول: «إحداهما ثمرة بيروفية، والأخرى من الحمضيات، ما بين اليوسفي والبرتقال الذهبي».

«أنت تدهشني بشرحك هذا!».

«كان عليكِ أنتِ بصفتك «شيف» معرفة هذه المعلومات، أليس كذلك؟».

«حسنًا، كنت أجهل ذلك».

«قرأتُ هذه المعلومات أثناء انتظاري لكِ، وهي تفاصيل مدوّنة على قائمة الطعام».

رفعت ميّا عينيها إلى السماء.

علّق بول على حركتها: «كان بإمكانكِ أن تصبحي ممثلة».

«لماذا تقول ذلك؟».

«لأن وجهكِ معبّر جدًّا عندما تتحدثين».

«هل تحب السينما؟».

«أجل، لكنني لا أتردد على صالات السينما أبدًا. شيء مريع، لم أرَ فيلمًا منذ إقامتي في باريس. أكتب في الليل، ولا أحبّذ الذهاب إلى السينما وحيدًا».

«أنا أحب الذهاب إلى السينما بمفردي، وأن أذوب وسط المتفرجين، وأراقب الصالة».

«هل أنتِ وحيدة منذ زمن طويل؟».

«منذ البارحة».

مكتبة هي و هو

«أي إنكِ صرتِ وحيدة منذ فترة قريبة للغاية. إذًا، كنتِ مرتبطة بأحدهم عند تسجيلك على هذا الموقع؟».

«أظن أن هذا الجزء من النص قد تم رميه في سلة المهملات. ثم أنا قصدت أني صرت وحيدة بشكل رسمي أمس، لكن أنا كنت وحيدة بالفعل من أشهر قليلة مضت. وأنتَ؟».

«كلا، لستُ لوحدي بشكل رسمي لأن المرأة التي أحبّها تعيش في الطرف الآخر من العالم، وإضافة إلى ذلك أنا لا أدري بالفعل ما الذي يجمعنا. لكن للإجابة على سؤالك سأقول: أنا وحيد منذ زيارتها الأخيرة منذ ستة شهور».

«هل سبق أن زرتها في بلدها؟».

«أخاف ركوب الطائرة».

«لكن يقال إنه يمكن للحب أن يمنحك جناحين لتطير بهما، أليس كذلك؟».

«هذا قول تقليدي، إن أذنتِ لي».

«وهي ماذا تعمل؟».

«مترجمة، أقصد مترجمة رواياتي، وفي هذا أشك بأن تكون وفيّة لي. ورفيقكِ، ماذا يعمل؟».

«شيف مطبخ مثلي، بدرجة أقل من شيف أي مساعد شيف».

-هل تعملان معًا؟

«سبق لنا أن عملنا معًا، ولكنها كانت فكرة سيئة للغاية».

«لماذا؟».

«لأنه انتهى إلى مضاجعة الفتاة التي تغسل الصحون».

«يا لفظاظته!».

«هل كنتَ مخلصًا دومًا لمترجمتك؟».

جلبت النادلة الفاتورة، فسحبها بول من يدها.

مكتبة هي و هو

«كلا، لنشترك معًا في دفعها» احتجّت ميّا «هذا عشاء بين أصدقاء».

«لقد تحملتِ الكثير خلال هذا العشاء، فلا تلوميني على ذلك فأنا أَرْعَن ومن طراز قديم من الرجال».

* * *

رافق بول ميّا حتى محطة التاكسي. وفي الطريق قال لها:

«آمل ألا تكون هذه الليلة قد أرهقتكِ بكل ما جرى فيها».

ردّت ميّا: «هل أستطيع أن أطرح عليكَ سؤالًا؟».

«هيا، هاتي ما عندكِ».

«هل تظن أن رجلًا وامرأة يمكن أن يصبحا صديقَيْن من دون أن يحدث بينهما أيّ سوء فهم؟».

«إن كان الأمر يتعلق بشخص خرج بالكاد من علاقة غرامية وبآخر يمرّ بالفعل بتجربة عاطفية أتصور أن الإجابة ستكون نعم. على أية حال، أمر لطيف أن يسرد المرء حياته الخاصة لشخص مجهول من دون الخشية من الحكم على شخصه».

خفضت عينيها وأضافت:

«أظن أنني بحاجة إلى صديق في هذه اللحظة».

قال بول: «أقترح عليك شيئًا. إذا ما رغبنا في اللقاء ثانية كصديقين في الأيام المقبلة، سوف نتواصل لكن بشرط أن نرغب بالفعل في هذا اللقاء ومن دون أن نكون مجبرَين على فعل ذلك».

ابتسمت ميّا، وقالت وهي تركب التاكسي: «اتفقنا، هل تريد أن أوصلكَ إلى مكان ما؟».

«سيارتي مركونة بالقرب من هذا المكان، كان عليّ أن أعرض عليك مثل هذا العرض، لكن أظن أن الآوان قد فات».

«إذًا، ربما نلتقي قريبًا». قالت وهي تغلق باب السيارة.

* * *

مكتبة هي و هو

شارع بولبوت في مونمارتر. قالت ميّا لسائق التاكسي.

شاهد بول سيارة التاكسي تبتعد ثم أكمل طريقه، كان مزاجه رائقًا وكان الليل صافيًا وكانت سيارته قد سُحِبت إلى ساحة حجز السيارات المخالفة!

* * *

أجل، انتهت الليلة بشكل أفضل مما بدأت، ولكن تمسكي بتنفيذ قراراتِك بمجرد أن تذهبي إلى بيت ديزي، ستمحين بياناتِك الشخصية وتنتهي اللقاءات مع الغرباء. سيكون ذلك درسًا لكِ، على الأقل.

كانت تتمتم بصوت مسموع لفت السائق الذي نظر إليها مستفهمًا، لكنها أكملت.مكتبة

أجل، لم يكن مجنونًا، ولكن كان من الممكن أن يكون كذلك. ما الذي كنت ستفعلينه في هذه الحالة؟ وماذا كان سيحصل إذا تعرف عليكِ أحد في هذا المطعم؟ لا تضخّمي الأمر، فلا أحد بإمكانه أن يتعرف عليكِ... لا تخبري أحدًا بما جرى لكِ في هذه الليلة أبدًا. لا تخبري ديزي... خصوصًا ديزي، ستقتلني... لا تخبري أحدًا... اجعلي هذه الليلة سرًّا من أسرارك، قصة سوف تسردينها لأحفادك عندما تصبحين جدة عجوزًا، جدة عجوزًا وطاعنة في السن.

* * *

كم صعب أن نعثر على تاكسي في هذه المدينة؟» تذمر بول وهو يقطع شارع ريفولي. «يا له من عشاء! تصورتها بالفعل بلهاء، في النهاية، لا بد أن تكون كذلك نوعًا ما، ما دامت قد زارت موقعًا للتعارف... بخصوص هذا الموضوع، هناك اثنان لا بد أنهما يسخران مما حدث هذه الليلة، ولا بد أنهما يواصلان الضحك في فندقهما في مدينة هانفلور، لكن انتظرا، أنا من سيجعل منكما موضوعًا للضحك. ولو كنت تفكر يا آرثر بأننا

مكتبة هي و هو

متعادلان، فهذا يعني، أيها الرجل العجوز، أنك لا تعرفني كما ينبغي! أعلم أنه لا بدّ من الإعداد جيدًا لفعل الانتقام، فكما يُقال.. الانتقام مثل وجبة طعام تؤكل باردة، أما أنا.. فلن أدعها تبرد وسأستمتع بها وهي فاترة. لا، لم يكن هذا من شأنك، هل كنت تظن بأنني بحاجة إليك لكي أتعرف على أحد؟ أنا ألتقي مَنْ أريد، ومتى أريد! من كنت تحسبني لتفكر بهذه الطريقة؟ لقد كانت مجنونة شيئًا ما، أليس كذلك؟ في النهاية، دعنا لا نكُن ظالمين، أقول هذا لأنني في حالة غضب، لكن ليس لها ذنب في ما حصل. في جميع الأحوال، هي لن تتصل بي أبدًا ولا أنا سأتصل بها. بعد كل ما جرى، سيكون أمرًا مزعجًا. حتى سيارتي قاموا بحجزها على الرغم من أن عجلاتها مست بالكاد خطوط عبور المشاة. إنهم يثيرون قرفنا في هذه المدينة. آه، هذا هو الوقت المناسب... وصرخ بول وهو ينادي ملوّحًا بذراعيه: «تاكسي!».

* * *

نزلتْ من التاكسي في زاوية شارع بولبوت، دفعت الأجرة للسائق ودخلت إلى البناية.

«في كل الأحوال ليس لديّ رقم هاتفه وهو أيضًا لا يملك رقم هاتفي»، دمدمت وهي تصعد السلالم... «لا، ليس لدرجة أن يأخذ رقم هاتفي، فكرت ميّا وهي تبحث عن مفاتيحها في حقيبتها حينها لامست يدها شيئًا غريبًا وأخرجته: اللعنة، هذا هاتفه!».

عند دخولها الشقة، وجدت ديزي جالسة إلى طاولة المطبخ، وتحمل قلمًا بيدها. سألتها ميّا:

«أنتِ هنا؟! متى رجعتِ؟» سألت ميّا.

كانت عينا ميّا مثبتتين على دفتر أمامها، ولم ترفعهما وهي تقول:

«ألا ترين أن الساعة تجاوزت الثانية عشرة والنصف. هل كان فيلمك طويلًا إلى هذه الدرجة».

«لا، لم أتمكن من حضورعرض الساعة الثامنة، لذلك انتظرت العرض اللاحق».

«هل كان الفيلم جيدًا على الأقل؟».

«غريب نوعًا ما في بدايته لكنه تحسّن بعد ذلك».

«عمَّ تدور أحداث الفيلم؟».

«غريبان يتناولون وجبة عشاء وكل واحدٍ منهم يتصرّف بغرابة مع الآخر».

«هل كان فيلمًا سويديًّا؟».

«وأنتِ ماذا تفعلين؟».

«أعمل حساباتي. تبدين غريبة الأطوار». واصلت ديزي وهي ترفع رأسها.

تجنّبت ميّا نظراتها، وتوجَّهت وهي تتثاءب نحو غرفتها.

* * *

حال وصوله إلى شقته، استقر بول في مكتبه وشغّل كمبيوتره ليتهيأ للعمل. اكتشف ورقة ملصقة على الشاشة، وتبين خط آرثر عليها، كان قد كتب له الاسم وكلمة السر التي استخدمهما للتسجيل على موقع التعارف، وقد كان هذا لطفًا منه.

مكتبة
هي و هو

الفصل 8

لم يدرك بول أنه أضاع الموبايل إلّا بعد تناول الفطور. فتّش في جيوب سترته، رفع الأوراق المتراكمة على مكتبه، تفحّص أرفف مكتبته، وتحقق من عدم وجود الهاتف في الحمام، وسعى إلى تذكّر آخر مرة استخدمه فيها. فتذكر أنه كان قد عرض على ميّا قراءة رسالة آرثر على شاشته. وهكذا تأكد أنه نسيه على طاولة المطعم. اتصل بمطعم «أوما» غاضبًا لكنه سمع صوت المجيب الآلي فالمطعم لم يفتح أبوابه بعد.

ربما ستحمله النادلة معها إذا ما عثرت عليه لأنه كان كريمًا معها وترك لها بقشيشًا جيدًا... ثم قام بالاتصال على هاتفه ربما يكون محظوظًا ويجيبه أحد ليعيده إليه.

***

تناولت ميّا فطورها برفقة ديزي بالقرب من النافذة الزجاجية عندما ارتفع صوت غلوريا غاينور[1] في أغنية «سأبقى على قيد الحياة».

(1) غلوريا غاينور Gloria Gaynor مطربة أمريكية ولدت في نيوجيرسي عام 1949 واشتهرت بعد صدور ألبومها Never Can Say Goodbye عام 1975. (المترجم).

مكتبة هي و هو

اندهشتا لسماعهما هذه الأغنية.

«أظن أن مصدره الكَنَبَة. قالت ديزي بنبرة لا مبالية».

«يا للغرابة عندكِ كَنَبَة موسيقية؟».

«بل بالأحرى إنها حقيبتك التي تبعث أنغام الصباح».

وسّعت ميّا عينيها وهرعت نحو أداة الجريمة. دسّت يدها في داخل حقيبتها حينها انقطع صوت الغناء.

سخرت ديزي بعفوية: «هل تعبت غلوريا؟!».

ثم انطلقت أنغام الأغنية ثانية.

«لا هي لم تتعب بل كانت تنتظر اللحظة المناسبة لتنطلق في الغناء من جديد.. إنها طريقة غلوريا المدهشة في إثارة الجمهور!».

هذه المرة، أمسكت ميّا الهاتف في الوقت المناسب وردت بصوتٍ منخفض:

«نعم.. لا، أنا لست النادلة.. نعم.. أنا من أتكلم معك.. ظننتك لن تتصل بي في هذا الوقت المبكر.. لقد فهمت ما حصل.. أجل، أستطيع أن أفعل ذلك.. أين؟.. لا أعرف.. حسنًا أمام قصر غارنييه في الساعة الواحدة ظهرًا.. مفهوم.. إلى اللقاء.. نعم، وداعًا.. العفو... وداعًا».

وضعت ميّا الموبايل في حقيبتها وعادت إلى الطاولة. أعدّت لها ديزي كوبًا من الشاي ونظرت إليها طويلًا.

«مَن رد عليكِ كان سويديًّا أيضًا؟».

«مَن؟».

«مَن صاحب رنة غلوريا غاينور؟ ».

«شخص نسي هاتفه في صالة السينما، وأنا وجدته فاتصل بي لأعيده إليه».

«أنتم، الإنجليز، متحضّرون للغاية؛ تذهبين إلى قصر غارنييه من أجل أن تعيدي الموبايل إلى شخص مجهول!».

مكتبة هي و هو

«هذه أمور تحدث، أليس كذلك؟ لو كان هاتفي، فسأكون سعيدة لو عثر عليه شخص مهذّب وأعاده لي».

«وماذا عن النادلة؟».

«أية نادلة؟».

«انسي ذلك، أفضّل ألا أعرف شيئًا على أن تتعاملي معي كأنني غبية».

اعترفت ميّا بمحاولتها الفاشلة لتبرير وجود الهاتف لديها، فقالت:

«حسنًا، كان الفيلم مملًّا، وغادرت الصالة وغادرها أيضًا الرجل الجالس إلى جواري. وفي الطريق إلى الخارج تحدثنا قليلًا ثم تناولنا كأسًا في المقهى ثم غادر ناسيًا هاتفه، وعثرت عليه وسأعيده إليه. صرتِ تعرفين ما حدث كله، هل أنت سعيدة الآن؟».

«كيف كان شكل الجالس إلى جوارِكِ؟».

«عادي، أقصد أن أقول: لا شيء مميزًا فيه، لكنه كان لطيفًا».

«عادي ولطيف!».

«ديزي.. توقفي، لقد تناولنا كأسًا وهذا كل ما في الأمر».

«من المضحك أنك لم تخبريني بذلك أمس بعد عودتك بينما كنت ثرثارة أكثر بكثير قبل يومين».

«كنت أشعر بالملل إلى حدّ الموت، ورغبت بتناول كأس، لا يذهب خيالك بعيدًا. سأعطيه الموبايل وينتهي الأمر عند هذا الحد».

«أصدّقك. هل يمكنكِ أن تأتي إلى المطعم لمساعدتي هذه الليلة؟».

«نعم، ولم لا؟».

«فقط كنت أفكّر أنكِ ربما ترغبين بالعودة إلى السينما».

من دون أن تنطق بكلمة، نهضت ميّا، ووضعت صحنها في غسالة الصحون وذهبت لتستحم.

***

مكتبة هي و هو

كان بول ينتظر على رصيف قصر غارنييه وسط حشد من الناس. وسرعان ما عرف وجهها من بين الخارجين من بوابة المترو. كانت تضع نظارة شمسية، ووشاحًا على رأسها، وتحمل حقيبة يد.

لوّح لها، وردّت عليه بابتسامة خجولة وهي تتقدم نحوه.

وبدلًا من أن تبدأ الكلام بـ«صباح الخير» قالت له: «لا تسألني عن السبب، لأنني لا أعرف كيف حدث هذا!».

ردّ بول: «أي سبب؟».

«أنا بالفعل لا أعرف كيف حدث هذا ربما انزلق إلى حقيبتي».

«أتصوّر أن الوقت لا يزال مبكرًا لكي أظن أنك أفرطتِ في الشراب».

«انتظر لحظة»، تابعت وهي تمد يدها في حقيبتها.

بحثت عبثًا، ثم رفعت إحدى ساقيها لتضع حقيبتها على ركبتها وواصلت التفتيش عن الهاتف محاولة أن تبقى متوازنة وهي على رجل واحدة.

«كأنكِ طائر فلامنغو ورديّ اللون!».

أخرجت هاتفه وبدا عليها أنها تلومه وهي تقول:

«أنا لم أسرقه، لكن أجهل كيف انزلق إلى حقيبتي».

«لم أفكر أبدًا في هذا الاحتمال».

«نحن متفقان على أن هذا الموعد لا يُحسب».

«لماذا لا يحسب؟».

«لأنك لم تتصل بي قائلًا إنك ترغب في رؤيتي، وأنا كذلك لم آتِ إلى هنا لأني أرغب في رؤيتك، الهاتف فقط هو السبب في هذا اللقاء».

«حسنًا، هذا الموعد لا يُحسب. هل يمكن أن أسترد الهاتف الآن؟».

أعطته الموبايل. وسألته:

«لماذا فضّلتَ اللقاء بي في الأوبرا؟».

«التفت بول وأشار إلى مبنى قصر غارنييه».
«لأنه مكان روايتي المقبلة».
«نعم، أنا أرى ذلك».
«أشك أنك ترين ما يكفي، فأحداث القصة تدور أساسًا داخل هذه الأوبرا».
«حسنًا، حسنًا، لقد فهمت».
«كم أنت عنيدة! هل زرتِ الأوبرا على الأقل من قبل؟».
«وأنتَ هل زرتها؟».
«زرتها عشرات المرات، حتى حين تكون مغلقة أمام الجمهور».
«أنت متباهٍ!».
«أبدًا، المدير صديقي».
«وماذا يحدث في هذه الأوبرا؟».
«أرأيتِ أنك لا تفهمين ما يكفي! بطلة روايتي مغنية فقدت صوتها وجاءت لتلازم هذا المكان».
«آه!».
«لماذا هذه ال«آه»؟».
«لا شيء».
«لن تذهبي وتتركيني هنا مع هذه ال«آه» وهذه ال«لا شيء»!».
«ماذا تريدني أن أفعل؟».
«لا أعرف، لكن لا بد من فعل شيء».
«يمكننا أن نتأمل معًا واجهة الأوبرا لبضع دقائق؟».
«هيا، واصلي سخريتك! إنكِ لا تتصورين كيف تجعلني الكتابة حساسًا للغاية. فبوسع هذه الآهات التي تصدر منك أن تجعلني عاجزًا عن كتابة كلمة واحدة طيلة ثلاثة أيام».
«هل لهذه الـ«آه» التي قلتها كل هذه السلطة عليكَ؟ ثق أنها «آه» عادية جدًّا».

مكتبة هي و هو

«هل تظنين أن ما يُكتب من كلمات على الغلاف الخلفي للرواية عادي جدًّا؟ هذه الكلمات تقرر مصير الكتاب بالحياة أو بالموت».

«لا أفهم ما دخل الغلاف الخلفي للرواية هنا؟».

«نعم فهو ما يُلخّصها».

«لا تقل لي إن ما سبق أن ذكرته لي منذ قليل هو ما سيُكتب على الغلاف الخلفي للرواية؟».

«تعبيراتك هذه ستجعلني لا أستطيع كتابة كلمة واحدة لمدة أسبوع!».

«إذًا من الأفضل أن أصمت!».

«فات الأوان لقد تضرّرت بالفعل».

«أنت تمزح!».

«أبدًا! يظن الناس أن الكتابة مهنة سهلة، وهي كذلك من بعض الجوانب. لا إلزام بوقت معيّن فيها، ولا سلطة فوق رأسك، ولا شكل منتظم ومتماسك بعينه لا بد أن تتبعه فيها دون غيره، لكن افتقادك لمثل هذا الانتظام والتماسك يجعل الكتابة شبيهة بالإبحار على مركب وسط بحر مضطرب، وقد تجعلنا أقل موجة لم ندرك قدومها ننقلب ونغرق. ولكي تتأكدي.. اسألي أحد الممثلين ماذا تكون حالته إن سعل أحدٌ أثناء العرض المسرحي، إن حدث ذلك.. فسينسى النص وسيضيع منه تسلسله. يبدو أنكِ لا تفهمين ذلك».

«نعم، ربما أنا لا أفهمه، أجابت بنبرة منكسرة. أنا آسفة، لا أريد إرباكك بـ«آهاتي» إلى هذه الدرجة».

«عذرًا، إنني في مزاج سيئ؛ لم أكتب سطرًا واحدًا منذ البارحة، رغم سهري حتى ساعة متأخرة من الليل».

«هل بسبب عشائنا؟».

«لم أقصد ذلك».

دقّقت ميّا في وجه بول بعناية، وقالت:

مكتبة هي و هو

«هذا المكان يعجّ بالناس».

وعندما رأت أن علامات الحيرة والارتباك ظهرت على وجه بول، أمسكت بيده وجرّته إلى مدرّجات سلالم قصر غارنييه.

«اجلس هنا». أمرته، قبل أن تجلس هي على درجة أعلى، وسألته: «ما الذي وقع لبطلتك؟».

«هل يهمكِ ذلك حقًّا؟».

«بما أنني أطلب منكَ ذلك، فهذا يعني أنه يهمني».

«لا أحد يفهم كيف ضاع صوتها، فهي لم تكن تعاني من أي مرض. ولأنها أفلست من الإنفاق على العلاج من دون جدوى، قرّرت العيش منعزلة في شقتها، ولأن الأوبرا شكّلت كل حياتها، (ولأنه) لم يعدّ لديها المال حتى للدخول إليها كمتفرجة، قرّرت أن تعمل فيها كمنظِّمة تساعد المتفرجين على الوصول إلى مقاعدهم. وأولئك الذين كانوا يدفعون مبالغ طائلة لتذكرة الدخول إلى الأوبرا من أجل سماع غنائها، صاروا هم من يدفعون لها البقشيش لقاء عملها. وذات يوم.. رآها أحد النقّاد وأصابه الارتباك لأنه كان متأكدًا أنه يعرفها».

«دور جميل وواعد، ثم ماذا حدث؟».

«لم أكمل الرواية بعد».

«هل ستكون النهاية جيدة؟».

«لا أعرف ما ستكون عليه النهاية؟».

«آه.. فلنكُن واضحَين، ستكون نهاية جيدة!».

«توقفي عن ترديد كلمة «آه»، لم أقرّر النهاية بعدُ».

«ألا تجد أن الحياة الواقعية مليئة بالمآسي، والناس تعبوا من المصائب والأكاذيب، والجُبن، والحقارة، والنذالة، هل تريد أن تزيد الطين بلّة وتضيع أوقاتهم بسرد قصص ذات نهايات بائسة؟».

«يجب أن ترتبط الروايات نوعًا بالواقع، وإلّا.. فستصير روايات رومانسية حالمة».

مكتبة هي و هو

«أنا أقول لمن لا يحبّون القصص السعيدة تبًّا لكم، أقول لهم اذهبوا وتمرّغوا في بؤسكم، لقد سبق أن فعلوا بنا الكثير، ولهذا لن نترك لهم كلمة النهاية».

«هذه وجهة نظركِ».

«كلا، إنها مسألة ترتبط بالحس السليم والشجاعة. بماذا ينفع اللعب، والكتابة، والرسم، والنحت، وتحمّل المخاطر، لو لم يكن ذلك كله لأجل إسعاد الآخرين؟ لماذا نركّز على ما يجعل الناس يبكون؟ هل لأن ذلك يزيد من قيمة ما نفعله؟ هل تعلم كيف يحصلون على جائزة الأوسكار في أيامنا الحالية؟ يحصلون عليها حين يفقد البطل إحدى يديه أو ساقيه، أو يفقد أباه أو أمه، ويا حبذا لو فقد ما سبق كله مرة واحدة! تقديم جرعة من البؤس والتعاسة والدناءة والخسّة تكفي لانتزاع دموعك ودموع الجمهور، وحينها تحصل على لقب عبقري، أما أن تجعل الناس يضحكون ويحلمون فلا أهمية لذلك. لقد سئمت من هيمنة حالات الكآبة على الإنتاج الثقافي. لهذا.. اجعل روايتك تنتهي نهاية سعيدة!».

«مفهوم». أجاب بول بخجل.

ولأنه لاحظ اضطرابها لم يحب أن يعارضها في شيء.

واصلت ميا: «هل ستستعيد مغنيتك صوتها؟».

«سنرى ذلك لاحقًا».

«إن لم تستعده.. فلن أشتري الرواية!».

«سأهديها إليكِ».

«لن أقرأها».

«حسنًا، سأعمل على أن تكون نهايتها سعيدة».

«وإنني على يقين أنك ستفعل. دعنا الآن نتناول فنجان قهوة وتحدّثني عمّا سيقوم به هذا الناقد عندما تعرّف على المغنية. هل هو رجل طيب أم سافل؟».

مكتبة هي و هو

وقبل أن يجيب بول، واصلت ميّا حديثها بالحماسة ذاتها.

«ما سيجعل القصة رائعة هو تحوّل البطل من رجل سافل إلى رجل طيب بفضلها، وبفضله تستعيد صوتها. أليست فكرة رائعة؟».

سحب بول قلمًا من جيبه ومدّه إلى ميّا.

«اكتبي روايتي ونحن في الطريق إلى المقهى، وأنا سأذهب لأطبخ وجبة حساء السمك».

«يبدو أنك ستغضب؟».

«لا أظن، لأنني لا أرغب في تناول فنجان قهوة مع شخص غاضب».

«أؤكد لكِ بأن هذه ليست حالتي».

«حسنًا، لكن سيظل هذا اللقاء لا يُحسب».

«لا بد أن الأشخاص الذين يعملون تحت قيادتك في مطبخك يقضون أوقاتًا ممتعة وهم في صحبتك».

«هل هذه إشادة أم تهكم؟».

«انتبهي؛ ستصدمكِ السيارة»، هتف وهو يمسكها من ذراعها ويسحبها نحو الرصيف.

«نحن هنا في باريس، ولسنا في لندن. قيادة السيارات هنا لا تماثل قيادتها في لندن».

جلسا على رصيف مقهى «دو لا بيه».

قالت ميّا: «أنا جائعة».

قدّم لها بول قائمة الطعام. وسألها: «هل مطعمكِ مقفل في ساعة الغداء؟».

«لا».

«ومن يديره؟».

«شريكتي». أجابت ميّا وهي تخفض عينيها.

مكتبة هي و هو

«شيء عملي أن يكون لكِ شريكة، بينما في مهنتي.. مع الأسف يصعب أن يكون لي شريك».

«لكن مترجمتك هي شريكتك نوعًا ما».

«لكنها لا تكتب رواياتي عندما أغيب. لماذا تركتِ إنجلترا وجئتِ إلى فرنسا؟».

«لم يكن أمامي لفعل ذلك إلا عبور المانش، وليس المحيط، وأنتَ؟».

«أنا من طرح السؤال أولًا».

«أفترض أنها رغبة في تغيير حياتي».

«هل بسبب رفيقك السابق؟ أنتِ لم تصلي إلى باريس بالأمس فقط؟».

«أفضّل عدم الحديث عن ذلك، وأنتَ، أخبرني لماذا تركت سان فرانسيسكو؟».

«سأحدّثك بعد أن نطلب الطعام، فأنا جائع أيضًا».

بمجرّد أن غادرهما النادل، قصّ عليها بول ما جرى بعد نشر روايته الأولى، وعن هذا القدر القليل من الشهرة الذي وضعه أمام امتحان عسير.

سألته ميّا، مازحة: «وهل قتلتك الشهرة؟».

«دعينا لا نبالغ، فمهما تَحقّق للكاتب من شهرة فهو لن يصل إلى شهرة مغنّي الروك أو نجوم السنيما، لكنني لست مثل هؤلاء، فأنا كما يقال أضع أحشائي على الورق، ثم إنني أعاني من خجل مَرَضي. تَصَوَّري، من شدة خجلي كنت أستحّم بملابسي الداخلية في المدرسة الإعدادية».

«صوركَ تظهر في الصحف اليوم، والصحيفة نفسها تُستخدم في

مكتبة هي و هو

اليوم التالي للف وجبات السمك مع رقائق البطاطس، هكذا يمكن تلخيص معنى الشهرة».

«أتقدّمين كثيرًا وجبة السمك مع رقائق البطاطس في مطعمك؟».

ردّت مبتسمة: «صارت هذه الوجبة من جديد منتشرة للغاية، هل تصدّق أنك جعلتني أشتهي أكلها الآن؟».

«يبدو أنك تحنّين إلى الوطن؟».

«بهذا الخصوص! لا، لا يوجد أي حنين».

«أجَعَلك رفيقُك السابق تعانين إلى هذه الدرجة؟».

«اندهشتُ للغاية أنني كنت الوحيدة التي لم أدرك أنه يمثل الدور بمهارة شديدة على الشاشة».

«أيّ شاشة؟».

«هي جملة تُقال».

«الحبّ أعمى كما يقولون».

«ينطبق هذا القول على حالتي. لكن قلّ لي ما الذي يمنعكَ من الالتحاق بمترجمتكَ؟ فبوسع الكاتب أن يعمل في أي مكان، أليس كذلك؟».

«لا أدري إن كانت تتمنّى هي أن ألتحق بها أم لا. فلو كانت ترغب في ذلك.. كان بوسعها أن تلمّح لي».

«ليس بالضرورة أن تفعل، لكن هل تتواصلان كثيرًا؟».

«عن طريق «السكايب» مرة في عطلة نهاية الأسبوع، ونتبادل من حين لآخر الرسائل النصيّة. لا أعرف سوى جزء صغير من شقتها، وهو المكان الذي يظهر في شاشة كمبيوتري حين أتواصل معها، وعليَّ أن أتخيّل بقية أجزاء الشقة».

«وقعتُ وأنا في العشرين في حبّ رجل نيويوركي، وكنت أتصوّر أن

مكتبة هي و هو

وجوده في مكان بعيد عنّي سيزيد من إثارة عواطفي نحوه. ومنحت استحالة الرؤية واللمس فرصة أكبر لإعمال الخيال بشأن هذه العلاقة. وذات يوم، اشتريت تذكرة طائرة من مدّخراتي المالية وذهبت إليه. وهناك أمضيت واحدًا من أجمل أسابيع حياتي. رجعتُ مفعمة بالفرح من هذه الرحلة، مليئة بالأمل وعازمة على إيجاد وسيلة للعودة مرة ثانية والعيش هناك».

«وهل نجحتِ في ذلك؟».

«لا، بمجرد إخباره بما عزمت عليه تغيّر كل شيء. وبدأت مكالماته تقّل، وانتهت علاقتنا مع فصل الشتاء. عانيت طويلًا لكي أنساه، لكنني لست نادمة على تلك المغامرة».

«ربما لهذا السبب أبقى هنا حتى أجنّب نفسي عناء نسيانها الذي قد يستغرق وقتًا طويلًا».

«لم يكن السبب إذًا هو الخوف من ركوب الطائرة؟».

«آه.. نعم، كانت ذريعة أخدع بها نفسي لإخفاء الحقيقة. وأنتِ، ما هي ذريعتكِ؟».

أزاحت ميّا طبقها، وشربت كأسًا من الماء بجرعة واحدة، ثم وضعتها على الطاولة. وسألت وهي تبتسم:

«ما ذريعة لقائنا المقبل؟».

«هل نحتاج إلى مثل هذه الذرائع؟ ».

«نعم نحتاج إليها، إلا إذا كنت أنت من سيبادر بالاتصال لرغبتك في القيام بذلك».

«لا لا لا، ليس بهذه السهولة. لا قانونَ ينص على قيام الرجال بالخطوة الأولى في علاقات الصداقة، وبالإضافة إلى ذلك، وباسم المساواة بين الجنسين، أؤكد أن المرأة هي من يجب عليها القيام بمثل تلك الخطوة الأولى».

مكتبة هي و هو

«أختلف معك تمامًا في هذا الرأي».

«بالتأكيد، لأنه لا يروقك».

خيّم الصمتُ عليهما للحظات، تأمّلا فيها المارّة. وقطع بول الصمت قائلًا:

«هل ترغبين في زيارة الأوبرا خارج ساعات الدوام؟».

«هل صحيح أن هناك بحيرة تحت الأرض؟».

«وخلايا نحل على السطح».

«أظن أنني سأرغب كثيرًا في رؤية ذلك».

«حسنًا، سأرتب الأمر، وسأتصل بك لأخبرك بموعد الزيارة».

«يجب أن يكون لديكَ رقم هاتفي أولًا».

استل بول قلمه وفتح دفتره.

«تفضلي».

«لكن أنتَ لم تطلب مني رقم هاتفي. ولا تنظر إليّ هكذا، فحتى علاقات الصداقة يجب أن تخضع لبعض القواعد».

تنهّد وقال: «هل يمكنني الحصول على رقم هاتفكِ؟».

أمسكت ميّا قلمها وكتبت رقمها في دفتره. دُهِش بول.

«لقد احتفظتِ برقم هاتفك الإنجليزي».

«نعم». قالت بارتباك.

«هل تدركين أنكِ معقدة؟».

«أنا، أم عامة النساء؟».

«عامة النساء!» قال بول متبسمًا.

«ستصابون بالملل لو كنّا غير معقَّدات. هذه المرة، أنا من سيدفع الحساب وبلا نقاش».

«أشك أن يوافق النادل على ذلك لأنني من الزبائن المعتادين. ومن

مكتبة هي و هو

ثم سينصاع لأوامري، وربما تكون بطاقتك الائتمانية إنجليزية هي أيضًا ولا يقبلها المطعم...».

اضطرت ميّا لقبول ذلك.

«أراكَ قريبًا. قالت له، وهي تصافحه».

«أراكِ قريبًا»، أجاب بول.

ثم رآها تتوارى في بوابة المترو.

الفصل 9

كان آرثر ينتظر بول على عتبة الباب، ولما رآه قال له:

«أخشى أن أكون قد فقدت مفاتيحك الاحتياطية».

رد بول وهو يفتح الباب:« هذا أفضل! كيف كانت هانفلور؟».

«مدينة ساحرة».

دخل بول الشقة من دون أن يضيف كلمة واحدة.

«أأنت غاضب مني إلى هذه الدرجة؟ كان ما فعلناه مجرد مزحة».

«أين هي زوجتك؟».

«ذهبت لزيارة زميل يتدرّب في المستشفى الأمريكي».

كان بول يعدّ القهوة عندما سأل آرثر: «ما البرنامج لهذه الليلة؟».

«إذًا قرّرت ألّا تتكلم عن الأمر؟ أهكذا هي طريقتك في الانتقام؟».

«أنا منشغل، ولا وقت لديّ لأهدره، متى ستنضج في تفكيرك يا صديقي؟».

«هل كان الأمر كارثيًا وأهدرت فيه وقتًا طويلًا إلى هذا الحد؟».

«هل تقصد النصف ساعة التي ظنّت فيها هذه المرأة أنها تتناول

مكتبة هي و هو

عشاءها برفقة مجنون أم حين علمت بالموقف الهزلي الذي وضعتني فيه؟».

«كان يمكن أن تمضي معها ليلة جميلة لأنها تبدو لطيفة».

اقترب بول من آرثر ودفع نحوه فنجان القهوة بقوة، وقال:

«كيف أمضي معها ليلة جيدة، بينما هي ترى أمامها كيف سخر منها أفضلُ صديق للرجل الذي يشاركها العشاء، كما لم يسخر رجل من امرأة من قبل».

تبسّم آرثر وردّ بحماسة: «هي أعجبتك إذًا! نعم لقد أعجبتك ما دمتَ تدافع عن كرامتها».

ثم صفّق وتوجّه نحو مكتب بول وجلس على مقعده.

«تتصرّف وكأن كل شيء عادي!».

«حسنًا، أعرف أنكَ ستنتقم لنفسك، لا أعرف متى ولا كيف! وأعرف أنني سوف أدفع الثمن غاليًا. ضع هذا جانبًا واحكِ لي ما حصل».

«ليس لديّ ما أحكيه، استمرت المهزلة عشر دقائق. فكم من الوقت يلزم في ظنك لكي يفهم شخصان ذكيان وطبيعيان أنهما ضحية خدعة بغيضة؟ لقد اعتذرت باسمك، وشرحت لها أن صديقي المفضَّل في منتهى الغباء رغم لطافته. بعدها، مضى كل منا في طريقه. أنا حتى لا أتذكر اسمها الأول».

«أهذا كل شيء؟».

«نعم!».

«حسنًا، لم يكن الأمر بالشيء الخطير».

«لا، لم يكن الأمر خطيرًا، ولكنّك على حقّ بأنني سأنتقم لنفسي».

* * *

توجّهت ميّا إلى إحدى المكتبات بعد خروجها من المترو. تجوّلت

مكتبة هي و هو

بين الطاولات، وعندما لم تجدّ ما كانت تبحث عنه، سألت البائع في المكتبة الذي بحث بحث في الكمبيوتر وذهب إلى أحد الأرفف.

قال وهو يتسلّق نحو أحد الأرفف: «أظن أنه لدينا نسخة واحدة من أحد كتبه، نعم ها هو، إنه العنوان الوحيد المتوفّر لدينا».

«هل يمكن أن تطلب لي كتبه الأخرى؟».

«بالتأكيد. ولديَّ أيضًا كتّاب آخرون أقترحهم عليك، إذا كنت تحبين القراءة».

«لماذا؟ هل ترى أن هذا الكاتب لا يفضله الأشخاص الذين يحبون القراءة؟».

«أقصد.. هناك كتّاب «أكثرُ أدبية» منه، إن جاز القول».

«هل سبق لك أن قرأتَ إحدى رواياته؟».

«لا، مع الأسف، لا أستطيع قراءة كل شيء».

«كيف يمكنك إذًا الحكم على كتابته؟».

نظر إليها الرجل باستخفاف وتراجع وراء طاولته. وسألها وهو يكمل عملية البيع: «هل تريدين مني أن أطلب كتبًا أخرى له؟».

ردّت ميّا بنبرة ظهر فيها الغضب: «لا، سأبدأ في قراءة هذا الكتاب وأطلب الكتب الأخرى من مكتبة أخرى «أقلَّ أدبية».

«لم أقصد الحط من قدره، لكنه مؤلف أمريكي، وعادة ما يكون الكتاب المترجم أقل جودة».

«أنا مترجمة»، قالت ميّا متحدّية وهي تضع يديها على خصرها.

وقف صاحب المكتبة مندهشًا للحظات قبل أن يقول: «حسنًا، بسبب رعونتي التي بلغت مداها، سأقدّم لكِ خصمًا على الكتاب!».

سارت ميّا في الشارع وهي تتصفّح الرواية، ثم قلبت على الغلاف الخلفي لتقرأ ملخصها. ابتسمت عند رؤيتها صورة بول. إنها المرة

مكتبة هي و هو

الأولى التي تمسك بيدها كتابًا لشخص تعرفه. فكّرت بالكلمات التي تبادلتها مع مسؤول المكتبة، وتساءلت: لماذ بدت بمثل هذا العناد، فليس هذا طبعها؟ لكن أسعدها أنها عبَّرت عما كانت تفكر فيه بالفعل. ثمّة شيء كان يتغير داخلها، أحبّت هذا الصوت الداخلي الذي دفعها إلى أن تكون أكثر صرامة في مثل هذه المواقف. نادت سيارة تاكسي وطلبت من السائق أن يقلها إلى شارع «دو ريفولي» أمام إحدى المكتبات التي تبيع الكتب الإنجليزية.

وبعد بضع دقائق، غادرت المكتبة وهي تحمل أول رواية لبول في طبعتها الأمريكية الأصلية. بدأت قراءتها في طريقها إلى مونمارتر، وواصلت القراءة وهي تتجه إلى شارع «ليبيك»، ثم جلست على مقعد في ساحة «تيرتر» لتتابع القراءة.

وجّه لها رسام الكاريكاتير الجالس في مكانه وراء حامل أدواته ابتسامةً لكنها لم ترها.

***

وصلت المطعم في نهاية الظهيرة. كانت صديقتها ديزي في مطبخها. عندما رأتها قادمة عهدت بكل صحونها إلى روبير مساعدها، وقامت بسحب ميّا بعيدًا عند كاونتر الحانة.

«أعرف أنك غير مؤهّلة لهذا النوع من العمل، لكن لن تعود النادلة للعمل، وقد أحتاج لبضعة أيام لأجد واحدة أخرى». ثم نظرت نحوها برجاء وواصلت: «لقد قمتِ بالمهمة كما ينبغي قبل أمس. أعرف أني أطلب منك الكثير ولكن...».

«سأفعل». عبّرت ميّا عن موافقتها حتى من قبل أن تتم صديقتها جملتها.

«هل تقبلين؟».

«نعم، سبق أن قلت لكِ هذا!».

مكتبة هي و هو

«وهل سوف تتذمر «كات بلانشيت»؟».

«لا يحقّ لها التذمر، لكن لو كنت في محلها، لفكّرتُ أن أستثمر في هذا المطعم. أنتِ تعانين من مشكلات مالية وأنا أملك المال. يمكننا أن نجدّد الصالة، ونُشغّل نادلة جديرة بالثقة ندفع لها أجرًا جيدًا حتى تستمر في العمل...».

قاطعتها ديزي: «صالتي ممتازة على وضعها هذا، في الوقت الحالي. أنا أريد فقط قليلًا من المساعدة».

«لستِ مجبرة على أن تردّي عليّ الآن، فكّري بعرضي».

«كيف كانت الأوبرا؟».

«أعدتُ له الموبايل وغادرتْ».

«لا شيء آخر؟».

«لا شيء».

«هل هو شاذ جنسيًا».

«لم أسأله».

«عبرتِ باريس كلها من أجل أن تعيدي إليه هاتفه ليقول لك «شكرًا» ويغادر؟ من المؤكّد أنه ينحدر من أقاصي شمال السويد ليتصرّف بهذه الطريقة الباردة».

«نيّاتُك دائمًا سيئة».

«ما الذي يجعلك تتصوّرين أنني أقصد من الأساس شيئًا بعينه؟».

امتنعت ميّا عن الإجابة، وضعت المئزر على خصرها وبدأت توزِّع الصحون على الطاولات وترتيبها.

* * *

تناول بول العشاء برفقة آرثر ولورين في إحدى حانات شارع «بورغون». شربوا كثيرًا من النبيذ وصارت المزحة التي كان هو ضحيتها ذكرى مع غيرها من الذكريات. ففي اليوم التالي سيذهب صديقاه لزيارة الريف، لذا أراد أن يستفيد من وجودهما معه الآن.

مكتبة هي و هو

عند وصولهم إلى ساحة «الأنفاليد» قال بول: «أظن أنها على حق».

«مَنْ هي؟» سألت لورين.

«ناشري».

قال آرثر: «كنت أظن أن ناشرك رجل وليس امرأة».

«قطعًا هو رجل»، تابع بول.

علّقت لورين:« وفي أي شيء كان مُحقًّا؟».

«في أن عليّ أن أسافر إلى كوريا وأن أقيّم الوضع بنفسي. كم غريبة هي مسألة الخوف من ركوب الطائرات».

قال آرثر: «واصل شجاعتك تلك وارجع ثانيةً إلى سان فرانسيسكو».

تدخَّلت لورين على الفور: «اتركه يا آرثر، يجب علينا أن نشجّعه لو كان يريد السفر إلى سيول».

هنا وضع آرثر يده على كتف بول، وقال:

«إذا كنت تجد سعادتك هناك، فلن يعني هذا إلا ابتعادك عنا بعشرات الآلاف من الكيلومترات الإضافية لا أكثر».

«لا أقصد تأكيد جهلك الشديد بالجغرافيا، لكن هل تعلم أننا، من جهة الغرب، سنكون قريبين أكثر؟ وفي هذا الخصوص سأعهد إليك بسر إياك أن تخبر به أحدًا: الأرض كروية!».

عند العودة إلى الشقة، فتح بول كمبيوتره من دون أي نيّة مسبقة. ثم كتب هذه الرسالة في الساعة الواحد صباحًا:

كيونغ

كان عليّ أن ألتحق بكِ منذ زمن طويل من دون أن أطلب رأيكِ. أفكّر فيكِ عندما أستيقظ صباحًا، وطوال النهار، وفي وقت متأخر من الليل، من دون أن أخبرك بهذا. أراك حتى حين أغلق عينيّ. أنتِ هنا، تنحنين

مكتبة هي و هو

على مكتبي، تقرأينني، وتترجمينني، من دون أن تنبسي بكلمة. هل تعلمين بأنني أراقبك من دون أن تَرَيني. كاتب ومترجمة يعانقان الصمت. كأنه مشهد من أحد أفلام «ماركس بروذرز»[1].

فقط لو كانت أوجاع القلب مُعدية، لكنتِ ستحبّينني بقدر ما أحبّك. فحين لا تشبه مشاعرنا أي شيء، يحدونا الأمل أن تكبر وتنمو ويصير لها شكل خاص بها يميزها. نضجت مشاعري، لكنها صمّمت على ألّا تشبه أي شيء آخر. يمكننا أن نفعل كل شيء بالكلمات، ومن ضمنها كتابة القصص الجميلة، لكن لماذا لا نستطيع أن نفعل ذلك بسهولة في الحياة؟

سوف آتي، ليس إلى صالون الكتاب، بل إليكِ، وإذا كنت ترغبين، فسنتجول معًا، وتعرّفينني بالمدينة، وبأصدقائكِ، أو سأكرّس وقتي للكتابة، وستكونين أنت هذه المرة مَنْ ينظر إليّ.

أراكِ قريبًا، حتى عندما يرغب أحدنا في الآخر، يصير الزمن شيخًا ولا يقوى على السير إلا بخطى بطيئة.

بول

وعندما انتهى من كتابة هذه الرسالة، فكّر أن كيونغ كانت قد استيقظت بالفعل وتساءل.. في أي لحظة من اليوم ستقرأ كلماته؟ وهذا السؤال جعله مستيقظًا طوال الليل.

* * *

(1) الإخوة ماركس Marx Brothers عائلة سينمائية كوميدية أمريكية اشتهرت في الثلاثينيات. (المراجع).

مكتبة هي و هو

وضع آرثر الكمبيوتر على ركبتيه. سجَّل الدخول إلى موقع التعارف، أدخل الاسم والرقم السري، ثم دخل إلى الملف الذي أنشأه ليحذفه. وجد شكلًا لمظروف صغير يُضيء على شاشة الكمبيوتر تحت صورة أفضل صديق له. التفت آرثر إلى لورين، فوجدها مستغرقة في النوم. تردّد لثانيتين أو أقل، وضغط على المظروف.

عزيزي بول

كنا قد تحدّثنا عن اتصال أحدنا بالآخر حين يرغب في ذلك، لكننا لم نذكر في هذا الشأن تبادل الرسائل الإلكترونية، إذًا، هي لا تُحسب.

ستجد في نهاية رسالتي هذه عنوان بريدي الإلكتروني لو أردنا أن نتخاطب عبر وسيلة أخرى بخلاف هذا الموقع وستكون تلك طريقة رائعة حتى لا نتذكّر دقائق مُهينة عشناها معًا.

أردت أن أشكرك على دعوة الغداء غير المنتظَرة، وأقول لك: لا تقلق بشأن «آهاتي». لقد أعدت التفكير في قصّتك وقد جعلتني أرغب في معرفة بقيتها، لا تتوقّف إذًا عن الكتابة وتترك الصفحات بيضاء بل سوّدها بأقصى سرعة.

تسرّني فكرة زيارة الأوبرا، وخصوصًا في الساعات الممنوعة على الجمهور، فالممنوع مرغوب.

ليلتنا في المطعم كانت مُجهِدة، فقد جاءنا الكثير من الزبائن، أكثر مما نستطيع أن نتحمل، لكنها ضريبة النجاح، فطبخي لا يقاوَم.

أتمنى لك أمسية سعيدة.

إلى اللقاء قريبًا. ميّا

***

مكتبة هي و هو

«هل أستطيع أن أستعيد كومبيوتري؟» طلبت ديزي وهي تطل برأسها داخل غرفة ميّا.

«لقد انتهيت، يمكنكِ أن تأخذيه».

«لمن تكتبين؟ سمعتك تنقرين على لوحة المفاتيح كالمجنونة».

«أواجه صعوبات مع مفاتيح الحروف الفرنسية لأنها ليست في المواقع المعتادة».

أصرّت ديزي وهي تجلس على حافة السرير: «سألتكِ لمن تكتبين؟».

«أكتب لكريستون، أزوّده بأخباري».

«وهل أخبارك جيدة؟».

«أحبّ حياتي الباريسية، وحتى عملي في المطعم».

«أيّ مطعم؟ هل لاحظتِ أن عدد الزبائن كان قليلًا جدًّا؟ وإذا استمر الوضع هكذا فقد أجد نفسي مضطرة لإغلاق المطعم».

وضعت ميّا الكمبيوتر جانبًا لكي تركّز تمامًا مع ديزي.

«مجرد أيام صعبة بسبب الأزمة المالية التي يعاني منها الناس لكن لن تدوم هذه الأزمة إلى الأبد».

«وأنا أيضًا، أعاني من أزمة مالية، وعلى هذا الحال فإن مطعمي هو الآخر لن يدوم إلى الأبد».

«بما أنك رفضتِ شراكتي، دعيني على الأقل أقرضك بعض المال».

«لا، شكرًا. ليس لديَّ مال (ولكن) لديّ كرامة».

تمدّدت ديزي بجوار ميّا. وأزعجها شيء ما تحت الوسادة، مرّرت يدها وأخرجت كتابًا. قلّبته لكي تقرأ ملخّصه.

قالت وهي تنظر إلى صورة المؤلف:

«لماذا يبدو لي هذا الوجه مألوفًا؟».

«إنه كاتب أمريكي مشهور جدًّا».

مكتبة هي و هو

«لا أجد وقتًا للقراءة. لكن شكله مألوف لي. ربما زار المطعم».

«مَنْ يدري؟» أجابت ميّا وقد احمّر وجهها فجأة.

«هل اشتريتِ هذا الكتاب اليوم؟ عمَّ يتحدث؟».

«لم أبدأ بقراءته بعد».

«اشتريتِ الكتاب من دون أي معلومات مسبقة عنه؟».

«نصحني البائع في المكتبة باقتنائه».

«حسنًا، أتركّك لقراءته وسأذهب لأنام فأنا مُنهَكة للغاية».

نهضت ديزي واتجهت نحو الباب.

هتفت لها ميّا بخجل: «الكتاب!».

كانت ديزي لا تزال تحمله، نظرت من جديد إلى صورة المؤلف ورمته على السرير.

«هيا، إلى غدٍ».

أغلقت الباب ثم فتحته على الفور ونظرت نحو ميّا:

«تتصرفين بغرابة».

«لا أفهم! كيف أتصرف بغرابة؟».

«لا أعرف، هل الرجل المجهول صاحب الموبايل هو الذي أهدى إليكِ هذا الكتاب؟».

«كما ترين، الكتاب ليس مكتوبًا بلغة شمال السويد!».

أطالت ديزي النظر إلى صديقتها قبل أن تغادر غرفتها.

سمعتها ميّا تتمتم من وراء الباب: «أنتِ تتصرفين بغرابة، وهذا لا شك فيه».

مكتبة هي و هو

الفصل 10

رنّ المنبّه، مطّت لورين جسدها بالكامل واحتضنت آرثر. وسألته وهي تقبّله.

«هل نمت جيدًا؟».

«لا بأس.. أنا في حالٍ جيدة».

«ما الذي يجعل مزاجك رائقًا هذا الصباح؟».

«أريد أن أريك شيئًا»، قال متبسّماَ وهو ينهض.

أخذ الكمبيوتر من تحت السرير وفتحه.

«عن وجبة عشاء لم تدم سوى عشر دقائق، تقول هذه الرسالة الكثير!».

أشاحت لورين بنظرها بعيدًا.

«لقد تناغما معًا، وهذا جيد بالنظر إلى مزحتك الثقيلة. لا تتسرّع في استنتاجاتك».

«سأكتفي بالقراءة والملاحظة، هذا كل ما في الأمر».

«إنه مغرم بمترجمته الكورية، وأشك أن هذه المجهولة ستغيّر حياته، أو أنها حتى لديها النية أن تفعل».

مكتبة هي و هو

«في انتظار ذلك، سوف أطبع هذه الرسالة وأضعها على مكتبه».

«لماذا ستفعل ذلك؟».

«لكي أوضح له بأنني لست غبيًّا».

أعادت لورين قراءة النص.

«إنها تريد فقط أن تكون صديقته».

«وما أدراكِ بذلك؟».

«أعرف، لأنني امرأة، والرسالة مكتوبةٌ بوضوح، وترجمة عبارة: «الرسائل الإلكترونية لا تُحتسب» بلغة أنثوية ستكون: «أنا لا أسعى إلى إغوائك». بعدها، تشير إلى دعوة العشاء حيث ذهبت لكي تقابل شخصًا ما. فالطريقة التي تتحدث بها تكشف عن أن بول ليس الرجل الذي تتمناه».

«لكن ألا يعدّ قولها «الممنوع مرغوب» إغواءً؟».

«أنت تريد أن تفعل المستحيل كي لا يغادر بول باريس. إذا أردت رأيي، فهذه المرأة خارجة لتوها من علاقة غرامية وهي بالفعل تبحث عن صديق لا أكثر».

«كان عليكِ أن تتخصصي في التحليل النفسي وليس في جراحة المخ والأعصاب!».

«لن أردّ على ملاحظاتك التهكّمية التافهة. لكن حتى لو تخيلنا أن رسالتها تشير إلى شيء، وإذا أردت أن يهتم بول بها.. فلا تتحدّث له عنها».

«أتظنين ذلك؟ ».

«أشعر أحيانًا أنني أعرف صديقك المفضل أكثر منك، على الأقل الطريقة التي يتصرّف بها!».

قالت لورين ذلك وتوجّهت لكي تحضّر وجبة الفطور.

عند دخولها إلى الصالة، رأت بول الذي كان نائمًا على الكنبة. وحين شاهدها تثاءب ونهض.

«ألم تتمكّن من الوصول إلى سريركَ؟».

«عملتُ لساعة متأخرة، وأردت أن أسترخي قليلًا وسرعان ما غرقت في النوم».

«هل تعمل، يا عزيزي بول، إلى ساعة متأخرة دائمًا؟».

«أجل، في أغلب الأحيان».

«تبدو بحالة مزرية؛ لا بد أن تهتم بصحتك قليلًا».

«هل الطبيبة مَنْ يتحدث معي؟».

«لا صديقتك».

بينما كانت لورين تقدّم له فنجان القهوة، مرَّ بول على رسائله الإلكترونية، وعندما وجد أن كيونغ لم تردّ على رسالته حتى تلك اللحظة عاد إلى غرفته خائب الأمل.

دخل آرثر إلى الغرفة وأشارت له لورين بالاقتراب منها.

همس لها: «ماذا هناك؟».

«ربما سيجب علينا تأجيل موعد المغادرة».

«ماذا حلَّ به؟».

«اسألني بالأحرى ما الذي لم يحلّ به، يبدو أن معنوياته منخفضة».

«كان في مزاج طيب ليلة أمس».

«كان هذا ليلة أمس».

صرخ بول من غرفته: «معنوياتي جيدة جدًّا، وأسمعكما جيد جدًّا أيضًا». حينها مكث آرثر ولورين صامتين للحظة.

ثم اقترح بول: «لِمَ لا تأتي معنا إلى الجنوب لبضعة أيام؟».

«لأنني مشغول باستكمال كتابة روايتي. لم يبقَ لي سوى ثلاثة أسابيع

قبل سفري. أريد أن أتمّ كتابة مئة صفحة على الأقل لكي أعطيها لكيونغ لتقرأها، وأظن أنها ستُعجَب بها وستفتخر هذه المرة بإنجازي».

«غادر كتبك وادخل الحياة، قابل أناسًا آخرين خلاف أصدقائك الكُتّاب».

«إنني أقابل الكثير من القرّاء في أثناء توقيع رواياتي».

قال آرثر معترضًا: «وماذا تقول لهم غير عبارات «صباح الخير مدام» أو «شكرًا أيها السيد» أو «إلى اللقاء»؟ هل تتّصل بهم هاتفيًّا عندما تحسّ أنك وحيد؟».

«حين أشعر بالوحدة أهاتفك حتى لو لم يساعدني اختلاف التوقيت دومًا على ذلك. توقفا عن القلق بشأني. حين أسمعكما تتحدثان عني أشعر بأني أواجه مشكلة. حسنًا، أنا لا أواجه مشكلة وأحبّ حياتي وعملي، أحبّ قضاء الليل في عوالم قصصي، في تلك العوالم أشعر بالراحة، مثلك لورين، حين تكونين في غرفة العمليات أو يشغلكِ وضع مريض لا تفكرين بشيء آخر».

تنهد آرثر وقال:« من جهتي لا أحب ذلك كثيرًا».

ردّ عليه بول: «هذه طريقة حياتها ولا تحاول أن تبعدها عنها، لأنك تحبّها كما هي، وأنا لست مختلفًا عنها كثيرًا». ثم أضاف: «هيا اذهبا وتمتّعا بهذه الرحلة كعاشقَيْن، وإذا ما عالجتني فتاتي الكورية من فوبيا ركوب الطائرة، سوف أزوركما في سان فرانسيسكو في الخريف. هه! سيكون ذلك عنوانًا جميلًا لرواية: «خريف في سان فرانسيسكو». وستكون الرواية أجمل لو صرتِ أنتِ يا لورين بطلتها الرئيسة».

جهّز كل من آرثر ولورين حقائبهما، ثم رافقهما بول إلى المحطة، وحين اختفى القطار الذي أقلّهما عن نظره، ومهما كان ما سبق أن قاله لهما، شعر أن العزلة طوّقته.

مكتبة هي و هو

مكث واقفًا للحظات في المكان الذي ودّع فيه صديقيه ثم عَادَ أَدْرَاجَه وهو يضع يديه في جيبَيْه.

عندما ركب سيارته في المرأب اكتشف ورقة متروكة على المقعد الذي بجانبه.

«إذا استقرّيت في سيول أعدك بأني أنا من سيأتي لرؤيتك في الخريف.

«خريف في سيول» يمكن أيضًا أن يكون عنوانًا جميلًا لرواية.

سوف أفتقدك، يا صديقي».

آرثر.

أعاد قراءة الرسالة مرتين، ثم وضعها في محفظته.

أراد أن يجعل صباحه مبهجًا فقرّر الذهاب إلى الأوبرا ليطلب خدمة من المدير.

***

كانت ميّا جالسة على مقعد في ساحة «تيرتر» حين لمحها رسام الكاريكاتير. وعندما رآها تفتح حقيبتها وتتناول منديلًا، ترك حمّالة لوحاته وتوجّه للجلوس بجوارها.

قال لها: «أهو يوم سيئ؟».

«لا، بل هو كتاب جيّد».

«هل يثير الحزن إلى هذا الحد؟».

«لا، حتى الآن كان مضحكًا، لكن الشخصية الرئيسة تسلَّمت رسالة من أمّها بعد رحيلها. لا أريد أن أبدو حزينة لكن كلماتها أثّرت في نفسي».

«لا غرابة في أن نعبّر عما نحسّ به. هل فقدت أمّك؟».

«لا، هي مُفْعَمة بِالنَّشَاط والْحَيَوِيَّة لكنني تمنيت لو أنها تكتب لي مثل تلك الرسالة».

مكتبة هي و هو

«ربما ستفعل ذات يوم».
«أستبعد ذلك نظرًا لعلاقتنا المعقّدة».
«هل لديكِ أطفال؟».
«لا».
«انتظري إذًا حتى تصبحي أمًّا، حينها سترين طفولتك من زاوية أخرى، وستغيّرين نظرتك لأمّك تمامًا».
«لا أعرف كيف سيحدث ذلك».
«لا آباء مثاليين، ولا أبناء مثاليين أيضًا».
لم تعلّق ميّا، فقال: «عليّ مغادرتكِ، أرى سائحًا يحوم حول لوحاتي. بالمناسبة، كيف وجدت صديقتكِ الصورة التي رسمتها لها؟».
«لم أسلّمها إياها بعد، اعذرني، لقد نسيت، سأسلّمها لها الليلة».
«لا شيء مستعجلًا، فقد ظلّت في صناديقي لشهور».
وتركها متوجّهًا نحو حمالة رسوماته.

* * *

تسلّل بول من مدخل الفنّانين الخاص. كانت سيارات الشحن تحمّل أغراضًا خاصة بالديكور وتفرغها، فتجنّبها، وصعد سلالم الأدراج ثم راح يطرق باب المدير.
«هل لدينا موعد؟».
«لا، أطلب منك خدمة صغيرة لدقيقة واحدة».
«خدمة مرة أخرى؟».
«نعم، لكنها خدمة بسيطة جدًّا هذه المرة».
أخبره بول بطلبه الخاص بصديقته، إلا أن المدير رفض، وأوضح له أن الاستثناء كان له وحده وقد منحه إياه لأن الأوبرا تشكّل مسرحًا لروايته ولهذا أراد المدير أن يوصف فضاؤها كما هو بالفعل من دون تخيّلات لا

مكتبة هي و هو

أساس لها، أما الجمهور فلا بدّ أن يبقى بعض المناطق ممنوعًا عليهم، لتبقى كما هي من دون أي تغيير.

قال بول: «أفهم ذلك لكنها مساعدتي».

«وهل كانت تعمل مساعدتك حين طلبت الاستثناء في المرة الأولى؟».

«بالتأكيد، فأنا لم أوظفها فجأة».

«لكنك قلت إنها «صديقة»!».

«ألا يمكن الجمع بين صديقة ومساعدة؟».

فكَّر المدير في الأمر وهو ينظر إلى سقف المكتب ثم قال:

«متأسف، لا يمكنني ذلك، ولا داعي للإلحاح».

«إذًا لا تعاتبني إذا جاء وصفي للأوبرا غير دقيق فأنا لا أستطيع أن ألمّ بكل تفاصيلها بمفردي».

«كل ما عليك أن تفعله هو أن تمضي وقتًا أطول في البحث. والآن دعني وشأني لأن لديّ عملًا أقوم به».

غادر بول المكتب لكنه عزم على عدم التراجع. فالوعد وعد ولا بدّ من الوفاء به، وقد سبق أن واجه في حياته ممنوعات أكثر تعقيدًا بكثير. ذهب إلى شبّاك التذاكر، واشترى تذكرتين وراح يفكر في كيفية إعداد خطته.

بمجرد خروجه من الأوبرا، بدأ في طلب ميّا تليفونيًّا لكنه غير رأيه وقرر أن يبعث لها رسالة نصية:

> زيارتنا للأوبرا ستكون هذه الليلة. أحضري معك كنزة صوفية، ومعطفًا واقيًا من المطر، وتجنبي لبس الحذاء ذي الكعب العالي، رغم أني لاحظت أنكِ لم تلبسي الكعب العالي حتى الآن.

مكتبة هي و هو

لن أقول أكثر، ستفهمين كل شيء عندما تصلين إلى المكان، إنها مفاجأة.

نلتقي الساعة الثامنة وعشرين دقيقة على المدرج الخامس.

بول

ملحوظة: الرسائل النصية لا تُحسب.

اهتزّ هاتف ميّا، قرأت الرسالة النصية وابتسمت، ثم تذكرت الوعد الذي قطعته لديزي فاختفت الابتسامة عن محيّاها.

* * *

كان غيتانو كريستونيلي ينتظر بول في شرفة مقهى بونابرت. وبادره على الفور:

«لقد تأخّرت على الموعد!».

«أنا أجيء من الجهة المعاكسة لجهتك، وتعلم أن بيتي ليس في الجوار، وفاجأني الازدحام المروري».

«الأزدحام طبيعي في هذا الوقت. المهم، تحدثت لي عن شيء عاجل في الهاتف، هل تواجه مشكلة ما؟».

«يبدو أنها صارت موضة أن يظن الناس أني أواجه مشاكل ما. وأنت أيضًا تظن الأمر نفسه».

«حسنًا، بمعزل عن الكلام الذي لم أفهمه، بماذا تريد أن تخبرني؟».

«أريد أن أبلغك بموافقتي على الذهاب إلى صالون الكتاب هذا، الموجود في أقصى العالم».

«هذا خبر ممتاز. في كل حال، لم يكن لديك خيار».

«بل لدينا الخيار على الدوام، ويمكنني أن أغيّر رأيي في أي لحظة. كما أني أريد أن أحدثك عن طلب شخصي، هل يمكن أن تمنحني مبلغًا

مكتبة هي و هو

مقدمًا من مستحقاتي إذا ما قررت قضاء عام أو عامين في سيول؟ هذا لمساعدتي على الاستقرار هناك، فأنا لا أريد أن أترك شقتي الباريسية قبل أن أتأكّد».

«تتأكّد؟ تتأكّد من ماذا؟».

«من إمكانية استقراري هناك».

«لماذا تريد أن تعيش في كوريا، أنت حتى لا تتقن لغتهم؟».

«لم أفكر بمسألة اللغة لكن افترض أنني سأتعلّمها».

«هل ستكرس نفسك لتعلّم اللغة الكورية؟».

«Nan niga naie palkarakeul parajmdoultaiga nomou djoa».

«ماذا يعني هذا الهراء؟».

«يعني في اللغة الكورية «أحب أن تلحس أصابع قدمَيَّ»».

«ما بك؟ لقد أصابك الجنون، لقد فقدت عقلك تمامًا!».

«أنا لا أطلب منك استشارة نفسية، إنما أطلب مبلغًا مقدمًا من مستحقات حقوقي من التأليف».

«هل أنت جاد؟».

«ألم تقل لي إن نجاحي هناك سيجعلني أنجح في الولايات المتحدة ثم في أوروبّا. وإذا كنت قد فهمتك جيدًا، سنحقق ثروة طائلة حين أستقل الطائرة لأجل تحقيق مثل هذا النجاح. إذًا حسب منطقك.. هذا المبلغ الذي أطلبه مقدمًا لن يمثل لك مشكلة».

«هذا مجرد تصوّر افترضته سيثبته المستقبل أو ينفيه».

صمت كريستونيلي وقد بدا أنه يفكر قبل أن يتابع:

«لكن أرى في الوقت نفسه أنه إذا ما صرّحت أنت لوسائل الاعلام الكورية، بأنك تريد أن تستقر في بلدهم، ولأنك ستكون هناك بالفعل سيعمل ناشرك الكوري على الترويج لكتبك بأي شكل».

تنهّد بول وقال: «إلى آخره.. إلى آخره! إذًا اتفقنا؟».

مكتبة هي و هو

«بشرط واحد! مهما حصل هناك، سأبقى أنا ناشرك الأساسي، لا أريد أن أسمع أن ثمّة عقدًا وُقِّعَ مباشرة بينك وبين الكوريين! هل هذا واضح؟ فأنا مَن فعلتُ كل ما بوسعي للتكفّل بأعبائك حتى الآن!».

«نعم هذا صحيح، ولكن لا يمكنك القول بأنك رفعتني كثيرًا إلى الأعلى».

«أي جحود هذا؟! هل تريد هذا المبلغ المقدّم أم لا؟».

صمت بول. وكتب على المنديل الورقي المبلغ الذي يريده من كريستونلي.

رفع هذا الأخير عينيه إلى السماء، شطب بقلمه على الرقم وكتب نصفه!

تصافحا بالأيدي، وهو ما يعني في عالم النشر أن عقدًا ما قد أبرماه بينهما.

«سأمنحك شيكًا حين أرافقك إلى المطار كي أطمئن أنك بالفعل ستستقل الطائرة».

غادر كريستونيلي تاركًا بول يدفع الحساب.

***

عند عودتها من تقديم الوجبات الخاصّة بفترة الغداء في المطعم، وجدت ديزي ميّا في لباس الاستحمام، ممدّدة على الأريكة، وبيدها علبة من المناديل الورقية، وقد وضعت على عينيها منشفة الحمام الرطبة.

«ما الخطب؟».

أجابت ميّا: «أعاني من صداع نصفي يضغط على عينيَّ، ورأسي يكاد ينفجر».

«هل أستدعي الطبيب؟».

«لا فائدة من ذلك، سبق أن عانيت مثل هذا الصداع، إنه يستغرق نحو عشر ساعات ثم يتوقف».

«ومتى أصابكِ ذلك الصداع؟».

«في منتصف الظهيرة».

نظرت ديزي إلى ساعتها ثم إلى صديقتها.

«حسنًا، لا يمكنك العمل في هذه الحالة. لننسَ ذهابك إلى المطعم هذا المساء ولتساعديني غدًا».

احتجّت ميّا: «كلا، سأذهب في الموعد».

وبمجرّد نطقها بهذه الكلمات وضعت على الفور رأسها بين يديها وهي تئنّ.

«مع هذا الوجه الشاحب، سيهرب الزبائن! اذهبي للاسترخاء في غرفتك».

«لا، لن أترككِ وحدك». قالت ميّا من جديد وهي لا تزال ممدّدة وقد تدلّت إحدى ذراعيها على الأرض.

«يستطيع روبير تدبير شؤون المطبخ بينما أنا أخدم الزبائن، لن تكون المرة الأولى التي نفعل فيها ذلك. اذهبي وارتاحي، هذا أمر».

أمسكت ميّا بعلبة المناديل الورقية ومنشفة الحمام الرطبة لا تزال على عينيها، وتوجهت إلى غرفتها وهي تتحسّس طريقها.

بمجرّد أن غادرت ديزي الشقة.. خرجت ميّا من غرفتها، ألصقت أذنها على مدخل الباب لتسمع وقع خطوات أقدام صديقتها على سلالم الأدراج. ثم اندفعت إلى النافذة الزجاجية تتابعها حتى توارت عند زاوية الشارع.

هرعت إلى الحمام، غسلت وجهها بالماء البارد لإزالة المسحوق الذي كانت وضعته، وخطوط القلم التي صبغت بها جفنها السفلي. لو كان في مهنتها شيء مفيد.. فسيكون إجادتها لاستخدام الماكياج المناسب للدور الذي تمثّله. وبينما هي تبحث عن معطف للمطر في

مكتبة هي و هو

دولاب ديزي، أدهشها عدم إحساسها بأي ذنب. بل كانت تشعر بحالة من الفرح لم تعشها منذ زمن طويل ووجدت ضرورة في استغلالها.

اختارت حذاءً رياضيًّا، ثم فجأة تساءلت عن أسباب ارتداء مثل هذه الملابس وهي تذهب إلى حفلة في الأوبرا، ففي إنجلترا نتأنّق ونحن نذهب إلى الأوبرا. وحين نظرت إلى نفسها في المرآة، شعرت أنها تشبه قليلًا أودري هيبيورن وهو ما أسعدها. وتردّدت في إضافة النظارة الشمسية لهذا المزيج الذي ترتديه، فرمتها في حقيبتها، وغادرت.

فتحتْ الباب الأمامي للبناية إلى النصف للتأكد من أن الطريق سالكة، ثم أسرعت نحو التاكسي الذي كان يقف على الرصيف المقابل.

* * *

انتظر بول على المدرج الخامس لقصر غارنييه مقر الأوبرا.

«أبدو كأني المفتش كلوزو(1)، قال وهو يستقبل ميّا التي كانت تتقدم نحوه».

«بل تبدو مثل جنتلمان حقيقي! قلتَ لي أن أحمل معطفًا للمطر وحذاءً مريحًا».

تفحّصها بول.

«أنت رائعة، اتبعيني».

التحقا بالجمهور الذي كان يدخل الأوبرا. وبعد أن عبرا سلسلة من الردهات، وقفت ميّا منبهرة أمام الدرج الكبير. وأصرّت على الاقتراب من تمثال العرّافة بيثيا.

---

(1) المفتش كلوزو l'inspecteur Clouzot مفتش أخرق يعمل في مديرية الأمن الفرنسي حسب الشخصية الدرامية التي ابتكرها كاتب السيناريو الأمريكي بلاك إدواردز وزميله موريس ريشلين عام 1963 وقُدِّمت في فيلم «النمر الوردي». (المترجم).

مكتبة هي و هو

قالت ميّا متعجبة: «كم هي جميلة!».

توسّل بول: «أجل هي فاتنة، لكن لنسرع الآن!».

«أبدو بشعة بملابسي هذه وسط كل هذا الجمال، كان عليَّ أن أرتدي فستانًا».

«لا، لا تحتاجين لذلك إطلاقًا! هيا بنا».

«لا أفهم، كان المفترض أن نزور هذا المكان أثناء ساعات الإغلاق.. هل سنتفرّج على العرض الأوبرالي؟».

«ستفهمين كل شيء فيما بعد».

«لدى وصولهما إلى الطابق السفلي، سلكا نفق الأوركسترا».

«ما عرضُ الليلة؟» سألت ميّا بينما كانا يقتربان من مدخل الصالة.

«لا أعرف».

ثم مرَّ بول بتمثالين وحيّاهما قائلًا: «مساء الخير».

همست ميّا: «مَنْ تُحيّي؟».

«باخ وهايدن، أستمع إليهما وأنا أكتب، لذا تحيتهما أقل ما يمكن أن أقوم به تجاههما، أليس كذلك؟».

سألته بينما كان يواصل التقدم: «هل يمكنني أن أعرف إلى أين نحن ذاهبان؟».

«للجلوس على مقعدينا».

أرشدتهما العاملة إلى مقعدَيْهما، وفوجئت ميّا من اختيار بول لمقعدين سيئين. قدم بول المقعد الأول لميّا وجلس هو وراءها.

كانت وضعية الجلوس صعبة، ولم يكن بإمكانهما رؤية إلّا الجانب الأيمن فقط من المسرح! كان الأمر غريبًا على ميّا تمامًا، مقارنةً بالعروض الافتتاحية للأفلام التي كانت تحضرها ميّا حيث كانت تجلس في أفضل مكان في الصفوف الأولى.

مكتبة هي و هو

لكن لا يبدو لي أنه اختار هذا المكان لأنه أرخص، فهو لا يبدو بخيلًا! كانت تفكر بذلك أثناء رفع الستارة.

ومرت دقائق عشرة من العرض. وكانت ميّا تتلوى على كرسيها أملًا بالعثور على وضع مريح حين ربّت بول على كتفها.

همست ميّا: «آسفة إذا كنت أتحرك طوال الوقت؛ مؤخرتي تؤلمني».

أمسك بول ضحكته وانحنى على أذنها.

«قدّمي لمؤخرتك خالص اعتذاراتي، واتبعيني. سنغادر».

سار منحني الظهر حتى منفذ الطوارئ الكائن أمامهما. وكانت ميّا تنظر إليه باندهاش.

ربما يكون مجنونًا بالفعل.

تمتم بول وهو ينحني أمام الباب: «هيّا!».

أطاعته ميّا، وانحنت هي الأخرى لتلتحق به.

دفع الباب ببطء وأدخلها في الممر.

سألت ميّا: «هل سنظل نلعب دور البط بطريقتنا في التحرك على هذا النحو؟».

«العبي ما تشائين ولكن اتبعيني بصمتْ».

سلك بول الممر وهو يمسك يد ميّا. وكلما تقدما في هذه المتاهة، زادت تساؤلاتها عمّا يجري.

وعند نهاية ممر آخر، اتجها نحو سلّم متعرّج. دعا بول ميّا أن تصعد أمامه ليساعدها في حال تعثّرها وطلب منها أن تكون حذرة حتى لا تقع.

«أين نحن؟» تساءلت ميّا التي بدأت تندمج في اللعبة.

«سوف نسلك هذا المنفذ أمامك، لكن أرجوكِ من دون أي ضجيج لأننا سوف نمرّ من فوق خشبة المسرح، وأنا من سيسير أمامك هذه المرة».

مكتبة هي و هو

رسم بول إشارة الصليب، وحينها أصيبت ميّا بدهشة كبيرة، فهمس لها أنه يخشى المرتفعات لأنها تصيبه بالدوار.

عندما وصل بول إلى الجهة الأخرى، استدار نحوها ليجدها تقف في وسط الممر وقد تسمّرت عينيها على الصالة. حينها شعر بأن ملامحها طفولية، حتى معطفها الواقي من المطر بدا واسعًا عليها فجأة. لم تعد المرأة نفسها التي التقى بها على أدراج قصر غارنييه، بل فتاة صغيرة مُعلقة في الهواء، منبهرة بالعرض الأوبرالي الساحر.

انتظر لحظات معدودة وغامر بإطلاق سعلة خفيفة لإثارة انتباهها.

ابتسمت له ميّا ابتسامة عريضة والتحقت به.

وعندما صارت خلفه همست: «لا أصدق روعة ما رأيت!».

«أعرف، لكنكِ لم تري شيئًا بعد».

أخذ بيدها وقادها نحو باب انفتح على سلم آخر.

«هل نحن ذاهبان لرؤية البحيرة؟».

«أنتم أيها الإنجليز تصوراتكم غريبة، هل تظنين أنهم وضعوا البحيرة في الطابق الأخير».

«إذًا كان بوسعنا النزول ثانية على هذه السلالم».

«كلا، سنصعد. لا وجود للبحيرة، بل مجرد خزّان ماء جوانبه أسمنتية، وإلا لكنت جلبت معي زعانف الغطس وأنبوب التنفس».

«إذًا، لماذا طلبت مني أن أرتدي معطف المطر؟» تساءلت ميّا منزعجة.

«سترين بنفسكِ».

وبينما هما يصعدان السلالم الخشبية القديمة، تناهى إلى سمعهما أصوات مرعبة لأشياء تتدحرج. توقفت ميّا مذعورة.

«لا تقلقي إنه ضجيج عمليات التحضير في الكواليس لتبديل الديكور».

مكتبة هي و هو

وحين وصلا إلى سطح السلم الأخير ضغط بول على زر فانفتح باب حديديّ ودعا ميّا إلى عبوره.

تقدّمت على الأسطح الزنك للأوبرا، ومنحها هذا المكان إطلالة غاية في الروعة على باريس.

وتعجبّت مما رأت بصوت عالٍ بالإنجليزية واستدارت جهة بول. فقال لها:

«تقدّمي، هيا تقدّمي أكثر، لا توجد مخاطر».

«ألن تتقدّمَ أنت؟».

«بلى، بلى سأتقدّم».

«لماذا جئت بي إلى هنا إذا كنت تعاني من الدوار؟».

«لأنكِ لا تعانين منه. هذا منظر فريد من نوعه في العالم. واصلي الصعود، سأنتظرك هنا. املأي عينيك بما ترينه، فعددُ من أُتيحت لهم فرصة مشاهدة مدينة النور من هذا المكان لا يتجاوزعدد أصابع اليد الواحدة أو لنقل اليدين معًا. تقدّمي، ولا تضيّعي شيئًا من هذا المنظر. ففي واحدة من ليالي الشتاء وبينما تجلسين بالقرب من مدفئة قصرك الإنجليزي العتيق، ستحكين لأبناء أحفادك اللوردات الصغار عن الليلة التي انبهرتِ فيها بباريس عندما شاهدتها من فوق سطح الأوبرا، حينها ستكونين عجوزًا لا تتذكر اسمي لكن لم تنسَ أبدًا أنه كان لها صديق في باريس».

راقبت ميّا بول وهو يتشبث بمقبض الباب. تقدّمت على السطح، ومن مكانها، استطاعت أن تميّز كنيسة المادلين، وبرج إيفل بأنواره المشعة في السماء، هذه السماء التي أخذت ميّا تحدق فيها بعينيْ طفلة تعدّ النجوم وهي مقتنعة بأن بوسعها إحصاءها. ثم توجّهت بنظرها نحو أبراج حي بوغرونيل. كم من الأشخاص يتناولون عشاءهم أو يضحكون أو يبكون خلف هذه النوافذ الصغيرة التي يزيد حجمها قليلًا فقط عن

مكتبة هي و هو

حجم النجوم المتألقة في السماء؟ وحين استدارت، لاحظت كنيسة القلب المقدس المعلّقة على تلّة مونمارتر وفكّرت في صديقتها ديزي. باريس بأكملها بين يديها وهي لم تشاهد قط شيئًا أجمل من هذا المنظر.

«ليس بمقدروك أن تفوّتي منظرًا كهذا».

«أنا حقًا لا أستطيع تفويته».

اتجهت نحوه، رفعت وشاحها ثم ربطته على عينيه. ومن ثم، أمسكت يده لتقوده على سطح الأوبرا. واستجاب بول لها فتقدّم كبهلوان يمشي على الحبل.

«سأكون أنانية لو وافقت على مشاهدة ذلك وحدي»، قالت وهي ترفع وشاحها عن عينيه، وأضافت: «كيف يمكن أن أروي هذه اللحظة لأبناء أحفادي اللوردات الصغار وأنا لم أتقاسمها مع صديقي الباريسي؟».

جلس بول وميّا على أعلى نقطة على السطح يستمتعان بمنظر المدينة.

بدأ رذاذ المطر يتساقط. نزعت ميّا معطفها المطري وفردته على كتفيهما.

«أنت تعمل حسابًا لكل شيء؟».

قال لها وهو يشير إلى وشاحها: «نعم، أحيانًا. أيمكنك أن تعيديني الآن إلى حيث كنت؟».

* * *

في أسفل السلم، استقبلهما حارسَين من رجال الأمن واصطحباهما إلى مكتب مدير الأوبرا حيث كان ينتظرهما ثلاثة من رجال الشرطة.

«أعرف، لقد خالفت تعليماتك، ولكننا لم نؤذِ أحدًا». قال بول مخاطبًا المدير.

«هل تعرف هذا السيد؟» سأل الشرطي مولار مدير الأوبرا.

«لا، ليس بعد الآن، بإمكانك أن تقبض عليهما».

مكتبة هي و هو

أشار الشرطي مولار إلى اثنين من زملائه اللذين أخرجا زوجين من الأصفاد.

«لا أرى ضرورة لاستخدام الأصفاد»، احتج بول.

قال المدير وهو ينظر إلى الشرطي: «يبدو لي أن هذين الشخصين خارجان تمامًا عن السيطرة».

مدّت ميّا معصمها، وألقت نظرة على ساعتها، وفزعت حين لاحظت الوقت.

* * *

أخذ مفتش الشرطة إفادتهما. اعترف بول بالوقائع التي اتُّهم بها، وألقى بكامل المسؤولية على نفسه لكنه قلّل من شأن ما اقترفه. وأقسم بأغلظ الأيمان أنه لن يكرر هذا الفعل إذا ما أخلوا سبيله. ثم سأل هل يستدعي أمر كهذا أن يمضيا الليلة في مخفر الشرطة؟

تنهّد مفتش الشرطة وأجاب:

«أنتما من الرعايا الأجانب. ما لم أتمكن من الاتصال بقنصليتَيكما وأتحقق من هويتَيكما، لا يمكن الافراج عنكما».

قال بول: «لديَّ بطاقة إقامة لكن نسيتها في البيت، إنما أؤكد لك أني مقيم في فرنسا».

«هذا ما تدّعي قوله».

تمتمت ميّا: «شريكتي ستقتلني».

سألها مفتش الشرطة: «هل ثمة شخص يهددك، يا آنسة؟».

«كلا، هذا مجرد تعبير مجازي ولم أقصد القتل حرفيًّا».

«إذًا، انتبهي لكلماتك، أنتِ في مخفر شرطة».

سأل بول وهو يميل على ميّا: «لماذا تريد قتلك؟».

مكتبة هي و هو

قال مفتش الشرطة: «ما الذي قلته للتو؟».

«حسنًا، لسنا في مدرسة الآن! يبدو أن هذا الوضع يعرّض صديقتي لمشكلة مستعصية في عملها، نطلب منك فقط القليل من المرونة».

«كان عليكَ أن تفكر بهذا قبل أن تقتحم مبنًى عموميًّا».

«لكننا لم نقم بأي اقتحام فجميع الأبواب كانت مفتوحة، ومن ضمنها الباب التي يفضي إلى السطح».

«هل تريان أن التجول على سطح الأوبرا أمر عاديٌّ ولا يُعدّ اقتحامًا؟ هل تجدان من الطبيعي أن أقوم بما قمتما به في بلدَيْكما؟».

«إذا كنت ترغب في ذلك بشدة، فذلك لن يزعجني أبدًا أيها المفتش، بل يمكنني أن أرشدك إلى مكانين أو ثلاثة أمكنة يكون المنظر منها خلابًا».

«حسنًا»، تنهّد مفتش الشرطة، «ضع هذين المغفلين في الحجز وابدأ بهذا المهرّج».

«انتظر!» توسّل بول. «إذا ما جاء أحد الفرنسيين، وأثبت لك هويتي، هل ستعتبر ذلك دليلًا على صدق ما أقول وتطلق سراحنا؟».

«إذا ما جاء على الفور يمكنني أن أفكر بالأمر، أما لو تأخر فسأكون أنهيت دوامي الرسمي وستيعيّن عليكما الانتظار في الحجز حتى صباح غد».

«هل أستطيع أن أستخدم الهاتف؟».

أدار مفتّش الشرطة جهاز الهاتف الموضوع أمامه على المكتب باتجاه بول وسمح له باستخدامه.

* * *

«أنت لست جادًّا؟».

«بلى».

«أفي هذه الساعة؟».

مكتبة هي و هو

«في مثل هذه الظروف لا يكون لدينا رفاهية الاختيار».

«وهل أستطيع أن أعرف لماذا؟».

«اسمعني كريستونيلي، فليس أمامنا متّسع من الوقت. أسرع إلى مكتبك، وخذ نسخة من جميع أوراقي وتعالَ إلى مخفر شرطة الدائرة التاسعة في أقل من ساعة، وإلّا فسأوقّع كتابي المقبل مع تشيونغ شان فوو».

«مَن تشيونغ شان فوو؟».

صرخ بول: «لا أعرف، لكن لا بد أن يكون ثمّة شخص يحمل هذا الاسم عند ناشري الكوري!».

أغلق كريستونيلي الهاتف في وجهه.

سألت ميّا بصوت متوسل: «هل سيأتي؟».

«كل شيء ممكن معه». أجاب بول مرتابًا وهو يعيد الهاتف إلى مكانه.

استأنف مفتش الشرطة كلامه وهو ينهض: «حسنًا، ستنامان الليلة في منزلَيكما لو كان هذا الشخص الذي صرخت في وجهه بالغباء الكافي ليقدّم لكما هذه الخدمة، وإذا لم يفعل فلدينا هنا أغطية للنوم، ففرنسا دولة متحضرة».

اقتيد كل من بول وميّا إلى غرفة التوقيف في السجن. ومن باب اللياقة، لم يُوضَعَا في واحدةٍ ضمت سكيرَيْن تركا فيها حتى يفيقا. وأغلقوا الباب وراءهما.

جلست ميّا على المقعد ووضعت رأسها بين يديها.

«لن تسامحني صديقتي على فعلتي هذه أبدًا».

«لكننا لم نقترف جريمة دَهْسِ عجوز على الطريق! لماذا أنت قلقة هكذا؟ فهي لن تعرف أننا هنا».

مكتبة هي و هو

«نحن نسكن معًا، وحين تعود من المطعم ستكّتشف غيابي الذي سيستمر حتى صباح اليوم التالي».

«في مثل سنّك، يحّق لك أن تنامي خارج بيتك، أليس كذلك؟ أهي مجرد شريكتك في السكن أو...؟».

«أو ماذا؟».

«لا، لم أقصد شيئًا».

«لقد تظاهرت بأني أعاني من صداع الرأس النصفي لكي لا أساعدها في العمل هذا المساء رغم حاجتها لمساعدتي».

«ليس شيئًا جيدًا ما قمتِ به، لا بدّ من الاعتراف بذلك».

«شكرًا لأنك تزيد الطين بلّة».

جلس بول إلى جوارها، ملتزمًا الصمت. ثم أعلن في النهاية:

«عندي فكرة، وتبقى فكرة لا أكثر: الاستجواب، الأصفاد، ومخفر الشرطة، أشياء لا يجب أن تقصيّها على مسامع أبناء أحفادك اللوردات الصغار».

«بل سيكون ذلك من دون أي شك أكثر أجزاء الحكاية التي سيفضّلون سماعها: «جدّتنا التي أمضت ليلتها في مخفر الشرطة!»».

سمعا صوت دوران المفتاح في القفل. انفتح باب الزنزانة وأمرهما شرطي بالخروج، وقادهما إلى مكتب مفتش الشرطة حيث تواجد كريستونيلي الذي كان يحرّر شيكًا بقيمة الغرامة المطلوب دفعها بعد أن قدّم صورة من بطاقة الإقامة الخاصة ببول.

قال المفتش: «ممتاز، يمكنك الآن المغادرة معه».

وحين التفت كريستونيلي اكتشف وجود ميّا، وراح يعاتب بول بنظراته.

«كيف حدث ذلك؟» تكلّم كريستونيلي غاضبًا من مفتش الشرطة، لقد دفعت هذا المبلغ لأجل أن أصطحب الاثنين.

مكتبة هي و هو

«السيدة لا تمتلك بطاقة إقامتها!».

على الفور أكد كريستونيلي لمفتش الشرطة وهو يقسم بشرفه: «إن السيدة هي ابنة أختي!».

«أنت إيطالي وابنة أختك إنجليزية؟ عائلتك دولية أم ماذا؟!».

صاح كريستونيلي: «تجنّستُ كفرنسي، يا حضرة المفتش! وفي الواقع، تضّم عائلتي أجناسًا أوربية متنوعة منذ ثلاثة أجيال، ويمكنك أن تسمّيهم، مهاجرين أو أجيالًا تمثّل مستقبل القارّة، وهذا تبعًا لمدى تفتح عقلك».

«اغربوا جميعًا عن وجهي، وأنتِ أيتها الآنسة، أريد أن أراكِ ظهيرة غدٍ مع جواز سفركِ، هل هذا واضح؟».

أومأت ميّا برأسها.

***

خارج مخفر الشرطة، شكرت ميّا كريستونيلي الذي رحّب بها باحترام قائلًا:

«من دواعي سروري، يا آنسة أن ألتقي بكِ. والغريب أن لديّ انطباعًا بأننا التقينا سابقًا، فوجهك مألوف عندي».

أجابت ميّا وهي تحمّر خجلًا: «أشكّ في ذلك، ربما التقيت واحدة أخرى تشبهني».

«ربما، مع ذلك أكاد أجزم...».

قاطعه بول: «أنت مثير للشفقة!».

«ما الذي جرى لك؟» قال كريستونيلي وهو ينظر في وجهه.

قال بول ساخرًا: «أبمثل هذه الطرق البالية تحاول أن تغوي النساء؟ فتستخدم كليشيه من عينة: «أنا واثق أننا ألتقينا من قبل في مكان ما»، هذا يثير الشفقة!».

مكتبة هي و هو

«عزيزي، أنت مخبول تمامًا، فأنا على يقين من أنني التقيت الآنسة من قبل».

«حسنًا لا يهمّنا ذلك، فنحن على عجلة من أمرنا ونسابق الزمن، ولنترك تبادل المجاملات إلى مساء آخر».

تمتم كريستونيلي: «ما بالك تصرخ وتتهم، حتى إنك لم تقل شكرًا؟!».

«شكرًا جزيلًا بطبيعة الحال، والآن وداعًا».

«وبطبيعة الحال أيضًا سيتمّ خصم قيمة الغرامة من المبلغ الذي سأدفعه مقدمًا من مستحقاتك عن النشر».

* * *

عندما ركب كريستونيلي سيارته المكشوفة قالت ميّا ضاحكة:

«تبدوان كزوجَيْن عجوزَيْن».

«هو العجوز وليس أنا. لنسرع. متى ستعود شريكتك من المطعم؟».

«بين الساعة الحادية عشرة والنصف ومنتصف الليل».

«لدينا إذًا عشرون دقيقة في أسوأ الحالات، وخمسون دقيقة في أفضلها، تعالَي!».

جرّ ميّا وهو يركض إلى سيارته.

بعد أن فتح لها الباب، أمرها بأن تضع حزام الأمان، وانطلق يقود السيارة بسرعة.

«أين تسكنين؟».

شارع بولبوت في مونمارتر.

اخترقت سيارته الـ«ساب» أحياء باريس بسرعة غير معتادة. سار بول في الطريق المخصص للحافلات، وتعرّج بين سيارات التاكسي، وشتمه أحد راكبي الدراجات النارية في ساحة كليشي لأنه احتك بدراجته،

مكتبة هي و هو

وشتمه المارة الذين يعبرون الإشارة الضوئية البرتقالية عند تقاطع شارع «كولانكور» ثم انعطف إلى شارع «جوزيف دي ميست» بأقصى سرعة ممكنة.

هدّأته ميّا قليلًا: «يجب أن تخفف من سرعتك فنحن خرجنا للتو من مشكلة مع الشرطة».

«وماذا لو وصلنا بعد عودة شريكتك؟».

«أوك.. زد سرعتك إذًا!».

تقدّمت السيارة في شارع «لوبيك». وفي شارع نورفان، وكانت ميّا متكوّمة في مقعدها.

«هل المطعم هنا؟».

عبرنا من أمامه لتوّنا. قالت له بصوت لا يكاد يُسمع.

آخر منعطف ونصل إلى شارع «بولبوت». أشارت ميّا بإصبعها إلى البناية. فتوقّف بول بطريقة مفاجئة وقال لها:

«هيا أسرعي، وسنقول إلى اللقاء في وقت آخر!».

تبادلا نظرة ثم هرعت ميّا نحو بوابة البناية. انتظر بول حتى تدخل البناية، بل انتظر وقتًا أطول متأملًا الواجهة، وابتسم حين شاهد نوافذ الطابق الأخير وهي تضاء قبل أن تنطفئ على الفور. وبينما كان يستعد للمغادرة لمح امرأة تسير في الشارع وتدخل إلى البناية، حينها أطلق بوق سيارته ثلاث مرات ثم انطلق.

***

دخلت ديزي الشقة، مُنهَكة، وكان الصالون غارقًا في الظلام. أنارت الضوء وسقطت على كنبتها مباشرة. اتجهت نظراتها نحو كتاب موضوع على الطاولة الصغيرة. تناولت الكتاب وتمعّنَت من جديد في صورة المؤلّف. ثم ذهبت وطرقت برفق على باب غرفة ميّا وفتحته.

مكتبة هي و هو

تظاهرت ميّا بأنها تستفيق للتو.

«كيف حالك الآن؟».

«أفضل، وسأستعيد لياقتي غدًا».

«حسنًا، يسعدني هذا الخبر».

«هل كان العمل شاقًا في المطعم هذا المساء؟».

«كان المطعم مكتظًّا رغم الأمطار وعلى غير العادة».

«هل هطلت الأمطار بغزارة؟».

«أجل. وهل هطلت الأمطار في الشقة أيضًا؟».

«بالطبع لا، ماذا تقصدين بذلك؟».

«لا شيء».

أغلقت ديزي الباب من دون أي تعليق آخر.

***

ركن بول سيارته وصعد إلى شقته. جلس إلى مكتبه ليكتب فصلًا جديدًا من روايته يتضمن المغامرة التي قامت بها بطلته المغنية الأوبرالية التي فقدت صوتها على سطح الأوبرا، حينها أضاءت شاشة هاتفه.

«يشكرك أحفادي اللوردات الصغار وأنا معهم.. على الأمسية الرائعة التي أمضتها جدّتهم المستقبلية برفقتك».

«هل وصلتِ في الوقت؟».

«وصلت قبل ديزي بدقيقتين، كنت قد ظننت أن أمري انتهى».

«أطلقت بوق السيارة من أجل تنبيهك».

«سمعته».

«هل شكَّت رفيقتك في السكن في شيء؟».

«أظن أنها رأت طرف معطف المطر وقد ظهر خارج الغطاء».

«هل تنامين بمعطف المطر؟».

مكتبة هي و هو

«لم يكن لدي الوقت لأخلعه».
«متأسف حقًّا لما جرى في مخفر الشرطة...».
«سنتقاسم الغرامة. أُصِرُّ على ذلك».
«لا، أنت ضيفتي».
«هل ستأخذني لزيارة سراديب الموتى الأسبوع المقبل؟».
«هل يُحسب ذلك أم لا؟».
«لا يُحسب».
«لكن لماذا لا يُحسب؟».
«هكذا، من دون سبب!».
«في الواقع هذا سبب جيد جدًّا».
«إذًا، اتفقنا».
«ألا تفضّلين زيارة معرض في غراند باليه، هناك موتى أقل».
«أي معرض؟».
«انتظري لأرى».
«أنا أنتظر».
«عائلة تيودور».
«لقد سئمت عائلة تيودور».
«متحف أورسيه؟».
«أقترح حديقة لوكسمبورغ».
«حسنًا».
«هل تعمل الآن؟».
«أحاول».
«أتركك إذًا. نلتقي بعد غدٍ نحو الثالثة عصرًا؟».
«نلتقي أمام المدخل في شارع «غاينمير»».
انطفأت الشاشة وعاد بول يتابع الكتابة في روايته. كانت مطربة الأوبرا تتقدم على السطح، حينها أضاءت شاشة الهاتف من جديد.

مكتبة هي و هو

«أنا أتضوّر من الجوع».

«أنا أيضًا».

«لكنني عالقة في غرفتي».

«انزعي معطف المطر واذهبي بهدوء شديد إلى الثلاجة».

«فكرة جيدة... شكرًا.. الآن أتركك بالفعل لتواصل عملك».

«شكرًا».

وضع بول الهاتف على مكتبه. لكن نظراته لم تتوقف عن الالتفات نحو شاشة الهاتف. ثم، بعد أن خاب أمله، وضع الهاتف في أحد الأدراج وتركه مفتوحًا.

***

خلعت ميّا ملابسها بهدوء، ارتدت برنس الحمام وفتحت باب غرفتها إلى النصف. كانت ديزي مسترخية على كنبة الصالون، تقرأ رواية بول. عادت ميّا من جديد إلى سريرها وقضت الساعة التالية وهي تسمع قرقرة معدتها.

مكتبة هي و هو

هي و هو
مكتبة

الفصل 11

شعر بول بالذنب لأنه لم يداوم على الكتابة في الأيام الأخيرة. ولم تُغيّر الليلة السابقة من الأمر في شيء. كان يريد مراجعة الفصول الأولى من الرواية التي ستحظى بإعجاب كيونغ حتى لو لم تكن قد ردّت على رسالته بعد، وهو ما أثار قلقه كثيرًا.

أسدل الستائر من أجل أن يُغرِق الغرفة في الظلام، وأشعل مصباح المكتب ثم جلس خلف شاشة الكمبيوتر.

وجاء النهار مثمرًا، أنجز كتابة عشر صفحات، وتناول خمسة فناجين من القهوة، ولِتْرَين من الماء والتهم ثلاث علب من رقائق البطاطس خلال سبع ساعات.

والآن هو يتضوّر جوعًا، فقد حان الوقت لترك العمل والذهاب إلى المقهى الكائن في أسفل بنايته. لم يكن أفضل الأماكن التي تقدم طعامًا في تلك المنطقة، لكن هذا على كل حال أفضل من أن يتناول طعامه بمفرده. وبينما هو جالس إلى إحدى المناضد، بادر صاحب المقهى كعادته بتبادل الحديث معه، وراح يسرد له آخر أخبار الحي: مَنْ مات

مكتبة هي و هو

من الجيران ومَنْ طلّق، ومَنْ انتقل من مسكنه، وأيُّ محل تجاري فتح أبوابه وأيها أغلقه، والتغيرات المناخية، وأيضًا الفضائح السياسية. كل همسات المدينة والحياة كانت تصل إليه من خلال صوت «موستاش»[1] وهو الاسم الذي أطلقه بول على صاحب المقهى.

عند عودته إلى شقّته، فتح الستائر ليرى دخول المساء وفتح من جديد شاشة الكمبيوتر. تصفّح بريد الرسائل، ولم يعثر على أيّ جديد بشأن كيونغ، بل وجد رسالة أخرى.

عزيزي بول..

آمل أن تكون الأمور كلها بخير. لقد كانت إقامتنا في الجنوب ساحرة، وما زلت أتساءل لماذا عشت أربع سنوات في باريس بدلًا من الاستقرار في الريف، بين لطافة الناس، وجمال الطبيعة، والسير تحت السماء الصافية والطقس المشمس...

باختصار، يمكنك أن تفكّر في ذلك أنت أيضًا. فكثيرًا ما تكون السعادة قريبة منا أكثر مما نتصور.

نشتاق كثيرًا إلى رؤيتك. وصلنا توًّا إلى إيطاليا وسنمكث بضعة أيام في بورتوفينو وهي من أجمل المدن التي عرفتها، بل إن منطقة ليغوريا بكاملها رائعة الجمال.

قرّرنا أن نذهب بعد ذلك إلى روما، ومن هناك سنطير إلى سان فرانسيسكو مباشرة.

سأتّصل بك بمجرد عودتنا إلى البيت. أبلغني بأخبارك، هل في حياتك جديد؟

---

(1) موستاش Moustache أي الشارب. (المراجع).

مكتبة هي و هو

لورين تقبّلك، وأنا أيضًا.

آرثر

وصلت هذه الرسالة قبل دقائق وهذا يعني أن آرثر ربما كان لا يزال متصلًا بالإنترنت، فرد عليها فورًا.

صديقي القديم العزيز..

سعيد أنك تقضي أيام إقامتك في ظروف طيبة. والأجدر بك أن تمدّها، فقد عثرت عن طريق الصدفة البحتة على موقع لتأجير الشقق لفترات قصيرة. أردت أن أجرّبه لأنني سمعت عن خدماته الجيدة، خصوصًا أن شقتكما حظيت بكثير من الإعجاب من قبل الراغبين في التأجير.

لقد تدبّرت الأمر كله. إن مستأجري شقتك، وقد اخترت أفضلهم، هما زوجان رائعان مع أولادهما الأربعة وسيقيمون فيها حتى نهاية الشهر. وسيتم تحويل الإيجار مباشرة إلى حساب الوكالة، وما عليك سوى المرور لتسلُّم الشيك. آمل أن يسهم بدل الإيجار هذا في تمويل تمديد رحلتك إلى إيطاليا.

والآن نحن متعادلان!

عدا ذلك، لا شيء جديد في حياتي، ما دام يهمّك سماع أخباري، باستثناء أنني أكتب كثيرًا وأن تاريخ سفري إلى سيول يقترب هو أيضًا كثيرًا.

قبِّل لورين عني.

بول

مكتبة هي و هو

سرعان ما ظهر على الشاشة.

«لا تقل إنك فعلت ذلك وأجّرت الشقة!».

كان بول يتذوّق طعم انتقامه، وتردّد أن يجعل آرثر ينتظر، خصوصًا أن الأخير لن يتركه لحاله، لذا فضّل أن يرد على رسالته قبل معاودة الكتابة.

آرثر..

لو لم أكن خائفًا من أن ابني بالمعمودية سيمضي وقتًا أكثر عند عرّابته، لكنت تجاسرت وفعلت ذلك من دون تردّد، لكن طيبة قلبي لا تسمح لي بالقيام بذلك. وتلك الطيبة هي تحديدًا ما يجلب لي المتاعب!

لكن لا تقلق، عليك أن تنتظر ما سأفعله بك.

مع حبي

بول

وبعد ذلك، نذر بول ليله كلّه ليكتب فصلًا جديدًا في روايته.

***

«كيف قابلتِه؟».

«مَنْ؟ ماذا تقصدين؟».

«هو». أجابتها ديزي، وهي تضع الكتاب على كاونتر الحانة.

«أنتِ لن تصدقيني».

عندما نزلتِ عندي بحقيبتك، وطلبتِ مني إيواءكِ، وبكيتِ طوال الليل بين ذراعيَّ متحدثةً عمّا فعله زوجك بك، وحمّلتِه كل الأخطاء، ألم أصدّقك؟

«تعرّفتُ إليه في موقعكِ للتعارف!».

اعترفت ميّا وهي تخفض عينيها.

مكتبة هي و هو

«كنت أعرف أنني رأيتُ وجهه في مكان ما». قالت ديزي بغضب. هذه إحدى وقاحاتك!.

«ليس الأمر كما تفكرين به، أقسم لك».

«أرجوك، لا تقسمي، القَسَم عندي مقدس».

مرّت ديزي أمام ميّا صامتة للحظات، ثم ذهبت لكي تنظّم صالة الطعام.

قالت ميّا وهي تلحق بها: «اتركي تنظيم الصالة لي، لديكِ عملٌ كثير في المطبخ».

«سأفعل ما أريد في مطعمي وبالطريقة التي أريد».

«هل أنا مطرودة من العمل؟».

«هل وقعتِ في الحب؟».

احتجّت ميّا بشدة: «إطلاقًا، إنه مجرد صديق».

«وما معنى الصديق عندك؟».

«شخص حين أتحدّث معه يكون الكلام واضحًا ولا يحتمل أي تأويل».

«من طرفكِ أم من طرفه؟».

«من كلا الطرفين، وقد اتفقنا على هذا منذ العشاء الأول».

«وتناولتما الطعام معًا؟ متى؟ في الليلة التي نمتِ فيها بمعطف المطر لأنك كنت تعانين من الصداع النصفي؟».

«لا، كنا في الأوبرا في تلك الليلة».

«إن هذا أفضل وأفضل، استمرّي!».

«العشاء كان عندما قلت لكِ بأنني كنت في السينما».

«الرجل السويدي! وكل هذا الوقت كنت تكذبين عليّ؟».

«أنتِ وصفتهِ بأنه رجل سويدي، لا أنا».

مكتبة هي و هو

«وقصة الموبايل؟».

«قصة صحيحة فقد كان نسيه بالفعل».

«وصداعك النصفي؟».

«كان صداعًا عابرًا...».

«آه، كان بالفعل عابرًا!».

«إنه مجرد صديق، ديزي، ويمكنني تقديمه لك، وأنا متأكدة أن كلًّا منكما سيُعجَب بالآخر».

«لا أصدق ما تقولين».

«هو مثلك يعمل ليلًا. إنه أرعن لكنه مسلٍّ جدًّا، مثلك، هو أمريكي، ويعيش في باريس وحيدًا مثلك».

«ولم يعجبك؟».

«حسنًا، كان من المفترض أن أقول إنه يكاد يكون وحيدًا».

«انسي أمري، أرجوكِ، حصلتُ على حصتي من المغامرات مع العزّاب المزيَّفين. حسنًا، لماذا لا ترتبين الصحون على الطاولة بدلًا من أن تحاولي توريطي في هذا الأمر؟».

أذعنت ميّا وتناولت كومة من الصحون ورتّبتها على الطاولة. في حين دخلت ديزي إلى مطبخها وأخذت تقشّر الخضراوات.

دخلت ميّا إلى المطبخ وقالت بصوت فيه نوعٌ من الرجاء: «على الأقل وافقي على مقابلته».

«لا!».

«لماذا؟».

«أولًا، لأن الأمور لا تتم بهذا الشكل، وثانيًا إنه رجل «يكاد» يكون وحيدًا، وفوق كل ذلك تشعرين أنتِ نحوه بالاعجاب لكن لا تعترفين بذلك».

مكتبة هي و هو

استدارت ميّا لتواجه صديقتها ويداها على خاصرتها.

«أظن أني فقط من يحدّد ويعلم مشاعره تجاه أي شخص!».

«آه.. نعم؟ منذ متى؟ تعبرين باريس طولًا وعرضًا من أجل أن تعطي شخصًا لا يهمك أمره هاتفه، وتكذّبين مثل تلميذة إعدادي! ثم تذهبين إلى الأوبرا...».

قاطعتها ميّا:

«لا لم نذهب إلى الأوبرا، ولكن ذهبت على الأوبرا!».

«عفوًا، ماذا قلتِ؟».

«لم نشاهد عرضًا في الأوبرا! هو صحبني لرؤية باريس ليلًا من على أسطح الأوبرا».

«إما أنك ساذجة تمامًا وإما أنك تكذبين على نفسك، وفي الحالتين، احتفظي بكاتبك واتركيني بسلام».

قطّبت ميّا حاجبيها، وظلّت تفكّر كيف ستشرح الأمر.

لكن ديزي قطعت تفكيرها موجّهةً لها أمرًا: «هيا إلى العمل، سيبدأ الزبائن في القدوم إلى المطعم!».

* * *

كان بول لا يزال يتعثر في كتابة السطر الأخير من الفقرة التي يعمل عليها عند الساعة الثانية صباحًا. من الأفضل أن يتوقّف هنا هذا المساء. فحص بريد الرسائل مرة أخرى ووجد أخيرًا إجابة كيونغ، وطبَعَها. كان يريد أن يقرأ كلماتها وهي على الورق فهذا يجعلها حقيقية أكثر. التقط الورقة من الطابعة وانتظر الذهاب إلى فراشه لكي يقرأها.

بعد مرور لحظات، أطفأ الأنوار واحتضن وسادته.

* * *

مكتبة هي و هو

في الساعة الثالثة صباحًا، استيقظت ميّا على اهتزازات الموبايل. التقطته من فوق الطاولة بجانب السرير وإذا اسم ديفيد يُضيءُ على شاشة الكمبيوتر.

بدأ قلبها يضرب بقوة. وضعت الهاتف ثانية على الطاولة، وتمدّدت على فراشها من جديد واحتضنت وسادتها.

الفصل 12

وصلت ميّا متأخرة أمام سياج حديقة لوكسمبرغ ذي القضبان الحديدية، بحثت عن بول، ولمّا لم تجده بعثت له برسالة نصية.

«أين أنتَ؟».

«جالس على المقعد».

«أي مقعد؟».

«أرتدي معطفًا أصفر اللون، ليسهل عليك إيجادي».

«هل هذا صحيح؟».

«لا!».

وقف بول حين رأها تقترب وراح يلوّح لها بيده.

عندما وصلت إليه قالت:

«أنت اليوم من يرتدي معطف المطر رغم أنها لا تمطر».

«سنرى هل ستمطر أم لا». أجابها، وشرع في المشي، ويداه خلف ظهره.

وتبعته ميّا.

مكتبة هي و هو

«هل كتبت شيئًا بالأمس أم تعثّرت؟».

«لا لم أتعثّر بل نجحت في كتابة فصل كامل، وسأشرع في كتابة فصل آخر هذه الليلة».

«هل تريد أن تلعب جولة من لعبة البيتانك(1)؟ سألته وهي تنظر إلى مجموعة تلعبها».

«هل تعرفين قواعد اللعبة؟».

«لا أظن أن قواعد لعبها معقّدة».

«بل هي معقّدة للغاية، فكل شيء في هذه الحياة معقّد».

«هل أنتَ في مزاجٍ سيئ؟».

«وماذا لو فُزْتُ، حينها ستعدّين لي العشاء!».

«وماذا لو خسرتَ؟».

«لو تركتك تظنين أن بوسعك الفوز سأكون قد خدعتك، فأنا قد صرت بطلًا محترفًا في هذه اللعبة الغبية». «رغم ذلك، سأجرّب حظي». أجابت ميّا وهي تتقدّم نحو منطقة اللعب.

تقدّمت من لاعبَيْن عجوزين يجلسان على مقعدين يدردشان، وسألتهما أن يعيراهما أدوات اللعب. وأمام ترددهما، انحنت ميّا نحو العجوز الأكبر سنًا وهمست في أذنه بعض كلمات. ابتسم الرجل وأشار إلى منطقة الملعب حيث الكرات.

التفتت نحو بول: «هل نذهب؟».

بدأ بول اللعب وألقى بالكرة الأولى التي ستكون بمنزلة الهدف الذي يتم التصويب عليه. انتظر حتى تتوقف، انحنى وهو يهّز ذراعه إلى الوراء ورمى الكرة الأكبر الأخرى صوبها. رسمت كرته قوس دائرة في الهواء قبل أن تتدحرج وتستقر بالقرب من الكرة الأولى.

---

(1) لعبة الكرة الحديدية La pétanque تلعب بكرات من الحديد، على الرمال أو على الحشائش في الحدائق، ويرجع تاريخها للعصر الروماني. (المراجع).

مكتبة هي و هو

«من الصعب الوصول إلى أقرب نقطة»، صَفَّرَ بول. «دوركِ الآن».

أخذت ميّا موقعًا أمام جدَّين كانا يستمتعان بمشاهدتهما وهما يلعبان. ارتفعت كرتها أقل من ارتفاع كرة بول وجاءت لتستقر على بعد بضعة سنتيمترات وراءها.

ابتهج بول وقال بسخرية ودودة:

«رمية جيدة لكنها غير كافية».

قام بول بتدوير معصمه بخفّة ورمى الكرة الثانية. تجاوزت الكرة ببطء الكرتين المتواجدتين في ساحة اللعب ثم التصقت بالهدف.

انتشى بول، شاعرًا بإحساس النجاح. ونظر نحوها كأنه يقول هيّا أرِنا ما لديكِ.

«أجل، هكذا يكون اللعب»، قال بول مبتهجًا بنبرة المنتصر.

أخذت ميّا مكانها، ونظرت إلى الكرات وركَّزت على التصويب. استطاعت إزاحة كرتَيْ بول بعيدًا، ونجحت في دفع كرتها لتلتصق بالهدف.

«يالها من رميّة!» صرخ أحد العجوزَيْن، وانفجر الآخر ضاحكًا.

قالت ميّا: «أجل، هكذا يكون اللعب».

نظر بول في وجهها، مذهولًا، ثم ابتعد.

حيّت ميّا الرجلين اللذين صفقا لها وركضت خلف بول.

«هيّا لا تكن الخاسر الغضبان!» قالت وهي تلحق به.

«ذلك لأنك جعلتني أصدّق أنها المرة الأولى التي تلعبين فيها هذه اللعبة فيها».

«أمضيت فصول الصيف فترة طفولتي في الريف كما سبق أن قلت لك من قبل.. لكن يبدو أنك لا تستمع إلى النساء حين يتكلّمن معك».

مكتبة هي و هو

«بلى، أنا أستمع اليكِ، لكنك تتحدثين عن ليلة لقائنا الأول التي كان ذهني فيها مشوَّشًا وليس ثمة داعٍ أن أذكّرك بالظروف التي أحاطت بها».

«ما الذي دهاك؟».

أخرج بول ورقة وسلمها لها.

«وصلت إليَّ هذه الرسالة الليلة الماضية». قال متذمرًا.

توقّفت ميّا لتقرأها.

عزيزي بول..

يسرني أن تأتي إلى سيول، حتى لو لم يكن بوسعنا الاستمتاع بلقائنا معًا بقدر ما كنت أرغب. أجبرني صالون الكتاب على التزامات مهنية لا يمكن التنصّل منها. ستُفاجأ من استقبال القرّاء وترحيبهم بك، أكثر بكثير مما سيفعلون معي. أنت مشهور هنا، والقرّاء ينتظرونك بشوق. استعدّ للحديث بإسهاب عن شخصك. من جانبي، سأتحرّر قدر الإمكان، وسأصحبك لزيارة مدينتي... إذا وفّر لنا ناشرك بعض الوقت.

تمنّيت لو أستقبلك في منزلي، لكن هذا مستحيل لأن عائلتي تعيش في المبنى نفسه وأبي بالغ الصرامة.. وأن يبيت رجل مع ابنته سيكون بمنزلة اختراق لقواعد اللياقة لن يقبلها بحال. أتخيّل شعورك بخيبة الأمل التي أقاسمك إياها لكن عليك أن تفهم أن الأعراف والعادات هنا ليست كما هي في باريس.

أتطلّع لرؤيتك قريبًا.

رحلة سعيدة.

مترجمتك المفضلة

كيونغ

مكتبة هي و هو

اعترفت ميّا وهي تردّ له الورقة: «إنها كتابة باردة نوعًا ما».

«بل هي رسالة جليدية!».

«لا يجب أن نبالغ وعلينا قراءة ما بين السطور. أجد الكثير من الحياء في رسالتها».

«لكن هذا الحياء لا يظهر عندما تزور باريس».

«الوضع يختلف، فهذه المرة ستكون أنت في بلدها».

«أنت امرأة، وتعرفين كيف تقرأين ما بين السطور أفضل مني. هل تحبّني أو لا تحبّني؟».

«تحبّك بكل تأكيد».

«لماذا لا تكتب لي ذلك، هل الاعتراف بالحبّ أمر صعب؟».

«نعم حين تكون المرأة خجولة».

«وأنتِ، حين تحبّين رجلًا، ألا تعترفين له بذلك؟».

«ليس بالضرورة».

«ما الذي يمنعك؟».

«الخوف». أجابت ميّا مباشرةً.

«الخوف مماذا؟».

«الخوف من إخافة الآخر».

«ما كل هذا التعقيد؟! ما الذي يجب فعله إذًا؟ نعترف بالحبّ أم لا نعترف؟».

«يجب الانتظار قليلًا».

«ماذا ننتظر؟ فوات الأوان؟».

«المهم عدم الاعتراف قبل الأوان».

«وكيف نعرف الوقت المناسب للاعتراف بالحب؟».

«حين نشعر بالاطمئنان، حسبما أتصور».

«وهل شعرتِ بالاطمئنان من قبل؟».

مكتبة هي و هو

«نعم».

«وهل اعترفتِ له بحبك».

«نعم أيضًا».

«وهل أخبركِ بأنه يحبكِ؟».

«نعم».

أظلَمَ وجه ميّا، وهو ما لاحظه بول.

«انفصلتِ منذ فترة بسيطة، وأنا نكأت جرحك بقسوة بما قلته، يا لها من أنانية!».

«لا؛ ما قلته كان مؤثِّرًا. لو امتلك كل الرجال شجاعة الاعتراف بهشاشتهم لتغيّرت أمورٌ كثيرة».

«في ظنّك.. هل أردّ على رسالتها؟».

«أظن أنك ستراها قريبًا، وحين تكون معها ستنهار من جديد تحت تأثير سحرك».

«أنت تسخرين مني، أليس كذلك؟ أعرف، أنا أبدو غريب الأطوار».

«ليس فيك ذرة غرابة إنما أنت صادق، وتمسَّك بصدقك هذا».

«ما رأيكِ أن نتناول وافل النوتيلا؟».

«لم لا؟» تنهّدت ميّا.

أخذها بول إلى محل الوجبات الخفيفة، واشترى فطيرتين، مقدّمًا لها الفطيرة الأولى.

قال لها بول وفمه ممتلئ بالوافل: «إذا ما عاد إليكِ، سائلًا العفو، فهل تمنحينه فرصة ثانية؟».

«لا أعلم».

«ألم يتصل بك منذ...؟».

قاطعته ميّا: «نعم».

مكتبة هي و هو

«حسنًا، هناك حوض ماء يلعب فيه الأطفال بالقوارب الشراعية الصغيرة، لكن ليس لدينا أطفال، ثم هناك التنزّه على ظهور الحمير، هل يستهويك ذلك؟».

«لا.. لا يستهويني».

«ممتاز فقد سبق أن شاهدتُ حميرًا بما فيه الكفاية! في هذا الاتجاه ملعب التنس، ونحن لا نلعب التنس، أظن أننا أكملنا الجولة! دعينا نذهب، سئمت هذه الحديقة وهؤلاء الأزواج الذين يتبادلون القُبُلات».

توجّه بول إلى بوابة منطقة «فوجيرار»، وهو ينظر إلى ميّا بين وقتٍ وآخر. وتدرجا نزولًا في شارع بونابرت على طول ساحة سان سولبيس حيث سوق الأشياء المستعملة.

تجوّلا بين الممرّات وتوقّفا أمام إحدى طاولات العرض.

«إنها جميلة»، قالت ميّا وهي تنظر إلى ساعة قديمة:

«نعم، لكنني أؤمن ببعض الخرافات تجعلني لا أرتدي أشياء كانت تخصّ شخصًا غيري إلا لو كنت قد علمت مسبقًا أن هذا الشخص كان سعيدًا. لا تسخري مني، لكن أنا أؤمن بأن للأشياء ذاكرة، وأن بوسعها أن تنقل الخير أو الشر».

«أتؤمنُ بذلك حقًّا؟».

«منذ سنوات اشتريت من هذه السوق حافظة أوراق كريستال. أكدّ لي البائع أنها تعود إلى القرن التاسع عشر. لم أصدّق في لحظتها، وكان وجهٌ لامرأة جميلة منحوتًا في داخلها، ومنذ أن اقتنيتها لم أتوقف عن مواجهة القرف».

«ماذا تعني بمواجهة القرف؟».

«تبدين رائعة حين تتلفظي من وقت إلى آخر بالكلمات ذات المعنى السيئ».

«ماذا تعني بذلك؟».

مكتبة هي و هو

«لا أعرف لكن طريقة نطقك لهذه الكلمات يجعلك مثيرة نوعًا. عمّ كنت أتحدث؟».

«عن «مواجهتك القرف»».

«نعم وبكل صراحة تبدين رائعة حين تتلفّظين بهذه الكلمات! بدأ هذا حين واجهت تسربًا للماء، وفي اليوم التالي تعطّل كمبيوتري تمامًا، وبعد ذلك بيوم نُقلت سياراتي إلى ساحة حجز السيارات المخالفة، ثم أصبت في نهاية الأسبوع بنوبة إنفلونزا، ويوم الاثنين، تعرّضت جارتي في الطابق السفلي إلى نوبة قلبية، وفي كل مرة أضع كوبًا بجوار الحافظة الملعونة ينسكب على مكتبي. وفي أحد الأيام انكسرت يد الكوب نفسه الذي استخدمه عادة وكادت فخذي تنسلخ بعد أن سقط محتواه الساخن عليه. من هنا بدأت أظنّ أن ثمّة قوّة شرّيرة كامنة في تلك الحافظة. وواجهت عجزًا كاملًا عن الكتابة، وكنت قد حدّثتك من قبل عن مثل تلك الحالات التي أعجز فيها عن الكتابة، لكن هذه المرّة لم يعدّ بمقدوري الكتابة مطلقًا وكأنني كنت أكتب عن شيء أجهله كسفوح كليمنجارو. بخلاف ذلك تعثّرت في السجادة وسقطتُ فانكسر أنفي عندما ارتطم بالأرض، ولو رأيتِني، كنت أنزف دمًا ورأسي إلى الوراء، وأنا أصرخُ في شقتي. ثم فقدت الوعي. لحسن الحظ، كان لأحد زملائي الكتّاب قدرات روحانية. وكنت أتناول العشاء كل أسبوعين مع زملاء في حانة صغيرة، وكنا نتبادل الحكايات. ولكن لأن أمسيات العشاء تلك كانت مشؤومة، توقفت فيما بعد عن مواصلة الذهاب إليها. على كل حال، لاحظ صديقي الضمادة على أنفي فاعتراه القلق وسألني عمّا جرى، أخبرته بكل الأحداث التي مررت بها منذ اقتنيت هذه الحافظة الكريستال. أغلق عينيه وسألني: هل كان فيها وجه محفور؟».

«ألم تكن قد أخبرته بذلك؟».

«أنا لا أَتذكّر، ربما أكون قد أخبرته، المهم أنه اقترح عليّ ضرورة

مكتبة هي و هو

التخلص منها على وجه السرعة، لكن مع حرصي الشديد على عدم تحطيمها حتى لا أفرج عن القوى الشريرة التي تتدفق من الكريستال».

سألته ميّا، وهي تضغط على شفتيها: «ماذا فعلت؟ هل رميتها في القمامة؟».

«بل فعلت ما هو أفضل من هذا، قمتُ بلفها بخرقة كبيرة وربطتها، وقدت سيارتي إلى جسر ألما ومن هناك تخلصت من حافظة الأوراق بإلقائها في نهر السين».

لم تتمكّن ميّا من السيطرة على نفسها وانفجرت ضحكًا، وقالت وعيناها مبللتان بالدموع:

«أطلب منك أن تبقى على سجيتك ولا تتغيّر أبدًا. إني أعشقك، يا بول».

نظر بول في وجهها مرتبكًا ثم تابع سيره.

«أنت مهووسة بالسخرية مني».

«لا، مطلقًا، وأقسم لك. لكن هل توقّفت متاعبك بعد أن أغرقت تلك الحافظة؟».

«نعم، تصوّري! فبعد ذلك عاد كل شيء إلى طبيعته».

ضحكت ميّا أكثر وأكثر، وتشبّثت بذراعه وهو يسرع في خطواته.

مرَّا بمكتبة متخصصة في المخطوطات القديمة، عُرضت على واجهتها بأبّهة كبيرة رسالة لفيكتور هوغو وقصيدة لرامبو دوَّنها على ورقة من دفتر.

تأمّلتهما ميّا بتأثر بالغ وقالت:

«لا يمكن لرسالة جميلة، أو لقصيدة، أن تجلب النحس، أليس كذلك؟».

قال بول: «نعم، لا أظن ذلك».

مكتبة هي و هو

عندها دفعت ميّا باب المتجر.

«كم هو جميل أن تكون بين يديك رسالة لكاتب مشهور، يعني ذلك بشكلٍ ما أنك اقتربت من خصوصياته، وأنك صرت أمينًا على أسراره. بعد قرن، سيندهش الناس كما نفعل نحن الآن باكتشاف تلك الرسائل التي تبعثها إلى مترجمتك، والتي ربما تصبح زوجتك، وتكون تلك الرسائل مجرّد بداية لمراسلات ستكون لها قيمتها الكبيرة».

«لست كاتبا مشهورًا، ولن أكون أبدًا».

«لا أشاطرك الرأي».

«هل قرأتِ واحدة من رواياتي؟».

«قرأت روايتين، وقد أبكتني رسائل الأم في الرواية الأولى».

«أصحيح ما تقولين؟».

«لا تجعلني أخرج عن شعوري سيكون لهذا وقعه السيئ، نعم صحيح، وعليك أن تصدق أقوالي».

«أنا آسف لأني أبكيتكِ».

«لا يبدو أنك آسف، فأنا أراك تبتسم للمرة الأولى في هذا اليوم».

«أعترف أني سعيد، لا لأنني أبكيتكِ... بل... نعم أنا سعيد لأني نجحت في ذلك نوعًا ما! ولكي نحتفلِ بذلك، أدعوكِ لتناول معجنات من محل «شيه لودري» وهو قريب جدًّا من هنا، وإذا لم يسبق لك أن تذوقتِ كعك «المَكَرُون»(1)، فأنتِ لم تعرفي بعد الإحساس بلذة التذوّق القصوى، لكن بالوضع في الاعتبار أنك طباخة.. فقد لا يكون لكلامي هذا أي معنى!».

---

(1) كعك «المَكَرُونْ» Macaron: نوع من كعك اللوز تشتهر به فرنسا يُصنع بأكثر من طريقة ومذاق وتتفنن كل مدينة فرنسية في صناعته على طريقتها الخاصة. (المراجع).

مكتبة هي و هو

«اتفقنا، لكن بعد ذلك يجب أن أعود ثانية إلى المطعم، فلا يمكن أن يكون مذاق الطعام لذيذًا إذا لم أعدّه بنفسي».

دخلا إلى محل الحلويات، وجلسا إلى طاولة عند الزاوية وطلب لـ«ميّا» كوبًا من الشوكولاتة الساخنة، وله فنجانًا من القهوة، وتشكيلة من كعك «المَكَرُون». لم تتوقف النادلة عن النظر إليهما وهي تعدّ لهما صينية الحلويات والشكولا، وشاهدها كل من بول وميّا وهي تهمس في أذن زميلتها.

اللعنة، لقد عرفتني، أين التواليت؟ لا لن أذهب إلى التواليت لأنها ستأتي للتكلم معه أثناء غيابي. وإذا أخبرت أي شخص أيًّا كان.. وتسرّب خبر أنها رأتني هنا في صحبة رجل.. فإن كريستون سيقتلني! الأمر الوحيد الذي يجب القيام به أن تقولي لها إن الأمر التبس عليها مع شخص آخر، وأن تقتنع هي بذلك.

عادت النادلة إلى الطاولة بعد لحظات. ثم وضعت الكؤوس على الطاولة، وسألت بصوت خجول:

«عذرًا، أنتَ تشبه بشكل جنوني...!».

«لا أشبه أي شخص، أنا لا أشبه أحدًا!» رّد بول بنبرة جازمة.

شعرت النادلة بالحرج وابتعدت بعد أن اعتذرت.

وضعت ميّا نظارتها الشمسية، وكان وجهها قد توهج وصار شديد الاحمرار، واستدارت إلى بول.

«أنا آسف، وأعتذر، يحدث لي هذا بين الحين والآخر».

أجابت ميّا وقلبها يخفق بقوة ملحوظة:

«أفهم هذا. إذًا أنت لست مشهورًا في سيول فقط؟».

«ربما أنا مشهور قليلًا في هذا الحي، وليس خارجه. صدّقيني،

مكتبة هي و هو

يمكنني أن أمضي ساعتين أتجول في مكتبة «فناك»(1) من دون أن يتعرف عليّ أحد من بائعي الكتب فيها، وهذا أفضل على كل الأحوال. والنادلة واحدة من قرّائي، ووجب عليّ ألّا أتصرف معها على هذا النحو، لكن أنا خجول وقد أخبرتكِ بذلك من قبل».

«تصورك عن ذاتك أنقذ حياتي للتو! لا عليك، يمكنك أن تهدي لها أحد كتبك الموقّعة في الزيارة المقبلة، وهذا، من دون شك، سيفرحها».

«فكرة ممتازة».

«بالمناسبة، ما أخبار بطلتكَ المغنّية؟».

«تبعها الناقد حتى منزلها وهناك تحدّث معها من دون أن يبوح لها بشكوكه حول شخصيتها. قدّم نفسه إليها ككاتب زاعمًا أنها تشبه بطلة روايته. وأتصوّر أنه بدأ يشعر نحوها ببعض الأحاسيس التي جعلته يضطرب».

«وهل هي أيضًا شعرت بهذه الأحاسيس تجاهه؟».

«لا أعلم، من المبكر جدًّا معرفة ذلك. لكنها لم تعترف له بأنها أدركت وجوده حولها من فترة طويلة، فهي خائفة، ولكنها في الوقت ذاته تشعر أنها لم تعد وحيدة تمامًا».

«وماذا سيكون قرارها؟».

«ستقرّر الهرب، حسبما أتصور، لكي تحتفظ بسرّها. لا يمكن أن تكون صادقة معه وتخفي عنه هويتها الحقيقية. أفكّر في أن يكون لوكيل أعمالها دور في تطور الأحداث. ما رأيكِ؟».

«لا أعلم، يجب أن أقرأ أولًا قبل أن أعطيكَ رأيي».

«هل ترغبين في قراءة الفصول الأولى؟».

«إن رغبتَ أن أفعل فسأكون سعيدة للغاية».

---

(1) فناك Fnac أهم وأشهر مكتبات بيع الكتب في فرنسا. (المراجع).

مكتبة هي و هو

«لم أجعل أيّ أحد من قبل يقرأ واحدة من مخطوطاتي قبل الانتهاء منها، باستثناء كيونغ، لكن رأيك يهمّني كثيرًا».

«ممتاز، حين تكون مستعدًا وتتم هذه الفصول.. سأكون أول من يقرؤها، وأعدك بإعطاء رأيي بكل صراحة».

«أما أنا فأودّ أن أزوركِ ذات مساء في المطعم لتذوّق أطباقكِ».

«لا، لا أنصحك بذلك، فالطهاة تصعب زيارتهم للغاية وهم مستغرقون في عملهم لأنهم لا يكونون في أفضل أحوالهم. تكون حركتهم كثيرة، ويكونون كثيري التعرق... لا تغضب مني، لكن بالفعل أنا لا أفضّل ذلك».

«أفهم ذلك». قال بول.

افترقا أمام محطة مترو «سان جيرمان دو بريه». ومرَّ بول من أسفل مكتب ناشره ولمحه من نافذة مكتبه وواصل سيره إلى شقّته.

كرَّس ليلته للعمل على روايته وهو يتخيّل مصير مغنيته البائسة. وكلما تقدّم في سرد قصّتها، استعارت هذه المغنية تعابير ميّا، وطريقتها في المشي، وفي الإجابة عن السؤال بسؤال آخر، وابتسامتها الهشة حين تنفعل، وقهقهات ضحكها، ونظراتها الشاردة، وأناقتها المميّزة. ثم ذهب لينام حين طلع النهار.

***

استيقظ بول على مكالمة من ناشره كريستونيلي في بداية فترة ما من الظهيرة أبلغه فيها أنه بانتظاره في مكتبه. وفي طريقه إليه، توقّف بول لشراء قطعة من «الكرواسون» وأكلها وهو يقود سيارته الـ«ساب» وهكذا وصل متأخرًا بنحو نصف ساعة فقط عن موعده.

رحّب به ناشره بأذرع مفتوحة، وهو ما دفع بول للشك أن سببًا ما وراء تلك الطريقة في الترحيب به.

مكتبة هي و هو

«لديَّ خبران جيدان، هتف الناشر، خبران رائعان تمامًا».

«ابدأ بالخبر السيئ!».

نظر إليه كريستونيلي بدهشة.

«وصلت إليَّ رسالة من الكوريين تشير إلى دعوتك لتحلّ ضيفًا على برنامج أخبار المساء، الذي يتبعه برنامج أدبي كبير آخر».

«والخبر الجيد؟».

«بحقّك، إنه ما أخبرتك به للتو!».

«أكاد أفقد وعيي كلما قمت بتوقيع كتبي في حضور أكثر من عشرين شخصًا، فكيف تريدني أن أظهر على شاشة التلفزيون؟ هل تريد أن يغمى عليَّ أثناء البث المباشر؟».

«ما الذي سيوتّرك؟ ستكونان ضيفين اثنين فقط في الاستوديو؟».

«ضيفان؟».

«نعم فموراكامي هو الضيف الرئيس! كم أنتَ محظوظ؟».

«زدني، زدني! سأكون على الهواء مع موراكامي! حينها وقبل أن يُغمى عليّ ربما سأتقيأ على حذاء مقدِّم البرنامج وهكذا لن ينساني المشاهدون!».

«هذه فكرة جيدة للغاية، ربما ستتسبّب فعلتك تلك ببيع أطنان من كتبك في صباح اليوم التالي».

«ألا تسمع ما أقوله؟ أنا عاجز عن الظهور على شاشة التلفزيون، سأختنق، وأنا أختنق الآن بالفعل لمجرّد سماع الفكرة. إذا ظهرت في هذا البرنامج سأموت في كوريا أمام الملايين من المشاهدين، وأنت ستكون شريكًا في هذه الجريمة».

«توقف عن هذا «الشو» السينمائي! ما عليك إلّا تناول كأس كونياك جيدة قبل بدء المقابلة، وكل شيء سيكون على ما يرام».

مكتبة هي و هو

«ثملٌ على الهواء، سأكون راؤوعا!».

«دخّن شيئًا ما».

«ماذا؟! أدخن شيئًا ما! المرة الوحيدة التي دخّنت فيها «شيئًا ما» في حياتي رأيت مراعي الأبقار في سقف غرفتي!».

«اسمع، عزيزي بول، سيطر على نفسك وستصير الأمور إلى أفضل ما يكون».

«قلت لي هناك خبران، ما الخبر الآخر؟».

«سوف يتقدم موعد سفرك بسبب تزايد لقاءاتك الصحفية».

غادر بول من دون أن يحيّي ناشره. وقبل مغادرته المبني، حمل معه نسخة من روايته الأخيرة.. كانت ملقاة على طاولة في المدخل.

نزل إلى شارع بونابرت وتوقّف أمام واجهة مكتبة الكتب القديمة ثم دخل المكتبة وخرج منها بعد ذلك بربع ساعة تفاوض فيها بشقّ الأنفس مع صاحبها لاقتناء بطاقة صغيرة فيها بعض كلمات مكتوبة بخط يد الكاتبة جين أوستن، واتفق معه في النهاية على دفع ثمنها مقسَطًا على ثلاث دفعات.

ثم تابع طريقه، وتوقّف عند محل الحلويات، وبحث عن النادلة حتى وجدها وسألها عن اسمها.

«اسمي إيزابيل». أجابت مندهشة.

فتح بول نسخة من روايته وكتب عليها الإهداء التالي:

إلى إيزابيل، القارئة المخلصة، مع شكري واعتذاري مما حصل بالأمس..

مع خالص الود..

بول بارتون

مكتبة هي و هو

وقرأت النادلة الإهداء لكنها لم تفهم شيئًا.

ورغم ذلك استجابت لقواعد اللياقة وشكرته بعد أن أخذت منه الكتاب الذي لم تلبث أن وضعته على المنضدة ثم استأنفت عملها.

* * *

أراد أن يتصل بآرثر، لكنه لم يكن يعلم إن كان ما يزال في روما أو كان قد استقلّ الطائرة في طريقه إلى كاليفورنيا.

وتمنّى وهو يسير في شارع جاكوب أن يجد محلًا بوسعه أن يشتري أو يستأجر منه أخًا أو أختًا بأي ثمن. كان يفكّر كيف سيظلّ وحيدًا هكذا بمفرده في شقّته ويكون فريسة سهلة للإصابة بنوبة هلع محتملة. ركب سيارته، المركونة أمام فندق «بيل آمي»، وضحك ضحكة صفراء وهو ينظر في الاتجاه المقابل، ثم انطلق مسرعًا في اتجاه مونمارتر.

* * *

«أخيرًا حالفني الحظ وعثرت على موقف لسيارتي»، تمتم بول بعد أن نجح في اقتناص مكان للسيارة في شارع «نورفينز»، وبعد أن ركنها ترجّل منها وبدأ يصعد الشارع سيرًا على قدميه.

منعتني من المجيء إلى مطعمها للعشاء لكنها لم تحظر عليّ أن أزورها هناك. هل ما أفعله الآن أمر مقبول أم لا؟ نعم، ربما سأسبب لها إزعاجًا بهذه الزيارة لكن على كل الأحوال لن أمكث طويلًا، سأهدي إليها هديتي الصغيرة وبعض الفصول الأولى من روايتي، وأغادر. لا، لا يجب أن أقدم لها الهدية وفصول الرواية في الوقت نفسه حتى لا تربط بين قراءتها الفصول والهدية فتعتبرها مكافأة لها. سأدخل المطعم، وأمنحها الهدية وأخرج على الفور. نعم، هذه فكرة جيدة، بل هي ممتازة.

رجع بول من حيث أتى، ووضع مخطوطه في صندوق سيارته، واحتفظ معه بالظرف المزيَّن بشرائط الهدايا الذي يحتوي رسالة جين أوستن.

مكتبة هي و هو

بعد لحظات، مّر أمام مطعم «لاكلامادا»، وألقى نظرة من واجهته، ثم تجمّد في مكانه.

رأى ميّا، ترتدي مئزرًا بنفسجيًّا كبيرًا، ومنهمكة في ترتيب الطاولات. بينما يمكن مشاهدة ديزي الموجودة في المطبخ في آخر الصالة وكانت فيما يبدو توجّهها بالتعليمات.

راقب بول هذا المشهد ثم سار بسرعة، وقد أخفى وجهه بيده وهو يمرّ ثانية من أمام المطعم، وبمجرّد أن تجاوزه سارع أكثر في السير حتى وصل إلى ساحة « تيرتر».

لماذا تكذب؟ ما أهمية أن تكون نادلة أو صاحبة مطعم. وبعد ذلك نسخر من غرور الرجال.. إذًا! بماذا نسمي هذا؟ ما الذي كانت تفكر فيه حين أخفت هذا عني؟ ماذا؟ هل ظنّت أني لا أحبّ أن أصادق نادلة؟ من تحسَبني؟ نعم أنا لم أكن لطيفًا مع نادلة مطعم «شيه لادوريه»؟ لكن كذبتها بدأت قبل ذلك. لا يهمّني أن تقول «إن طبخي لذيذ»! لا يستحق الأمر كل هذه الكذبة فأنا نفسي في ظروف مغايرة كنت قد انتحلت شخصية أخرى. إذاً ماذا سأفعل.. إما أن أعود إلى المطعم وأراها على تلك الحالة فأكشف خدعتها... وهذا سيكون فعلًا مُرضيًا لي ولكن لئيمًا في الوقت ذاته، وإما ألّا أقول شيئًا مما عرفته.. وأنصب لها فخًّا حتى تعترف هي بالحقيقة في نهاية الأمر وسيكون ذلك أكثر احترامًا.

استقرّ على مقعد، أخذ هاتفه وبعث برسالة نصيّة إلى ميّا.

«هل كل شيء بخير؟».

شعرت ميّا بهاتفها يهتزّ في جيب مئزرها. كان ديفيد قد أرسل إليها ثلاث رسائل نصية الليلة الماضية ورجاها أن تتصل به. كانت صامدة طوال الفترة الماضية وهي لن تنهار الآن. رتّبت الفوَط وهي تحدّق في جيب مئزرها المرسوم عليه شكل كنغر.

مكتبة هي و هو

قالت لها ديزي: «ماذا؟ هل تحاولين بتحديقك هذا التأكّد أن سرة بطنك لا تزال موجودة في مكانها؟!».

«لا!».

«يصرُّ ديفيد على الاتصال بكِ، أليس كذلك؟».

«بلى، حسبما أظن».

«أطفئي هاتفك، أو اقرأي رسالته، وإلا فستكسرين الصحون بسبب عدم تركيزك».

أخرجت ميّا هاتفها وابتسمت وهي تنقر على مفاتيحه.

«نعم بخير، وماذا عنكَ؟».

«هل لديكِ القليل من الوقت لنتحدث».

«أنا في المطبخ».

«لن أطيل عليكِ».

«أود أن أتصل بك لكن لا تظن أن هذا سيُحسب لأنك أنت من تريد ذلك!».

«لا داعي لمهاتفتي فأنا جالس على مقعد في ساحة «تيرتر»، ومن دون معطف مطر هذه المرة».

«هل كل شيء على ما يرام؟».

«نعم. هل ستأتين؟».

«أمهلني خمس دقائق».

***

كانت ديزي تمسك مغرفة في يدها، وتراقب ميّا.

«أعتذر»، قالت ميّا. «أريد أن أشتري غرضًا من السوق. هل تحتاجين إلى شيء؟».

«لا، أنا فقط أحتاج إلى نادلة!».

مكتبة هي و هو

«الموائد مرتّبة والصالة فارغة. سأعود بعد ربع ساعة»، أجابت ميّا وهي تخلع مئزرها.

نظرت إلى نفسها في المرآة فوق منضدة الحانة، وصفّفت شعرها، وأخذت حقيبتها ووضعت نظارتها الشمسية.

هتفت ديزي: «اجلبي لي بعض الكريسبرولز[1]».

هزّت ميّا كتفيها اعتراضًا:

«لن أستطيع، فأنا سأعود سريعًا».

أسرعت الخطى، مرّت من أمام رسام الكاريكاتير من دون أن تحيّيه، ثم بحثت عن المقعد الذي يجلس عليه بول.

سألته بقلق وهي تجلس إلى جواره: «ماذا تفعل هنا؟».

«جئت لأحضر لك الفصول الأولى من روايتي، ولأنني في منتهى الغباء، نسيتها في البيت. لكن قلتُ لنفسي ما دمت جئت إلى هنا.. فلمَ لا أراكِ».

«هذا لطفٌ منك».

«لا تبدين بحالة جيدة».

«حرمني كابوس من النوم كما ينبغي الليلة الماضية».

«ما الكابوس إلّا حلم غير مرحَّب به».

نظرت إليه ميّا طويلًا.

فقال بول: «لماذا تحدّقين بي هكذا؟».

««عندما قلت عبارتك السابقة.. كنت أود أن أقبلّك... من دون سبب».

---

(1) – Krisprolls: مخبوزات محمصة سويدية الصنع. (المراجع).

مكتبة هي و هو

«مرَّ أمامك ملاك(1)».

«بما أنكَ نسيت أن تأتيني بفصول الرواية، إذًا.. اخبرني.. ما آخر أخبار بطلتك المغنّية؟».

«إنها بخير، لا.. في الواقع هي ليست كذلك لأنها تواجه مشكلة».

«مشكلة خطيرة!».

«هي ترغب أن تتخذ الناقد صديقًا. وهو بالفعل أكّد اهتمامه الشديد بها».

«ما الذي يمنعها؟».

«ربما عدم اعترافها له بوضعها الحقيقي. فهي ربما لا تستطيع أن تصدّق حقيقة أنها صارت مجرد موظّفة ترشد الجمهور إلى مقاعدهم في صالة العرض بالأوبرا».

«وما الضير أن تكون كذلك؟».

«هذا تحديدًا ما أتساءل بشأنه».

«هذا النوع من التصوّرات المسبقة عفا عليه الزمن».

«متى حدث ذلك؟».

«لو كان الناقد يفكر بهذه الطريقة فهو لا يستحق صداقتها».

«أتفق تمامًا معك».

«أرى أن هذه ليست مشكلة خطيرة وعليك أن تجد لها مشكلة أخرى».

«نعم في الوقت نفسه لم يعد الناقد يشكّ أبدًا في هويّتها الحقيقية».

«لكنها تجهل ذلك؟».

---

(1) ترجمة للتعبير الفرنسي Un ange passa ويشير إلى فترة صمت تقطع تدفق الحديث بين طرفين أو أكثر، ويشير المعنى إلى صمت أحد المتحدثين من دون سبب وكأنه رأى ملاكًا فأخذ يتأمله. (المترجم).

مكتبة هي و هو

«بالتأكيد، لكن كيف تكون صادقة معه لو كانت تكذب عليه؟».

حدّقت ميّا في عيون بول وجعلت نظارتها الشمسية تنزلق على طرف أنفها.

«من أين كنتَ قادمًا عندما اتصلت بي؟».

«من سان جيرمان. لماذا؟».

«هل أهديتَ روايتكَ إلى النادلة بالأمس؟».

«من الغريب أن تسأليني عن ذلك لأن هذا ما قمت به بالفعل».

أحسّت ميّا بتسارع في نبضات قلبها.

«ماذا قالت لك؟».

«بالكاد شكرتني من طرف شفتيها، لا بد أنها تشعر تجاهي بالضغينة».

«ولم يحدث أي شيء آخر؟».

«كان المكان مكتظًّا بالناس، استأنفت عملها، وغادرت بدوري».

أصلحت ميّا وضع نظاراتها، وقد شعرت بالارتياح، ثم قالت:

«لن أستطيع البقاء طويلًا. هل أردّت أن تخبرني بشيء خاص. أنتَ أيضًا لا تبدو بحالة جيدة».

«نعم، ذهبت إلى سان جيرمان بناءً على طلب من ناشري، وأخبرني أنه قدّم موعد سفري إلى كوريا».

«هذا نبأ عظيم.. إذًا عمّا قريب سترى صديقتك».

«لكن ثمّة خبر سيئ كان السبب في تقديم موعد الرحلة، فقد دُعيت لأكون ضيفًا في برنامج تليفزيوني».

«رائع!».

«الرائع هو خفقان دقّات قلبي المتسارعة منذ سمعت بهذا الخبر! ماذا عساي أقول أو أحكي في هذا البرنامج، إنه أمر مخيف!».

«لا أهمية للكلمات أمام الكاميرات، المهم هوالطريقة التي تقول

مكتبة هي و هو

بها هذه الكلمات. ولن يكون لمضمون ما تقول أهمية كبيرة لو صحب نطقك به ابتسامة منك. ولو شعرت بالرهبة فسيجد المشاهدون في ذلك أمرًا ساحرًا».

«ماذا تعرفين عن الكاميرات؟ هل سبق لكِ يومًا أن كنتِ في استوديو وأمام الكاميرات؟!».

«لا، في الواقع»، أجابت ميّا وهي تسعل، «وإذا حدث لي، فسوف أرتعب مثلك، لكنني أتحدث كمشاهدة».

أمسك بول بالظرف الهدية وقدّمه لها قائلًا: «هذا لكِ».

«ما هذا؟».

«افتحيه وسترين، لكن انتبهي فهو هَشّ».

تناولت ميّا البطاقة الصغيرة من داخل الظرف وقرأتها:

««ثلاثة أرطال من الجَزَر، ورطل من الطحين، وعلبة من السكر، واثنتا عشرة بيضة، ونصف لتر من الحليب...».. لطيف جدًّا أن تهدي إليَّ هذا، لكن هل تريد أن أشتري لك هذه الأشياء؟».

تنهّد بول وقال: «انظري إلى التوقيع في الأسفل».

هتفت ميا: «ماذا؟! جين أوستن!».

«نعم، جين أوستن شخصيًّا! أعرف أن هذا ليس نَصَّها النثري الأشهر، لكنك كنت ترغبين في شيء أكثر حميمية، فالمشاهير أيضًا يأكلون!».

ومن دون تفكير، طبعت ميّا قبلة على خد بول.

«هذا رقيق جدًّا من جانبك، لا أعرف ماذا أقول».

«لا تقولي شيئًا».

تناولت ميّا البطاقة الصغيرة، ومرّت بطرف سبابتها بخفة على الحبر.

قال بول: «من يدري، ربما ستلهمك هذه البطاقة الصغيرة وصفة لوجبة طعام. فكّرت أن بوسعك وضعها في إطار وتعليقها في مطبخك. وهكذا، وبشكل ما، ستكون جين أوستن برفقتك حين تطبخين».

مكتبة هي و هو

«لم يسبق لي أن حظيت بمثل هذا النوع من الهدايا».
«إنها مجرّد بطاقة صغيرة».
«لكنها مكتوبة وموقَّعة بيدِ واحدةٍ من أعظم الكاتبات الإنجليزيات».
«هل أعجبتك حقًّا؟».
«لن أفرّط فيها أبدًا».
«هذا يسعدني. هيا عودي بسرعة إلى مطعمكِ فربما تركتِ الطعام على الموقد، وأنا لا أريد أن ينضج الطبق الرئيس اليوم أكثر من اللازم بسببي».
«زيارتك لي اليوم مفاجأة رائعة».
«إذًا، لنتّفق على أن هذه الزيارة لم تكن متوقَّعة».
«أجل، لكن لماذا؟».
«لأنها بهذه الطريقة لن تُحسب!».
«نعم، هي لا تُحسب».
وقفت ميّا ثم قبّلت بول مرة أخرى على خده قبل أن تغادر.
ولم يفوّت رسام الكاريكاتير أي لحظة من المشهد، ومثله مثل بول تابَعَ ميّا وهي تسير في الشارع عائدة من حيث أتت.

* * *

عندما وصلت أمام مطعم «لاكلامادا»، اهتزّ هاتفها مرة أخرى.
«هل مطعمكِ مغلق يوم الأحد؟».
«نعم».
«أتعرفين ما الذي سيجعلني سعيدًا؟».
«لا».
«أن أكتشف طبخك».
عضّت ميّا على شفتها.. وأكمل بول الكتابة.

مكتبة هي و هو

«يمكننا تناول الغداء في منزلكِ، وأعني ذلك بطريقة محترمة جدًّا».

نظرت ميّا إلى ديزي من النافذة:

«ستكون شريكتي في السكن حاضرة».

«إذًا.. ستطبخين لثلاثة أشخاص».

دفعت باب المطعم.

«إذًا نلتقي الأحد. أنت تعرف العنوان. نحن نسكن في الطابق الأخير».

«إلى اللقاء يوم الأحد».

«شكرا لك، التوقيع ميّا أوستن».

«هل وجدتِ ما كنت تبحثين عنه؟» سألتها ديزي وهي تخرج من المطبخ.

«أريد التحدّث معك».

«وأخيرًا!».

* * *

رفضت ديزي بشكل قاطع المشاركة في مشروع ميّا.

«لا يمكنكِ أن تتخلّي عني، وأنا لا يمكنني أن أستقبله لوحدي في بيتك».

«ولمَ لا؟».

«سيثير مجيئه بهذه الطريقة الالتباس».

«وهل الأمر غير ذلك؟».

نظرت ميّا إلى صديقتها نظرة عتب، وقالت:

«لكنه لم يقل شيئًا، ولم يقدم على أية خطوة تثير الالتباس».

«لم أكن أتحدّث عنه وإنما عنكِ».

«أؤكّد لك من جديد، إنها بداية صداقة بيني وبينه، لأنني لم أشفَ بعد من علاقتي بديفيد».

مكتبة هي و هو

«لا حاجة لك أن تخبريني بذلك، يكفي فقط رؤية حالتك حين يهتزّ هاتفك، أنتِ تلعبين لعبة خطرة».

«أنا لا ألعب، بل أعيش. الأمر غريب فهو لا يحاول إغوائي. لديه امرأة ما، لكنها تعيش بعيدة عنه. نحن لا نفعل أي شيء خطأً، كلانا يكافح ضد وحدته».

«حسنًا، غدًا ظهرًا ستواصلين الكفاح ضد الوحدة لكن من دوني».

«أنا حتى لا أَعْرِفُ كيف أحضّر البيض الأومليت!».

«يكفي أن تضعي بعض الزبدة على النار ثم تكسري البيض فوقها».

«لا يجب أن تكوني بمثل هذا الخبث. لم أطلب منك سوى خدمة صغيرة».

«أنا لست خبيثة، لكنني لا أريد أن أكون شريكة في هذا الفشل».

«لماذا تضعين الاحتمال الأسوأ لكل شيء؟».

«لا أصدّق أنكِ أنت مَنْ تقولين لي هذا. هل تنوين أن تكشفي له عن الحقيقة ذات يوم؟ هل ستتقمّصين دورك كطبّاخة إلى حدّ نسيان نفسك؟ ماذا ستفعلين عند عرض فيلمك في صالات السينما، وحين تظهرين في حفلات الترويج الخاصة بالفيلم؟».

«سيغادر بول إلى كوريا قريبًا وربما يستقر هناك. وعندما يحين الوقت المناسب، وبينما هو يعيش سعيدًا بعد لقائه من جديد مترجمته الكورية، سأكتب له وأعترف بالحقيقة».

«تتعاملين مع الحياة وكأنها سيناريو».

«حسنًا. سألغي موعد العشاء معه».

«لا تلغِ شيئًا، سيكون ذلك تصرفًا وقحًا. ستلعبين دورك حتى النهاية، لكنك قد تَندمين في آخر الأمر».

«لماذا تفعلين هذا بي؟».

«هكذا، من دون سبب!» تذمّرت ديزي قبل أن تذهب لتستقبل بعض الزبائن الذين دخلوا المطعم للتوّ.

مكتبة هي و هو

مكتبة

هي و هو

الفصل 13

ألقت ميّا الأومليت في القمامة للمرة الثالثة، ففي المرّة الأولى احترق، وفي المرة الثانية كان مائعًا، وفي الثالثة كان أشبه بالبيض المخفوق.

أما الطاولة فكانت تبدو جيدة، الأطباق مهيّأة لثلاثة أشخاص، فقد فضلت ميّا أن تعلن عن غياب ديزي في آخر لحظة، بدلًا من تبرير غيابها، وكانت باقةٌ من الزهور مرتّبة في الوسط، إلى جانب سلّة من المعجنات. على الأقل، هناك شيء صالح للأكل. اهتزّ هاتفها، فغسلت يديها وساعدَيْها الملطخَين بصفار البيض، وكانت قد فتحت الثلاجة للمرة العاشرة وتمنّت حينها لو يخبرها بول باعتذاره من عدم المجيء.

«أنا في أسفل المبنى».

«اصعد».

ألقت نظرة أخيرة على الغرفة، ثم ركضت لفتح النافذة لتخفّف من رائحة نفّاذة انبعثت من احتراق جزء من يد مقلاة بلاستيكية كانت تستخدمها لتسخين بعض شرائح التفاح المحلاة.

وما هي إلّا لحظات، حتى رنّ الجرس.

مكتبة هي و هو

دخل بول يحمل صندوقًا صغيرًا في يده.

سألت ميّا: «إنه رائع، ما هذا؟».

«شمعة مُعطّرة».

«سنشعلها على الفور»، قالت بخبث وهي تفكر بديزي.

«فكرة جيدة». لن يكون إشعال مثل هذه الشمعة المعطرة من قبيل الرفاهية، لأن الرائحة المنبعثة من الطبخ تؤكد أنها لم تكن تطبخ طعامًا بل طاجنًا من إطارات السيارات.

«هل كنتَ تقول شيئًا؟».

«لا شيء، أجد الشقة ساحرة بإطلالتها الجميلة». هي منزعجة وما كان عليَّ دعوة نفسي هكذا، بوسعي أن أدعوها إلى شرفة أحد المطاعم مع هذا الطقس الجميل. لا لن أفعل، فالأمر قد يزداد سوءًا فهي فيما يبدو قد بذلت كل ما بوسعها لأجل هذا الغداء.

«سنبدأ بالكرواسون». نعم هذه فكرة جيدة جدًّا، سأجعله يمتلئ بالكرواسون وكعك الشوكولا حتى ينفجر ويتقيّأ ولا يكون عليّ حينها إلا تنظيف السجاد!.

«هذا يوم عطلتك الوحيد ومع ذلك أجبرتكِ على طهو الطعام، هذا تصرّف أخرق، لم يكن عليَّ أن أفرض نفسي بهذه الطريقة. ما رأيك أن نذهب إلى شرفة أحد المطاعم المشمسة؟».

«لا بأس إن أردت ذلك». آمنت بالله! سامحني يا إلهي، إذا كنت أشك في وجودك أحيانًا. أعدك، غدًا سأذهب إلى الكنيسة وأشعل شمعة.

«في النهاية هذا مجرد اقتراح فأنتِ قد بذلت جهدًا كبيرًا في إعداد الغداء ولهذا لم يكن من المفترض أن أقترح عليك الخروج حتى لا أبدو عديم الإحساس وأسيء إليك، ولهذا السبب أيضًا، أي كي لا أتعبكِ أكثر، وأبدو عديم الإحساس دعوتك للخروج».

سأوقد عشر شموع! عشرين، إذا أردت!.

وأكمل: «المهم أن تكوني مرتاحة. سنفعل ما تريدين».

«صحيح أنه يومٌ جميل، كان عليَّ أن أرتب الطاولة في الشرفة...». أنتِ غبية أم ماذا حتى تقترحي مثل هذا الاقتراح؟!.

«هل تريدين أن أرتب الطاولة بالشرفة؟».

«إلى أي شرفة مقهى تفكّر أن نذهب؟» سألت ميّا بصوت متحمّس.

«لا أفكّر بمكان معين. إني أموت جوعًا».

امسكي حقيبتك قبل أن يغير رأيه، قولي له إنها فكرة عظيمة، واركضي على السلالم.

فُتح باب الشقة. استدارا معًا. دخلت ديزي تحمل كيسين كبيرين.

قالت وهي تضعهما على الطاولة: «كان بإمكانك أن تساعديني وتتناولي مني كيسًا واحدًا على الأقل».

ثم أخرجت ثلاثة صحون كبيرة مغطاة برقائق الألمنيوم.

«مرحبًا، أنا ديزي، شريكة ميّا، وأنتَ؟ هل أنت الكاتب السويدي؟».

«نعم، لا.. بل أنا أميركي».

«هذا ما كنت أعنيه».

«ما هذا؟» سأل بول وهو يختلس النظر إلى ما وُضِعَ على الطاولة.

«فطور متأخر! شريكتي طبّاخة ماهرة، ولكن الخدمة تقع على كاهلي دائمًا حتى في أيام الآحاد، هذا بغيض».

احتجّت ميّا: «هذا ليس صحيحًا، فلم يكن الطعام جاهزًا، وكان يلزم شخصٌ ما لترتيب الطاولة».

داست ديزي على قدم ميّا وهي تكزّ على أسنانها.

ردّت ديزي وهي تزيل رقائق الألمنيوم: «هيا نرَ ماذا أعددتِ لنا»، ثم أضافت وهي تلقي نظرة على ميّا: «بيتزا البصل، فطيرة سلق ومحشوات صغيرة. إن لم يُشبعنا مثل هذا الطعام فهذا يعني ضرورة تغيير الطباخة!».

مكتبة هي و هو

علّق بول مادحًا وهو يخاطب ميّا: «رائحة الطعام شهيّة».

راحت ديزي تشمّ، مرة أولى، وثانية، وفي المرة الثالثة، تقدّمت نحو الطاولة ورأت الشمعة المُعطرة. قطبت وجهها وهي تطفئ لهيبها، ثم ذهبت فورًا ورمتها في القمامة التي حين شاهدت محتواها.. ابتسمت.

قال بول، بنبرة المتفاجئ: «يبدو أن كل شيء على ما يُرام».

نظرت ميّا نحو بول نظرة أرادت من خلالها أن تفهمه أن شريكتها تتصرف أحيانًا بغرابة. وهو الأمر الذي فهمته ديزي فدفعها إلى أن تأمرهما بنبرة صارمة وبوجه جاد قائلة:

«هيا، إلى الطاولة!».

* * *

أراد بول أن يعرف كيف صارتا صديقتين. وبدأت ميّا تتحدث عن أول سفر لديزي إلى إنجلترا. وكانت الأخيرة تقاطعها لتحكي عن سفر ميّا إلى الجنوب الفرنسي، وخوفها من الدبابير، ووصفت مغامراتهما الليلية، وما عاشتاه من مقالب إن تُعدّ فلا تُحصى. استمع بول لهما من دون تركيز كبير حيث كان يفكّر بدوره في فترة المراهقة التي عاشها برفقة آرثر، وكيفية تعارفهما في المدرسة الداخلية، وفي منزل كارمل.

وأثناء تناول القهوة، جاء دور بول للرّد على أسئلة ديزي العديدة. لماذا يعيش في باريس؟ وما الذي دفعه إلى الكتابة؟ وما هي مرجعياته الفكرية ومصادر إلهامه؟ وسألته عن الطريقة التي يعمل بها. واستجاب بول وأجاب عن أسئلة ديزي عن طيب خاطر. انتهى الغداء من دون التوقّف عن الحديث. كانت ميّا قد صمتت وراحت تراقبهما، ثم نهضت لترفع الأطباق ومرّت من وراء الطاولة. سعى بول إلى لفت انتباهها، لكنها ظلت منهمكة في ترتيب الأطباق.

في وقت مبكر من بعد الظهر، انسحب وشكرهما على الاستقبال،

مكتبة هي و هو

كما هنّأ ميّا على الوجبة الممتازة. وأكّد أنه لم يتمتع بمثل هذا الطعام اللذيذ منذ زمن طويل. وعند مغادرته، وعد ديزي التي رافقته حتى عتبة الباب بأنه سيخصّص فصلًا في إحدى رواياته للحديث عن الجنوب الفرنسي. أما ميّا فكانت منهمكة في مسح الصحون لكنها حيّته بإشارةٍ بيدها رد عليها بحركة من عينيه، ثم غادر.

أغلقت ديزي الباب وانتظرت لحظة ثم قالت وهي تتثاءب:

«يبدو في الواقع أفضل من صورته على غلاف الرواية. سَآخذُ قيلولةً لأني منهكة. مرَّ الأمر على نحو جيد، أليس كذلك؟ على أي حال، يبدو أنه استمتع بتذوّق طبخي... أعني طبخك».

على إيقاع هذه الكلمات، دخلت ديزي إلى غرفتها، وكذلك فعلت ميّا، ثم لم يتكلما معًا ولا كلمة واحدة طوال النهار.

* * *

أمسكت ميّا هاتفها وهي ممدّدة على سريرها وأعادت قراءة جميع رسائل ديفيد.

وفي بداية المساء، ارتدت بنطلونًا جينزًا، وسترة خفيفة، ثم صَفَقت الباب وهي خارجة.

* * *

أقلّتها سيارة الأجرة إلى ساحة «ألما»، وقرّرت أن تجلس في شرفة إحدى الحانات وطلبت كأسًا من الشمبانيا الوردية، واحتستها بجرعة واحدة وعيناها مثبتتان على الهاتف الذي ما لبث أن أضاءت شاشته فطلبت حينها من النادل أن يأتيها بكأس ثانية. وهذه المرة كانت مكالمة وليست رسالة نصيّة. وتردّدت قليلًا قبل أن تجيب.

سألها بول: «أي غداء هذا الذي تناولناه بكل ما جرى فيه؟».

«كان إفطارًا متأخر على طريقة مدينة «نيس»!».

مكتبة هي و هو

«حسنًا، لنتوقف عن العبث».

«أنا التي تتساءل من الذي يعبث، أنا أم أنت؟!».

«أين أنتِ؟».

«في ساحة «ألما»».

«وماذا تفعلين هناك؟».

«أتأمّل الجسر».

«حقًّا؟ ولماذا؟».

«لأني أحبّه، ألا يحقّ لي؟».

«ومن أي مكان تتأملين الجسر؟».

«من شرفة مطعم « شيه فرانسيس»».

«أنا قادم».

وصل بول بعد أن شربت ميّا أربع كؤوس من الشمبانيا. أوقف سيارته في مكان مخالف وجاء إلى حيث تجلس.

سألته: «هل هضمتَ وجبتك جيدًا؟».

«لم يعدّ يهمّني أنك لا تجيدين الطهي، ولم يعدّ يهمّني إن كنتِ نادلة أو تملكين المطعم! إنما ما لن أقبله هو اختراع هذه الحيلة من أجل تقديمي لصديقتكِ».

بدا على ميّا الاستياء.

«هل أعجبتك أم لا؟».

اعترف بول وهو يرفع صوته: «ديزي فاتنة، متألقة، وطبّاخة ممتازة، ولكنني أنا، وأنا فقط من أقرّر مَنْ أريد مقابلته ومن لا أريد مقابلته. وأنا لا أسمح حتى لأصدقائي المقرَّبين بالتدخل في حياتي الخاصة، وينسحب هذا الأمر عليك أنتِ أيضًا».

رفعت ميّا نبرتها وتكلّمت بصوت أعلى من صوت بول: «هل ترغب بلقائها ثانية؟».

مكتبة هي و هو

وبينما هما يتجادلان، اقتربا بوجهيهما شيئًا فشيئًا إلى أن تلامست شفاههما.

بقيا صامتَيْن، مذهولَين، قبل أن يعاودا الحديث.

قال بول بصوت هادئ: «لقد كرهت تلك اللحظة في منزلك».

«وأنا كذلك».

«كنا بعيدين».

«نعم».

«سأكتب الليلة مشهدًا عن الخلاف والمصالحة، وعندي من تفاصيله ما يكفي لكتابة صفحات وصفحات».

«إذًا لم يذهب هذا الغداء سدًى. إذا كنت تريد سماع رأيي، من الأفضل أن يعتذر لها ويعترف بخطئه».

أخذ بول كأس ميّا وأفرغها في جوفه بجرعة واحدة، وقال:

«لقد شربتِ بما يكفي، وأنا كنت ظمآن. أنتِ تتظاهرين أنكِ قوية وعيناك تقولان العكس. سأقلّك إلى شقتكِ».

«لا، سأستقل تاكسي».

تناول بول الفاتورة عن الطاولة.

«أوه، ست كؤوس!».

«نعم، لكنني لست ثملة!».

«توقفي عن معارضتي طوال الوقت. سأرافقك إلى المنزل، هذا أمر».

جرّ ميّا إلى السيارة فتأرجحت قليلًا على الرصيف. أركبها في سيارته ثم انطلق.

لم يتكلما حتى وصلت السيارة إلى شارع «بولبوت». توقّف بول أمام البناية التي تسكن فيها. وعندما نزل سألها بقلق وهو يفتح لها الباب:

«هل ستكونين بخير؟».

مكتبة هي و هو

«هناك توتر في المنزل، لكننا تبادلنا بعض الكلمات، وسيكون كل شيء على ما يرام».

«كنت أقصد هل أنتِ بخير؟ وهل بمقدورك صعود السلالم؟».

«أنا لست ثملة! احتسيت قليلًا من الشمبانيا فقط».

«سأغادر باريس في نهاية الأسبوع»، قال لها وهو يخفض عينيه.

«بهذه السرعة؟».

«قلت لكِ إنه قد تقدَّم موعد سفري، لكن يبدو أنكِ لا تستمعين جيدًا إلى الرجال حين يتكلمون معك».

دفعته ميّا بمرفقها.

واصل بول: «لا بد أن نلتقي قبل السفر».

«متى سيكون سفرك، في نهاية الأسبوع؟».

«صباح الجمعة».

«في أي ساعة بالتحديد؟».

«طائرتي ستقلع في الواحدة والنصف بعد الظهر. من الممكن أن نتناول العشاء معًا الخميس، لكنك تعملين...».

«العشاء في الليلة التي تسبق سفرك سيضفي جوًّا من الكآبة، لكن يمكننا فعل ذلك الأربعاء، ما رأيك؟».

«نعم، الأربعاء سيكون أفضل. أي مطعم يروقك؟».

«نلتقي في منزلكَ الساعة الثامنة مساء».

قبلّت ميّا بول على الخد، دفعت البوابة ثم التفتت وابتسمت له، ثم اختفت في المبني.

* * *

كانت الشقة غارقة في الظلام. أطلقت ميّا الشتائم عندما اصطدمت بالكرسي، وتجنبت بالكاد الطاولة الصغيرة، وسارت نحو الخِزانة

مكتبة هي و هو

ثم ابتعدت عنها على الفور، وأخيرًا نجحت في الوصول إلى غرفتها. انزلقت تحت الملاءات، ونامت.

حين وصل بول إلى بيته فتح هو أيضًا خزانته. تردّد بين حقيبتين، واختار الحقيبة الصغيرة ووضعها أسفل سريره. وظلّ فترة طويلة من الليل يحاول أن يجد ما يكتبه وهو جالس أمام كمبيوتره. ونحو الثالثة صباحًا، أرسل بريدًا الكترونيًّا إلى كيونغ مذكّرًا إياها برقم رحلته وساعة وصوله، ثم ذهب لينام.

***

كانت ديزي جالسة إلى مائدة الإفطار. وحين خرجت ميّا من غرفتها، قدّمت لها الشاي ودعتها للجلوس أمامها.

«ماذا دهاكِ أمس؟».

«كنت سأطرح عليكِ السؤال ذاته».

«هل ترغبين أن تعرفي لماذا جئت لإنقاذك، والطهو نيابة عنك صباح الأحد بكامله؟ لأجل أن تظهري من جديد وكالمعتاد ميّا الرائعة والاستثنائية. ميّا الناجحة في كل شيء».

«أرجوكِ، كفّي عن النفاق، لقد لعبتِ دور المرأة التي تغوي بامتياز، كما لم تفعلي من قبل».

«سأعتبر ذلك إطراء لأن مصدره ممثلة غاية في الموهبة. في كل الأحوال، كنت ترغبين أن يتعرَّف كلٌّ منا إلى الآخر».

«نعم هذا ما وَددّته لكن ليس لأجل أن تغويه، لقد جعلتني أحسّ حينها إحساس من صار وجوده نوعًا من التطفل».

«أتساءل.. أنه ربما لكثرة تمثيلك بالأفلام ستنتهين إلى الاعتقاد أنك صرتِ محور كل ما يحدث في العالم».

«قولي ما تشاءين. أنتِ محقة، أنتِ محقة على الدوام».

مكتبة هي و هو

«أنا على حق في شيء واحد على الأقل، وهو أنكِ لست بريئة كما تدّعين في هذه اللعبة الصغيرة، بل لقد استمتعتِ بها».

«أنتِ تزعجينني يا ديزي».

«وأنت كذلك يا ميّا».

«حسنًا، كلٌّ منا يزعج الآخر، سأحزم حقيبتي، وأذهب إلى الفندق».

«متى ستنضجين؟».

«حينما أصير عجوزًا في نفس سنّك!».

«ديفيد اتصل بي».

«ماذا؟».

«ربما لا أكبرُك إلا بثلاثة أشهر، لكن يبدو أن الصممَ أصابك».

«متى اتصل بكِ؟».

«عندما كنت أعّد فطيرة السلق لكاتبك السويدي صباح أمس».

«توقّفي عن تسميته الكاتب السويدي! وماذا طلب منك؟».

«طلب أن أقنعكِ بالرد على رسائله ومنحه فرصة أخرى».

«ماذا كان جوابكِ؟».

«لست ساعية بريد. وقد قلت له إنه آذاكِ كثيرًا، وعليه التصرف بابتداع طريقة غير تقليدية ليكسبكِ من جديد».

«لماذا يجب أن أمنحه فرصة أخرى؟».

«لأنه زوجكِ! «لم أشفَ بعد من علاقتي بديفيد».. أليست هذه عبارتك التي قذفتِ بها أمامي ذلك المساء، أليس كذلك؟ حسنًا، مرَّ ديفيد بمغامرة عابرة، لكنه يحبك أنتِ. ميّا.. يجب أن ترتّبي أفكارك. في اليوم الأول لوصولك إلى هنا، تظاهرتِ بأنك تودّين العيش وحدكِ ووحدكِ فقط، وهذا ما تحقّق لكِ. وبعد بضعة أيام، سيرحل صديقك الأمريكي إلى كوريا ليلتقي صديقته، فماذا ستفعلين آنذاك؟ تعملين كنادلة في حانة صغيرة في مونمارتر للاستمرار في الهروب من حياتكِ؟ لكن إلى متى؟».

مكتبة هي و هو

«لا أريد العودة الآن إلى لندن، لست مهيّأة لذلك».

«ليكن، لكن فكري بعناية، عليكِ إنقاذ زواجك قبل أن يفوت الأوان ويفقد ديفيد حماسته. احترسي، أنت والوحدة لا تستقيمان معًا. ولا تدّعي غير ذلك فأنا أعرفكِ منذ مدة طويلة. لن يكون بوسعي فعل شيء، لو رأيتك تعانين بسبب خطأ اقترفه أحدهم بحقّك، لكن لن أقف مكتوفة اليدين حين أراك تعانين بسبب خطأ اقترفتِهِ أنتِ بحق نفسك. إني صديقتك، وإذا لزمتُ الصمت وتركتكُ هكذا.. فسأكون مسؤولة عمّا يقع لك من معاناة».

«هيا نفتح المطعم، وستبقين في المطبخ، بينما أرتّب الصالة. سنتحدّث عن عطلتنا، يمكن أن نسافر معًا إلى اليونان لبضعة أيام، في شهر سبتمبر».

«لا يزال سبتمبر بعيدًا، وحتى موعد قدومه، دعينا نستفِدْ من هذين اليومين الأخيرين من دون شجار».

«ماذا تقصدين باليومين الأخيرين؟».

«وظَّفتُ نادلة وستبدأ عملها يوم الأربعاء».

«لماذا فعلتِ ذلك؟».

«لأجلكِ».

مكتبة هي و هو

الفصل 14

قبل سفره بيومين، وتقريبًا عند منتصف الليل، نام بول بعد أن ضبط منبّه الساعة. وفي التاسعة صباحًا خرج من منزله، توقّف لتناول القهوة، حيًا «مونتاش» وذهب للتسوّق. دخل أولًا سوق الخضر والفواكه المتألّقة بألوانها، ثم ذهب إلى الجزّار، وتوقّف عند متجر السمك، وبائع الجبن، ثم أنهى جولته بزيارة لمحل المعجّنات. عندما وصل إلى أسفل المبنى الذي يسكن فيه، استدار إلى الاتجاه المعاكس، إلى متجر النبيذ. اختار زجاجتين من نبيذ «جرون بوردو» ثم تفحّص قائمة التسوق التي كان قد حدّدها ورجع إلى المنزل.

أمضى بقية وقته في المطبخ، رتّب أواني المائدة في الرابعة، أخذ حمامًا في الخامسة، ارتدى ملابسه في السادسة، ثم استقرّ على كنبته وحاول أن يعيد قراءة الفصول الأخيرة من روايته لكن من دون تركيز كبير لأنه لم يكُفَّ عن التطلّع إلى ساعته.

***

استيقظت ميّا متأخرة، فقد احتفلت مع ديزي ليلة أمس بخدمتها

مكتبة هي و هو

الأخيرة في صالة المطعم بعشاء شَرِبَتا فيه النبيذ بإفراط، ثم قرّرت الصديقتان المنتشيتان الخروجَ إلى ساحة «تيرتر» من أجل تنفّس الهواء الطلق وحتى تفيقا من السَّكَر. جلستا على المقعد وتحدّثتا عن حياتَيْهما من دون الوصول إلى نتائج. ومع ذلك، نجحت ميّا في انتزاع وعد من ديزي بإغلاق مطعم «لاكلامادا» في الأيام الاخيرة من شهر سبتمبر من أجل قضاء العطلة معها في اليونان.

وفي الظهيرة خرجت ميّا للتنزه، مرّت على ساحة «تيرتر» وألقت التحية على رسام الكاريكاتير. تناولت وجبة الفطور في شرفة أحد المقاهي، ثم ذهبت إلى الكوافير ودخلت بعده إلى أحد المحلات التجارية وخرجت منه بفستان ربيعي زاهٍ. ثم عادت إلى الشقة نحو الساعة الخامسة وأخذت حمامًا أمضت فيه وقتًا طويلًا.

***

في السابعة والنصف، فحص بول درجة حرارة الفرن، ثم قام بتمليح الكركند. فرم باقة من العشب الطازج قبل خلطه مع سلطته، وزيّن أضلاع الحمَل بقشور جافة من الجبن. ثم عاد ليتأكد من وضع الصحون على المائدة. فتح قنينة النبيذ لتتشبع بالهواء، ثم عاد ليقرأ في الصالون، وبعد مرور خمس عشرة دقيقة، عاد من جديد إلى المطبخ ليضع أضلاع الحمَل في الفرن، ورجع ثانية إلى الصالون ملقيًا نظرة على النافذة. تأمّل نفسه في المرآة ورتب أطراف قميصه تحت سرواله ثم أخرجها على الفور. خفّض درجة حرارة الفرن ثم ألقى نظرة جديدة على النافذة، وانحنى في هذه المرة ليرى الشارع بصورة أفضل. قرّر تهوية الشقة ففتح النوافذ، ثم أخرج ضلع الحمَل من الفرن وجلس على الكنبة. تحقّق من توقيت الساعة، بعث برسالة نصية أولى واستأنف قراءته، ثم بعث برسالته الثانية في التاسعة مساءً. أطفأ شموع الشمعدان في التاسعة والنصف، ثم بعث برسالة نصية ثالثة عند العاشرة.

***

مكتبة هي و هو

«لماذا تراقبين هاتفك باستمرار؟».
«إنها عادة لا أكثر».
«ميّا، انظري في عينيّ، لقد عبرت «المانش» لألتقي بكِ».
«إني أنظر في عينيك يا ديفيد».
«إلى أين كنت ذاهبة عندما قرعتُ جرس منزل ديزي؟».
«لم أكن ذاهبة إلى أي مكان».
«كنتِ تضعين الماكياج، وكان شعرك مصففًا، بالمناسبة ما الذي دفعك لتقصّي شعرك هكذا؟».
«كنت أرغب في تغيير شكلي».
«لم تجيبيني، هل كان لديك موعد مع شخص ما؟».
«نعم، كنت على موعد مع عشيقي، إنْ كان هذا ما كنت تودّ سماعه مني. والآن صرنا متعادلَين».
«جئتُ إلى هنا لنتصالح».
«هل رأيتَها من جديد؟».
«لا، أؤكد لكِ، كنت وحيدًا في لندن منذ أن تركتِني، ولم أفكر إلّا بكِ. أرسلت إليكِ عشرات الرسائل بالهاتف، ولم أحصل على إجابة ولا مرّة واحدة، وها أنا ذا هنا أمامك لأعلن لك حبي، ولأعترف باقترافي حماقةً لن أسامح نفسي عليها».
«لكنك تطلب مني أنا أن أسامحك».
«أطلب منك مَنحَ زواجنا فرصة أخرى، والتأكّد من أن ابتعادنا هذا لم يكن له أي تداعيات».
«ربما بالنسبة إليكَ».
«كنتُ في حالة سيئة، وكان تصوير هذا الفيلم اختبارًا صعبًا لي ولكِ، ولم يكن من اليسير الوصول إليكِ. كنتُ ضعيفًا، وأنا مستعدٌّ لأي شيء لتصفحي عني. وأعدك أني لن أجعلك تعانين أبدًا بعد ذلك. كم أتمنى لو يكون بمقدورك محو هذا الخطأ ونسيانه وكأنه لم يكن!».

مكتبة هي و هو

تمتمت ميّا: «نعم، كما لو كنت تضغط على مفتاح الحذف في لوحة مفاتيح الكمبيوتر، فترى الماضي وهو يُمحى مثل صفحات مخطوطة».

«ماذا تقولين؟».

«لا شيء».

أمسك ديفيد يد ميّا وقبّلها. ظلت تنظر إليه وانعقد لسانها.

لماذا تفعل بي كل هذا؟ لماذا لا أعود أشعر بنفسي في حضورك؟.

«ما الذي تفكرين به؟».

«أفكر بنا».

«أنتِ تريدين بالفعل منح أنفسنا هذه الفرصة. هل تتذكرين هذا الفندق الذي أقمنا فيه خلال أول رحلة لنا إلى باريس، كنا قد بدأنا لتونا في التواعد».

نظرت ميّا إلى الجناح الذي حجزه ديفيد. كان يحتوي على مكتب من طراز لويس السادس عشر، وكرسيّه المقوَّس عند الظهر، والمقاعد الوثيرة التي تملأ غرفة الصالون، وسرير واسع من الطراز البولندي المسقّف بمظلة في غرفة النوم.

«كنا ننام في غرفة صغيرة آنذاك».

«مرَّ زمن طويل منذ ذلك الحين. تابع ديفيد ثم احتضنها بين ذراعيه. غدًا بوسعنا أن نلعب من جديد دور السيّاح، نجوب نهر السين على متن قارب، ونذهب لأكل البوظة في الجزيرة، لم أعدّ أتذكر اسم ذلك المكان الذي كنت تحبينه للغاية».

«كان ذلك على جزيرة سان لوي».

«لنذهب إلى جزيرة سان لوي إذًا. أرجوك يا ميّا، لنبقَ معًا هذه الليلة».

«لم أحضر أيًّا من أغراضي».

سحب ديفيد ميّا إلى خزانة الملابس، ثلاثة فساتين، تنورتان، بلوزتان،

مكتبة هي و هو

وسروالان من قماش، وكنزتان على حرف V، ثم فتح الدرج الذي يحتوي على أربعة أطقم من الملابس الداخلية. بعدها أخذها إلى الحمام ذي الرخام اللامع، وعلى حافة الحوض، كانت حقيبة الماكياج وفرشاة الأسنان.

«وصلتُ هذا الصباح في أول طائرة، وأمضيت يومي في التسوق، وأنا أفكر بكِ».

«إني متعبةٌ، دعنا ننَم». قالت.

«أنتِ لم تأكلي طبقك في المطعم، تريدين مني أن أطلب لك شيئًا من خدمة الغرف؟».

«لا، لست جائعة، أريد فقط أن أنام، وأن أفكر».

«لقد تم التفكير في كل شيء». قال ديفيد وهو يحتضنها بين ذراعيه. «سنبقى معًا الليلة وغدًا نبدأ من الصفر».

دفعته ميّا برفق إلى خارج الحمام ثم أغلقت الباب بالمفتاح. فتحت الصنابير، وتناولت هاتفها واستعرضت الرسائل التي تلقتها في المساء.

«كل شيء جاهز، أسرعي».

«ماذا تفعلين؟ صار الطعام جاهزًا».

«إذا كنتِ مضطرة للبقاء في المطعم، فلا بأس، أفهم ذلك. اخبريني فقط أن كل شيء على ما يرام».

وبينما تعيد قراءة رسالة بول الأخيرة للمرة الثالثة اهتز الجهاز في راحة يدها.

«سأذهب للكتابة. وسأغلق هاتفي. يمكننا أن نتحدث غدًا، وقد لا نفعل».

كان الوقت قد اقترب من منتصف الليل، أغلقت ميّا هاتفها، خلعت ملابسها ودخلت تحت رشّاش الماء.

* * *

هبط بول السلالم سريعًا، دفع الباب الأمامي واستنشق هواء المساء ملء رئتيه.

أسدل «موستاش» الستارة الحديدية على مقهاه. سمع بعض الخطوات واستدار.

«سيد بول، ماذا تفعل هنا؟ تتجوّل هكذا على الرصيف كأنك روح هائمة!».

«أنزّه كلبي».

«هل برفقتك كلب الآن؟ أين هو إذًا؟ هل ذهب في مغامرة عاطفية؟».

«هل أنت جائع، يا «موستاش»؟».

«أشعر بالجوع على الدوام، لكن مطبخي مغلق الآن».

«أما مطبخي أنا فلا يزال مفتوحًا، تعال معي».

اندهش «موستاش» حين دخل شقة بول من منظر الطاولة المغطاة بشرشف من القطن الأبيض، حيث ينتصب بأناقةٍ في وسطها شمعدانٌ مليء بالشموع. نظر نحو ضيفه، وقال:

«سلطة فصل الربيع مع الكركند، مكعّبات لحم الحَمَل بقشرة الجبن الجاف، ثم حلوى «سان أونوريه»... آه، لقد نسيت، وطبق جميل من الجبن ونبيذ «غريو لاروز» يعود إلى عام 2009 ليرافق كل شيء، هل يروق لك هذا؟».

«سيد بول.. أشك كثيرًا أنك قد جهّزت هذا العشاء على ضوء الشموع لأجلي، فهذا أمر يصعب تصديقه؟ لأن...».

«لا، يا «موستاش»، لم أعدّ هذا العشاء لأجلك. وبالمناسبة ستجد لحم الحمل قد احترق قليلًا».

«أفهم». أجاب «موستاش» وهو يفرد منشفته.

تناول الرجلان العشاء حتى وقت متأخر من الليل. تحدّث «موستاش» عن منطقة الأوفيرنيي، مكان مولده الذي غادره في سن العشرين لأجل

مكتبة هي و هو

أن يصير جزارًا. تحدّث عن زواجه، وطلاقه، وشراء مقهاه الأول في منطقة الباستيل قبل أن يغزوها متتبعو الموضة، كان عليه ألّا يبيعه أبدًا، ثم تأسيسه المقهى الثاني في منطقة بيلفيل قبل أن يستقرّ فيها نفس متتبعو الموضة هؤلاء، ثم انتقاله إلى حيٍّ حيث مستقبل العمل فيه مضمون».

ولم يحكِ بول أي شيء، كان يستمع إلى ضيفه، ضائعًا في أفكاره.

وفي الثانية صباحًا، انسحب «موستاش» مهنّئًا بول على جودة طبخه.

عند عتبة الباب، ربّت على كتفه وتنهّد.

«أنت رجل أنيق سيد بول. لم أقرأ كتبك أبدًا. فالقراءة لا تناسبني، لكن الناس في الحي تحدثوا عن كتبك بإعجاب كبير. عندما ترجع من هناك، سآخذك لتناول العشاء في مكان يلتقي فيه عمال الليل، ولن تجد هذا المكان في أدلة المطاعم، لكن الطبّاخ هناك ماهر للغاية، إنما أريد ان أعرف متى ستعود».

عهد بول إليه بنسخة من مفاتيحه معترفًا بأنه يجهل تاريخ عودته.

دسّ «موستاش» سلسلة المفاتيح في جيبه وخرج من دون أن يضيف أي كلمة.

مكتبة هي و هو

مكتبة هي و هو

الفصل 15

كان الجو باردًا يوم الخميس. وبينما كان ديفيد وميّا يبحران في نهر السين، استدعى بعض الذكريات عن أول إقامة لهما معًا في باريس. ثم عادا إلى ضفة النهر من دون أن تتغيّر حالة المد الذي لم يشهد أي ارتفاع. أكلا معًا آيس كريم على جزيرة سان لوي ثم رجعا إلى الفندق، ومارسا الحب، ثم استرخيا على السرير.

وفي منتصف ما بعد الظهيرة، اتصل ديفيد بموظف الاستقبال وطلب منه أن يحجز له مقعدين لمشاهدة أفضل عرض مسرحي في باريس، وحجز أيضًا تذكرتي سفر إلى لندن في اليوم التالي. وبمجرّد أن أنهى المكالمة، أخبر ميّا بأن الوقت قد حان للعودة إلى بيتهما، وطلب أن يرافقها لاستعادة أغراضها من مونمارتر.

ردّت ميّا بأنها تفضل إعداد حقيبتها بمفردها، وأنها ستذهب لتوديع ديزي قبل أن تلحق به. ووعدته أن تحضر في الموعد، ثم غادرت جناح الفندق.

أقلّتها الليموزين إلى شارع «بولبوت». طلبت ميّا من السائق أن

مكتبة هي و هو

ينتظرها وصعدت إلى الشقة. وبعد أن جهزت حقيبتها، أخرجت رسمة ديزي من الخزانة، ثم غادرت الشقة.

* * *

طبع بول فصول روايته، ورتّبها في مجلد وضعه في حقيبته.

أفرغ محتويات الثلاجة، وأغلق النوافذ وأحكم غلق الصنابير. ثم قام بجولة أخيرة في الشقة وأخرج القمامة وذهب للالتحاق بناشره.

* * *

عند مغادرتها مونمارتر، طلبت ميّا من السائق أن يأخذها إلى شارع «لابروتاني».

«هل يمكنك التوقف هنا للحظة؟» قالت حين مرت السيارة قبالة البناية رقم 38.

انزلت زجاج النافذة وأطلت برأسها. كانت جميع نوافذ الطابق الرابع مغلقة.

وعندما أدار السائق السيّارة من جديد، أخذت ميّا الموبايل لقراءة الرسالة التي تلقتها في وقت متأخر من الصباح.

ميّا..

أنا غاضب، ولكني أريدك أن تعرفي أنني هذه الليلة دفعت بمغنيتي تحت إحدى الحافلات، كان عليها أن تتوخى الحذر أثناء عبورها.

اتصلتُ بالمطعم، وأخبرتني ديزي أن لا شيء خطيرًا قد جرى لك، وهذا هو المهم.

أفهم صمتك، ربما هذا أفضل، فلا معنى لكلمات الوداع.

مكتبة هي و هو

شكرًا على اللحظات الثمينة التي منحتِها لي.

اعتني بنفسك، حتى لو كانت هذه العبارة لا معنى لها.

بول

عندما وصلت إلى الفندق، ادَّعت ميّا أنها تعاني من الصداع النصفي، ما اضطر ديفيد إلى أن يطلب من موظف الاستقبال إلغاء الحجز في المسرح. كما طلب جلب طعامهما إلى الجناح.

****

في الحادية عشرة ليلًا، ودّعت ديزي آخر زبائنها، وبمجرّد أن ولجت شقتها اكتشفت صورة لها مرفقة بكلمة موضوعة على طاولة المطبخ.

عزيزتي ديزي..

سأعود إلى إنجلترا، لم تواتني الشجاعة لأمرّ على المطعم. إني أغار من نادلتك الجديدة، والحقيقة أنني أخشى رؤيتك حتى لا أغير رأيي. لقد صاغت لي الأيام التي أهديتِها إليَّ في باريس حياةً جديدةً شرعت في حبها. ولأني سمعت نصائحك، فإني سأعود إلى حياتي وأتركك لحياتك.

سأتصل بك من لندن في غضون أيام قليلة، عندما أسترجع أنفاسي. أجهل ما إذا كنتِ على علم أن ديفيد جاء للقائي، ولو كنت تعلمين فقد أحسنت صنعًا أنك لم تخبريني بذلك.

لست أدري كيف أشكر صداقتك، ومساندتك لي كلما احتجت إليك، ومعارضتك لي حتى لو كلفك ذلك غضبي منك، الذي كنت تعلمين أنه سيمرّ سريعًا وقد لا يستمرّ إلّا ليلة واحدة، ولأنك لا تكذبين عليَّ أبدًا. أما أنا فقد كذبت عليك، وأنت تعرفين موضوع هذا الكذب، «وأنا اعتذر من ذلك».

مكتبة هي و هو

صورتك تلك، رسمها أحد رسامي الكاريكاتير في ساحة «تيرتر». يمكنك التعرّف إليه بسهولة، إنه رجل وسيم للغاية، جميل بقدر الجمال الذي ينظر به إليكِ.

بدأت أشتاق إليكِ من الآن.

صديقتك التي تحبك كما لو كنتِ أختها

ميّا

ملحوظة: لا تنسي وعدك، ستكون اليونان لنا، لنا وحدنا، مع نهاية سبتمبر. أنا سأتكفّل بكل شيء.

سارعت ديزي إلى هاتفها وبعثت برسالة إلى ميّا بعد أن تعذر الاتصال بها.

أتمنّى أن تشتاقي إليّ بقدر ما أشتاق إليكِ. نادلتي الجديدة عبارة عن جرّة إبريق كما نقول، شعر أبطها ظاهر، وكسرت إلى الآن صحنين. هاتفيني في أقرب فرصة ممكنة.

كوني مجنونة، ولكن ليس إلى درجة الاستماع إلى نصائحي. أرجوكِ لا تستمعي إلى نصائحي أبدًا، عدا ما يخّص شؤون الطبخ. فما عدا الطبخ، صديقتك المفضلة لا تفقه أي شيء وخصوصًا في شؤون الحياة.

أحبّك أيضًا، كما لو كنتِ أختي.

* * *

سلك السائق الطريق المؤدي إلى المطار. ركن السيارة بمحاذاة الرصيف. فتح ديفيد الباب ومدّ يده إلى ميّا. كانت تتأهّب للخروج من السيّارة في الوقت الذي انفتحت أبواب الدخول. لكنها وبسبب

خبرتها الطويلة في مجالها السينمائي، سرعان ما تعرّفت إلى اثنين من الباباراتزي[1] عند حاجز تسجيل الركاب، خصوصًا أنهما لم يحرصا على التخفي على نحو جيد.

نذل! مَن غيرك بوسعه أن يخبرهما؟ زيارتك إلى باريس، وتمثيل دور الرجل الآسر، كل ذلك من أجل أن يرانا الجمهور معًا. وقطعًا كان سينكشف هذا الأمر لو تمّ رصدنا على متن القارب النهري، ولكن هنا في المطار سيعتبر ذلك مجرد صدفة، وأنا كغبية، كنت قد صدقتك...

«هل تأتين؟» قال ديفيد بنفاد صبر.

«انتظرني في الداخل؛ أودّ أن أكلّم ديزي وأخبرها بموضوع يخصنا أنا وهي».

«لا تتأخري، دقائق فقط».

«سألحق بك خلال خمس دقائق».

«حسنًا، سأشتري الصحف، لا تتأخري».

بمجرّد أن ابتعد ديفيد، أغلقت ميّا الباب، وانحنت نحو السائق.

«ما اسمك؟».

«اسمي موريس، سيدتي».

«موريس، هل تعرف جيدًا هذا المطار؟».

«نعم؛ أنا أنقل الركاب من وإلى المطار من أربع إلى ست مرات في اليوم الواحد».

«هل تعرف من أين تنطلق الرحلات إلى آسيا؟».

«من المحطة 2E».

«اسمع موريس، ستنطلق الرحلة إلى سيول خلال 45 دقيقة، وإذا أَوْصَلتَني في غضون خمس دقائق إلى المحطة، فسأمنحك بقشيشًا سخيًّا». وعدته بهذا وهي تفتش في حقيبتها.

---

(1) مصورون صحفيون معروفون بمطاردتهم للمشاهير. (المراجع).

مكتبة هي و هو

أدار السائق السيارة وانطلق بأقصى سرعة. سألته بقلق:

«هل تقبل بطاقات الائتمان؟ ليس معي نقود».

«وهل ستسافرين على الطائرة نفسها!».

«سأحاول».

«لا تهتمي للبقشيش، سيدتي». قال ذلك وانزلق بين حافلة وسيارة أجرة. وعلّق: «لا أحتمل هذا النوع من السائقين».

جرت السيارة بسرعة، وبعد ثلاث دقائق، توقّفت أمام المحطة. 2E

هرع السائق لفتح الصندوق الخلفي للسيارة، وأخرج حقيبتها ووضعها على الرصيف. ثم سألها:

«وماذا سأفعل بالحقيبة الأخرى!».

وأجابته:

«موريس، لقد ورثتَ للتو مجموعة من سترات الكشمير وقمصان الحرير. شكرًا لك».

أمسكت ميّا حقيبتها وسارعت إلى منطقة التسجيل.

لم يبق هناك غير مضيفة واحدة تقف وراء الكاونتر.

«مرحبًا، يجب أن أذهب إلى سيول، لأمر عاجل».

تجهّم وجه المضيّفة من الارتباك، وقالت:

«لقد انتهينا من استقبال ركاب الرحلة، وأخشى أن تكون الطائرة قد امتلأت».

«أنا على استعداد للسفر في التواليت إذا لزم الأمر».

«طوال إحدى عشرة ساعة؟!» تساءلت المضيفة وهي تهز رأسها، ثم أضافت: «يمكنني أن أحجز لك في طائرة غدٍ».

ناشدتها ميّا وهي تخلع نظارتها: »من فضلك، أرجوكِ!».

شاهدت المضيفة ميّا وأشرق وجهها.

مكتبة هي و هو

«هل أنتِ...؟».

«نعم، أنا! هل يمكنك أن تحجزي لي مقعدًا؟».

«كان عليكِ أن تخبريني منذ البداية، لديّ مقعد واحد في الدرجة الأولى، بسعر كامل».

وضعت مّيا بطاقتها الائتمانية على الكاونتر.

«وما تاريخ العودة؟» سألتها المضيفة.

«ليس لديّ أدنى فكرة».

«لكني بحاجة إلى تحديد موعد للعودة».

«بعد ثمانية أيام، أو عشرة، أو خمسة عشر...».

«ثمانية أيام، أو عشرة، أو خمسة عشر!».

«خمسة عشر! أرجوك، أسرعي».

راحت المضيفة تضرب على لوحة مفاتيح الكمبيوتر بسرعة خارقة.

«بخصوص حقيبتك! لقد فات الأوان لتسجيلها».

انحنت مايا لفتح أمتعتها، أخذت منها أدوات التجميل وبعض الأغراض القليلة الأخرى ثم دسّتها في حقيبة يدها، وقالت للمضيفة:

«يمكنك الاحتفاظ بكل ما تبقى!».

قالت وهي تميل فوق طاولة الكاونتر: «لا، لا يمكنني ذلك».

«بلى، بإمكانك».

«أرجوكِ. بأي فندق ستنزلين؟».

«لا أعرف».

كانت الدهشة واضحة بشدة على وجه المضيفة وهي تسلّم بطاقة الصعود إلى ميّا. وتقول:

«أسرعي إلى البوابة مباشرة، سأنبِّه رئيس البوابة أن يتأخر في إغلاق الأبواب».

مكتبة هي و هو

أخذت ميّا تذكرتها، وخلعت حذاءها وحملته في يدها، وسارعت إلى نقطة الأمن.

وصلت إلى ممر الركاب منهكة الأنفاس، ورأت بوابة الخروج وصرخت لكي ينتظروها، ولم تتوقف عن الركض إلا عندما بلغت الجسر الذي يؤدي إلى باب الطائرة.

وقبل أن تلج الطائرة، حاولت أن تبدو طبيعية وقدمت بطاقة المقعد إلى المضيف الذي استقبلها بابتسامة عريضة.

«قال لها وهو يشير إلى مكان المقعد: «كنتِ على وشك تفويت السفر، مقعدك 2A». عبرت ميّا من أمام الكرسي المخصّص لها وأكملت طريقها إلى الخلف.

حاول المضيف مناداتها عبثًا، لكنها استمرت في طريقها.

توقّفت أمام أحد الصفوف وسلّمت بطاقة الركوب إلى أحد المسافرين، وأخبرته أنه تم رفع درجته إلى الدرجة الأولى. لم يتردّد الرجل وأخلى لها مقعده على الفور.

فتحت ميّا مقصورة الأمتعة، وبصعوبة تمكّنت من دسّ حقيبتها بين حقيبتين كبيرتين، ثم استرخت في مقعدها وهي تتنهد بقوة.

واصل بول قراءة المجلة من دون أن يرفع رأسه.

أعلن المضيف عن إغلاق أبواب الطائرة، وطلب من الركاب أن يربطوا أحزمتهم ويوقفوا تشغيل أجهزتهم الإلكترونية.

وضع بول جريدته في الجيب الكائن أمامه، ثم أغلق عينيه.

بدأت ميّا الكلام: «هل سنتحدث مع أنفسنا أم سنظل صامتين طيلة إحدى عشرة ساعة؟».

«في هذه اللحظة، نصمت وننتظر الموت، فثمة طائر عملاق يزن ثلاث مئة طن سيحاول الإقلاع عن أرض صلبة، ومهما نقُل، فإن ذلك

مكتبة هي و هو

يخالف الطبيعة. إذًا حتى يرتفع هذا الطائر العملاق لنستمرّ في التنفس ولنهدأ، وعلينا ألّا نفعل أي شيء آخر».

أجابت ميّا: «حسنًا».

«كم كلفتك تذكرة الدرجة الأولى؟».

«أظن علينا الصمت».

«هل معك مهدئ؟».

«لا».

«قرص فاليوم؟».

«ولا هذا».

«ولا مضرب بيسبول؟ فإن أردت يمكنك أن تضربيني به إلى حد الإغماء مع عدم محاولة إفاقتي إلا بعد الوصول».

«اهدأ، كل شيء سيكون علي ما يرام».

«هل أنتِ ربّان طائرة؟».

«أعطني يدكَ».

«لا أنصحك، فهي رطبة».

وضعت ميّا يدها على معصم بول.

«ماذا أعددتَ للعشاء؟».

«لن أخبركِ أبدًا».

«لم تسألني لماذا لم أحضر دعوتك إلى العشاء؟».

«لا، لا، ما هذا الضجيج؟ هل هذا طبيعي؟!».

«إنها محركات الطائرة».

«وهل من الطبيعي أن تصدر الطائرة كل هذا الضجيج؟».

«نعم، يحصل ذلك، خصوصًا عند الإقلاع».

«وهل من الطبيعي أن تحدث تلك المحركات كل هذا الصخب؟».

«نعم، لأنه لا يمكن الإقلاع من دون صخب المحركات هذا».

مكتبة هي و هو

«وهل أحدثت المحركات الصخب الذي يكفي لكي نقلع؟».

«نعم، أحدثت المحركات الصخب اللازم للإقلاع».

«وما هذا الـ«بوم بوم» الذي أسمعه؟».

«إنها دقات قلبك».

* * *

ارتفعت الطائرة في الأجواء. وبعد الإقلاع بفترة وجيزة، تعرّض هيكلها لعدد من الاهتزازات. شدّ بول على أسنانه وتصبّبت جبهته عرقًا.

طمأنته ميّا: «لا داعي للخوف».

«ليس من الضروري أن تكون هناك أسباب للخوف». أجاب بول.

ندم لعدم تذوّق الهدية الصغيرة التي قدّمها له كريستونيلي عندما رافقه إلى المطار. خلطة من التبغ تبعد، وفقًا لناشره، أي قلق لبضع ساعات. ولأن بول يعاني من داء وسواس المرض الذي يمنعه حتى من تناول قرص إسبرين حين يصيبه الصداع خشية أن يتعرّض لزيادة في سيولة الدم ومن ثم التعرّض لنزيف، قرّر ألّا يتعاطى تلك الخلطة من التبغ حتى لا يضيف أي قلق جديد على قلقه الموجود بالفعل.

حين بلغت الطائرة الارتفاع المطلوب بدأ طاقم الضيافة في التحرك في ممراتها.

«فُكَّت الأحزمة، وهذه علامة جيدة، أليس كذلك! ما داموا قد نهضوا هكذا فهذا يعني أن الأمور كلها جيدة، أليس كذلك؟».

«الأمور كلها جيدة منذ بداية الإقلاع، وكل شيء سيكون جيدًا حتى الهبوط، ولكن أتصوّر أنك لو مكثت متشبثًا بمساند المقعد هكذا طوال إحدى عشرة ساعة، فسيضطرون لاستخدام الكلابات لتحريرك من مكانك الذي تجلس فيه!».

فحص بول يديه اللتين أصبحتا شاحبتين، وأرخى أصابعه.

مكتبة هي و هو

عرضت المضيفة المشروبات عليهم، واندهشت ميّا من اكتفاء بول بكأس من الماء.

«يقال إنه ليس من الجيد شرب الكحول على ارتفاعات عالية».

اختارت ميّا جرعة مزدوجة من الجِن.

«لا ينطبق ذلك على الإنجليز فيما يبدو». علّق بول وهو ينظر إليها وقد أفرغت كأس الجِن في جوفها جرعة واحدة.

أغلقت ميّا عينيها وأخذت نفسًا عميقًا، بينما بقي بول يراقبها بصمت.

«أظن أننا قرّرنا ألّا نتحدث»، تابعت مغمَضة العينين.

فاستأنف بول قراءة مجلته. ثم بعد قليل قال:

«لقد اشتغلت كثيرًا خلال الليلتين الماضيتين. عاشت بطلتي المغنية مغامرات عديدة، تخيّلي: ظهر زوجها فجأة، وكان طبيعيًّا أن تنتكس حالتها. والآن يبقى أن نعلم هل لذلك أهمية أم لا»، تابع وهو يقلّب صفحات الجريدة بلا اكتراث. من جهة أخرى، أنا لا أريد أن أعرف، فهذا ليس من شأني، إنما رغبت في طرح السؤال فقط، لذلك دعينا نتحدث عن شيء آخر الآن.

«من ألهمكَ هذه الفكرة؟».

«أنا روائي، أفكر وأتأمل».

أغلق بول مجلته.

«يحزنني أن أراها تعيسة. لا أعرف لماذا، لكن هكذا هو الأمر».

قطع المضيف حديثهما ليقدم لهما وجبة الطعام. رفض بول وقال للمضيف إن ميّا ليست جائعة. أرادت أن تحتجّ، لكن كان المضيّف قد انتقل إلى الصف التالي.

«ماذا؟! هذا ليس من شأنك؟ أنا أتضوّر جوعًا!» صرختْ.

«آه، أنا أيضًا أتضوّر جوعًا. ولكن هذه الكميات الصغيرة جدًّا من

مكتبة هي و هو

الطعام لا تهدف إلى تغذيتنا بل إلى تسليتنا بأن نمضي وقتنا في تخمين ما يمكن أن تحتويه صينية الطعام التي تقدم لنا».

فكّ بول حزامه ووقف ليسحب حقيبته من مقصورة الأمتعة. ثم عاد على الفور إلى مكانه، أخرج عشر علب صغيرة مغلقة بإحكام ووضعها على اللوح الصغير أمام ميّا. فسألت:

«ما هذا؟».

«هل يهمّك هذه المرّة معرفة ما قمتُ بتحضيره؟».

رفعت ميّا الأغطية لتكتشف أربع شطائر من الخبز الأبيض مع سمك السلمون المدخّن، وشريحتين من الخضار، وقطعتين من كبد الإوز، وعلبتَيْ سلطة من البطاطس والكمأة السوداء، ثم وجدت في العلبتين الأخيرتين قطعتي حلوى الإيكلير بمذاق القهوة. نظرت إلى بول مندهشة.

«نعم هذا ما فعلته بعد أن فكرت فيه وأنا أرتب حقيبتي، قلت لنفسي ما دمت سأموت في الجو فلا بد أن يتم ذلك في ظروف جميلة».

«أتجهّز طعامك دائمًا لشخصين؟».

«لن أتمتّع بهذه الوليمة بينما جاري في المقعد المحاذي يراقبني بطرف عينه وقد أوشك على الانتحار بسبب الطعام الذي قُدم له، وهذا لا شك سيفسد عليّ متعتي».

«لا تترك شيئًا إلا وتفكّر به».

«أفكّر فقط فيما هو أساس. لكن هذا بالفعل يجعلني مشغول البال دومًا».

«هل تنتظركَ مترجمتك في المطار؟».

«آمل ذلك، لماذا؟».

«لا شيء، وأخيرًا إذًا.. فلن يوجد أمامنا سوى التظاهر بأنني مرافقتك، أو وكيلة أعمالك مُرسَلة من طرف دار النشر التي تتعامل معها».

مكتبة هي و هو

«ألا يمكن أن نقول إننا صديقين؟».

«حسنًا، إذا كنتَ ترغب في ذلك».

«وبما أننا أصدقاء، يمكنكِ أن تشرحي لي ماذا تفعلين على متن هذه الطائرة بدلًا من التواجد في مطعمكِ».

«لذيذة جدًّا كبد الإوز هذا، من أين اشتريتها؟».

«أرجوكِ ألّا تجيبي عن سؤالي بسؤال آخر».

«كنت بحاجة إلى أن أبتعد».

«عن ماذا؟».

«عن نفسي».

«يبدو أنه قد عاد إليك؟».

«لنقل إنها عادت إليه»، لكن سرعان ما أحسّت أنها تختنق.

«أنا سعيد كونك هنا الآن».

«صحيح؟».

«لا، فقط أقول هذا حتى أبدو مهذبًا».

«إنني سعيدة أيضًا بوجودي هنا، منذ مدة طويلة وأنا أتشوّق لاكتشاف سيول».

«صحيح؟».

«لا، أقول هذا حتى أبدو مهذَّبة».

بعد أن انتهيا من تناول الوجبة، وضع بول العلب في الحقيبة ثم نهض.

«إلى أين أنت ذاهب؟».

«سأذهب لأغسلها».

«أنت تمزح؟».

«لا، على الإطلاق، لن أترك لهم حافظات الطعام فأنا بحاجة إليها عند العودة».

«ألم تعدّ تنوي الاستقرار في كوريا؟».

«دعينا نرَ ما سيحدث».

* * *

تصفّحا برنامج الترفيه. اختارت ميّا مشاهدة فيلم كوميدي رومانسي، بينما اختار بول فيلم إثارة وتشويق. بعد عشر دقائق، صار بول يتابع الفيلم الذي يُعرض على شاشة ميّا، فيما هي تتابع الفيلم الذي يُعرض على شاشته هو. تبادلا أولًا نظرة، ثم تبادلا السمّاعتَين، وأخيرًا تبادلا مقعديهما.

* * *

وفي النهاية نام بول، وحرصت ميّا على ألّا توقظه أثناء الهبوط. فتح عينيه من جديد عندما لامست عجلات الطائرة الأرض وتجمّد في مقعده، بينما كان الطيار يبطئ محركات الطائرة. طمأنته ميّا فكابوسه أوشك على الانتهاء وبعد لحظات سيهبطان من الطائرة.

* * *

بعد مراقبة جوازات السفر، استعاد بول حقيبته من مدرج الأمتعة ووضعها على عربة.

سألها بقلق: «أين حقيبتك، ألم تخرج بعد؟».

قالت وهي تشير إلى الحقيبة التي كانت تحملها: «هذا كل ما معي».

لم يعلّق بول. بقي يتأمل الأبواب الأوتوماتيكية أمامه منشغلًا بكيفية التصرف عند عبورها.

كانت مجموعة يقدر عددها بنحو ثلاثين قارئًا قد نشَرَت لافتات كُتب عليها: «مرحبًا بك بول بارتون».

وضعت ميّا نظارتها الشمسية.

مكتبة هي و هو

«أعترف أنهم يجيدون فن الاستقبال حتى أنهم وظّفوا ممثلين للقيام بذلك». علّق بول وهو يدقق في تلك الوجوه بحثًا عن كيونغ.

ثم نظر خلفه، كانت ميّا قد اختفت. ظنَّ أنه رآها تعبر البوابة ثم اختفت وسط الحشد المنتظِر.

هرعت المجموعة التي كانت تترقب وصوله نحوه، وكانوا يحملون دفاتر وأقلامًا ويطلبون منه توقيع الإهداءات.

شعر بول في البداية بالانزعاج، ثم انحنى عن طيب خاطر ليقوم بالتوقيع إلى أن وصل ناشره الكوري الذي نجح في إبعاد هذه المجموعة الصغيرة وسلّم عليه بحرارة.

«مرحبًا بك في سيول، سيد بارتون، إنه شرف لنا أن نستقبلك».

أجاب بول وهو يواصل النظر إلى الجمهور: «الشرف لي، لكن لم يكن هناك أيّ داعٍ لهذا».

«لأيِّ شيء لم يكن هناك أيُّ داعٍ؟» سأله الناشر.

«لهؤلاء الناس...».

«حاولنا أن نسيطر عليهم لكنّك تحظى بشعبية كبيرة هنا وكانوا يترقبون وصولك. هل تعلم أنهم انتظروك أكثر من ثلاث ساعات».

«لماذا؟».

قال الناشر: «لرؤيتك». ثم أضاف: «هيا بنا، ستقلّك سيّارة إلى الفندق. من المؤكّد أنك منهك بعد هذه الرحلة الطويلة».

التحقت ميّا بهما خارج صالة المطار.

سأل الناشر: «هل السيدة برفقتك؟».

قدمت ميّا نفسها.

«أنا الآنسة غرينبيرغ، مساعدة السيد بارتون».

«سعدت بمقابلتك آنستي، لم يبلغنا السيد كريستونيلي بحضورك».

مكتبة هي و هو

«لقد تكفّل مكتب السيد بارتون برحلتي». ردّت ميّا في محاولة لتفسير الأمر.

ظلّ بول واجمًا. ودعاهما الناشر الكوري ليأخذا مكانهما في السيارة الليموزين. ركب هو في المقعد الأمامي بينما صعد بول وميّا في الخلف. ثم ألقى بول نظرة أخيرة على الرصيف الشاغر.

انطلقت السيارة متوجّهة إلى وسط المدينة.

بقي بول، الذي بدا شاردًا، يشاهد المناظر الطبيعية من وراء زجاج نوافذ السيارة.

«سنتناول العشاء الليلة مع مجموعة صغيرة من بعض المتعاونين مع الدار، ومن ضمنهم مدير التسويق، وملحقتك الإعلامية الآنسة باك، ومدير المكتبة التي ستشهد حفلات توقيعك. لن يستغرق ذلك وقتًا طويلًا، فلا تقلق. أنت ستحتاج إلى الراحة، فالأيام المقبلة ستكون مليئة بالأنشطة. تفضّل هذا برنامجك»، وناول ميّا المغلّف وهو يقول: «آنسة غرينبيرغ، هل ستنزلين في الفندق ذاته، مع السيد بارتون؟».

«بالتأكيد». أجابت ميّا وهي تنظر إلى بول.

لم يعِر بول أي اهتمام لتلك المحادثة، فكيونغ لم تحضر إلى المطار وفكّر أن السبب وراء ذلك ربما يعود إلى حضور رئيسها بنفسه.

ربتت ميّا على ركبة بول لتنبهه.

«بول، ناشرك يسألك إن كانت الرحلة جيدة».

«أظن أنها كانت جيدة، بقيت في مكاني، وسار كل شيء على ما يرام».

«إننا نعوِّل كثيرًا على البرنامج التلفزيوني الذي ستشارك فيه غدًا. وهناك حدث هامٌّ آخر، سيقيم سفيركم حفل استقبال على شرفك يوم الاثنين، وقد وجّهنا الدعوة لبعض الصحفيين ولشخصيات بارزة من كلية سيول. سأخبر سكرتارية السفير بحضور مساعدتك».

مكتبة هي و هو

وعلى الفور قالت ميّا:

«لا تفعل شيئًا، يمكن للسيد بارتون الحضور وحده».

«حضورك ليس محلًا للنقاش، سنكون سعداء بوجودك بيننا، أليس كذلك سيد بارتون؟».

لم يجب بول الذي كان وجهه ملتصقًا بالزجاج. كيف ستتصرف كيونغ أثناء العشاء؟ وهل يبقى على مسافة منها بهدف عدم إزعاجها أمام مديرها؟

وخزت ميّا بول بمرفقها خلسة. فالتفت نحوها:

«نعم، ما الأمر؟».

ظن الناشر أن التعب قد نال من بول، فصمت حتى وصلوا إلى الفندق.

توقّفت السيّارة تحت المظلة وتقدّمت منهم شابة. فقال الناشر:

«ستساعدك الآنسة «باك» في إجراءات التسجيل وسترافقك إلى المطعم الذي سنلتقي فيه الليلة. أما أنا فلا يزال أمامي الكثير لأفعله بشأن التحضير لافتتاح الصالون. أترككما لترتاحا، وإلى اللقاء قريبًا جدًا. وركب الناشر السيارة مجددًا وابتعد».

طلبت الآنسة «باك» من بول وميّا أن يسلماها جوازات سفرهما ويتبعاها إلى الاستقبال. في حين تسلّم الحمّال حقيبة بول.

احمرّ وجه موظف الاستقبال عند رؤية بول.

«هذا شرف عظيم، سيد بارتون. لقد قرأت جميع كتبك». همس له.

أجاب بول: «هذا لطفٌ كبير منك».

«لم أعثر على حجزكِ آنسة غرينبيرغ، وتابع معبرًا عن تأسّفه، هل لديك تأكيد للحجز؟».

قالت ميّا: «لا، ليس لدي أي تأكيد».

مكتبة هي و هو

عاود موظف الاستقبال البحث في الكمبيوتر، وشعر بالحرج أكثر عندما أخبرته الآنسة «باك» أن رحلة السيد بارتون استغرقت وقتًا طويلًا ولا مجال لتضييع الوقت.

عاد بول إلى رشده واتكأ على كاونتر الاستقبال:

«الأرجح أن هناك خطأ ما، قد يحدث هذا للجميع، احجز لنا غرفة أخرى».

«لكن يا سيد بارتون، الفندق محجوز بكامله. يمكنني فقط أن أعثر لها على غرفة في فندق آخر، مع أنني أخشى أن تكون جميع الفنادق محجوزة بمناسبة انعقاد صالون الكتاب».

كانت ميّا ترسل نظراتها بعيدًا.

«حسنًا، لا يهم»، ردّ بول بلهجة مرحة. «الآنسة غرينبيرغ وأنا نعمل معًا لسنوات عديدة، ويمكن أن نتدبّر أمورنا ونسكن معًا في غرفة واحدة ذات سريرين».

«لا يمكن لأننا حجزنا لك غرفة بسرير ملكي واحد في الجناح».

أوشكت الآنسة «باك» على الانهيار. ثم اقترب منها بول وأخذها جانبًا.

«هل سبق لكِ أن ركبتِ الطائرة يا آنسة «باك»؟».

«لا، أبدًا سيد بارتون، لماذا تسألني عن ذلك؟».

«صدقيني، أمضيتُ إحدى عشرة ساعة على ارتفاع عشرة آلاف متر، ولم يكن يفصلني عن السحاب سوى حاجز بسيط ونافذة صغيرة، لذا لم يعد أي شيء في العالم يقلقني الآن. سوف نتشارك هذا الجناح، لا تخبري مديرك ولا أي شخص آخر، واحرصي على ألا يتذكّر هذا الشاب في الاستقبال أن الآنسة غرينبيرغ قد حضرت من الأساس، هذا سّر بيننا».

استوعبت الآنسة ما أخبرها به بول، وعادت الدماء إلى وجهها.

مكتبة هي و هو

«أريد مفتاحين من فضلك»، قال بول لموظف الاستقبال بعد أن رجع إليه ثانية. «لنذهب آنسة غرينبيرغ». أمرها بول بطريقة ساخرة وقد التفت إلى ميّا.

لم يتبادلا كلمة واحدة في المصعد، ولا حتى في الممر الطويل الذي يؤدي إلى الغرفة، إلى أن وضع الحمّال حقيبة بول وانسحب.

قالت ميّا: «أنا آسفة، لم أفكر لثانية واحدة أن...».

تمدّد بول على الكنبة القصيرة وقد تجاوزتها ساقاه بدءًا من الركبتين.

«لم يكن أمامنا خيار آخر»، وتنهّد وهو يقف ثانية.

ثم أخذ وسادة، وضعها على السجادة وتمدّد. لكنه عاد ووقف مجددًا.

«هذا أيضًا غير مريح»، وتابع وهو يفرك أسفل ظهره.

فتح خزانة الملابس، وانتصب على رؤوس أصابع قدميه، حتى أمسك بوسادتين لفصل السرير إلى نصفين. سأل ميّا: «ماذا تفضلين، اليسار أو اليمين؟».

قالت ميّا باندهاش:«من المستحيل ألا توجد غرفة واحدة شاغرة في فنادق سيول كلها؟».

«بالطبع توجد مثل هذه الغرفة، لكن كيف ستجدينها! هل ستنشرين طلبكِ في الإعلانات المبوبة باللغة الكورية؟ علينا فقط وضع بعض القواعد: أنتِ تستخدمين الحمام أولًا في الصباح وأنا من أستخدمه أولًا في المساء، أما بالنسبة للتلفزيون، فسأترك لك جهاز التحكم، لكن لا تختاري أي برامج رياضية. قبل النوم، يفضّل أن تضعي سدادات الأذن، عادة أنا لا أشخر، ولكن أريد الحفاظ على كرامتي في حال شخرت! وإذا تكلّمتُ في منامي، لا تستخدمي الأشياء التي أقولها ضدي. أظن أننا سنحسن التعامل مع هذا الموقف لو التزمنا بهذه القواعد. لدي ما يكفي

مكتبة هي و هو

من أسباب التوتر، وأسألك: كيف خطرت على ذهنكِ فكرة الادّعاء بأنكِ تعملين كمساعدة لي؟ هل يدّلُ مظهري على أنني أحتاج إلى مساعدة؟».

«لا أظن أن هناك مظهرًا معيّنًا يدلّ على أن المرء بحاجة إلى مساعِدة».

«هل سبق أن استخدمت مساعدة في الماضي؟ لا؟ والآن أخبريني هل معك فرشاة أسنان في حقيبتك، لأنني لا أشارك أحدًا فرشاتي. ولكن لا بأس في مشاركة معجون الأسنان». قال ذلك متذمرًا، وهو يذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا.

«لا تتوتر، ستراها عند العشاء».

«أراها وسط حضور خمسة عشر شخصًا! لقد بدأت هذه الرحلة على أفضل ما يكون! صار عليَّ أن أسمّي صديقتي باسمها العائلي والمرأة التي أحب بالآنسة كيونغ. هذا راؤوع كما سيقول ناشري العظيم».

«شكرًا». ردت ميّا وهي تستلقي على السرير.

«شكرًا على ماذا؟».

«على قولك إني صديقتك!.. فهذا يعني الكثير لي».

لاحظ بول أنها وضعت يديها تحت رقبتها ثم شرعت تحدق في السقف.

«في النهاية، اخترتِ النوم على الجانب الأيسر؟».

قفزت ميّا من على الوسائد وقفزت كذلك لأكثر من مرة على الجانب الأيمن من السرير قبل أن تعود إلى الجانب الأيسر.

«حسنًا، أظن أني سأفضّل النوم على جهة اليسار».

«أنتِ لستِ مجبرة على تحطيم السرير بأكمله حتى تقرّري أين ستنامين».

«لا، لكني استمتعت بهذا، وبما أننا في فترة الظهيرة، لماذا لا نراهن على من سيستخدم الحمّام أولًا؟».

هزّ بول الأمر كتفيه ليفهمها أن بوسعها استخدام الحمّام. واستغلّ

مكتبة هي و هو

الفرصة لتفريغ حقيبته ووضع ثيابه في الخزانة وإخفاء ملابسه الداخلية وجواربه تحت القمصان.

بعد نصف ساعة، ظهرت ميّا ترتدي ثوب الحمّام، وتلفّ منشفة حول رأسها.

قال بول ساخرًا: «ماذا كنت تفعلين طيلة هذا الوقت؟ هل كنت تحصين كم بلاطة في الحمام؟!».

عندما دخل الحمام، سمع ميّا تتحدث إليه من الغرفة.

«مغادرة الفندق عند الحادية عشرة، الافتتاح عند منتصف النهار، توقيع الإهداءات في الساعة الواحدة، استراحة الغداء عند الثانية والربع، ثم توقيع الإهداءات من جديد في الثانية والنصف حتى الخامسة، ثم العودة إلى الفندق في الساعة الخامسة بعد الظهر، ثم الذهاب إلى استوديو التلفزيون عند السادسة والنصف، الماكياج في السابعة، دخول الاستوديو في السابعة والنصف، نهاية البرنامج في الساعة التاسعة مساءً، وجبة العشاء ثم نهاية اليوم... «ياله من برنامج مزدحم، وأنا التي كانت تشتكي من كثرة الارتباطات عند الترويج لأحد أفلامها!»».

«ما الذي تتحدثين عنه؟» صرخ بول من الحمام.

«أقوم بواجبي كمساعدة جيدة، وأقرأ عليك مواقيت برنامجك ليوم غدٍ».

خرج بول من الحمام، مغطًّى بالمناشف.

انفجرت ميّا بالقهقهة.

«لا أرى ما يُضحك».

«تبدو كمتسوّل».

«ربع ساعة للغداء فقط؟ من يحسبونني حتى يُعاملوني بهذه الطريقة؟».

مكتبة هي و هو

«يحسبونك واحدًا من المشاهير. كان استقبال المطار مثيرًا للإعجاب، ناهيك بموظف الاستقبال، أنا فخورة بك للغاية».

«الذين انتظروني عند الخروج من هذه الطائرة كانوا أكثر من حضور حفلات توقيع الإهداءات في المكتبات. أنا متأكد أنه تمّ توظيف هؤلاء ليكونوا هناك».

«لا تكن متواضعًا جدًّا هكذا، ثم إني أتوسل إليك، ارتدي ملابسك، لأن هذا المناشف لا تناسبك».

فتح بول باب دولاب الملابس، ونظرَ إلى نفسه في المرآة.

«أنا لا أوافق، هذه المناشف تُلائمني تمامًا، وربما ينبغي أن أرتديها في البرنامج. ياه، بدأت أشعر بالرهبة».

اقتربت ميّا من بول، دققت في محتويات الخزانة، التقطت سروالًا رماديًّا، وسترة سوداء ثم أخذت قميصًا أبيض من الرف.

قالت: «خذ، البس هذه»، وناولته تلك القطع، «هكذا سوف يكون مظهركَ جيدًا للغاية».

«ألا تظنين أن الأزرق سيكون أفضل؟».

«لا، ليس مع سحنتك، من الأفضل أن يكون القميص أكثر شحوبًا من وجهك، بعد ليلة واحدة أو ليلتين من الراحة سنرى ما إذا كان اللون الأزرق يناسبك».

فتحت حقيبتها ولاحظت أن الملابس القليلة التي حملتها معها لم تكن مكويّة.

«سأظل هنا وأطلب وجبة في الغرفة». تنهدت، وتركت كل شيء على الأرض.

سأل بول بنبرة مفخَّمة: «كم من الوقت لدينا، آنسة غرينبيرغ، قبل العشاء؟».

مكتبة هي و هو

«ساعتان، سيد بارتون. ولا تستعذب هذه اللعبة الصغيرة وتعتبرني بالفعل مساعدتك، لأنك قد تتلقّى استقالتي من هذه الوظيفة قبل أن تبدأ».

«ارتدي ملابسكِ، وأريدكِ أن تكوني أكثر احترامًا إزاء مديركِ».

«إلى أين نحن ذاهبان؟».

«لاكتشاف سيول، فهذا هو الشيء الوحيد الذي تبادر إلى ذهني لكي نبقى يقظين حتى موعد هذا العشاء اللعين».

نزلا إلى اللوبي وبمجرد أن رأتهما الآنسة «باك» يغادران المصعد، قفزت لتقديم خدماتها.

أوضح لها بول هامسًا في أذنها عمّا يريد أن يفعله، فقامت بإحناء قامتها وفتحت الطريق.

استغربت ميّا السير على الأقدام في شارع غير سياحي، وتضاعفت دهشتها عندما دخلت الآنسة «باك» مركزًا تجاريًّا، في حين تبعها بول بطاعة، وكأنها دليله الذي عليه أن يستجيب له، ثم تسلق السلالم الكهربائية.

سألت ميّا: «هل يمكنني أن أعرف ماذا نفعل هنا؟».

«لا، لا يمكنكِ». أجاب بول.

حدّدت الآنسة «باك» إحدى الواجهات الزجاجية في الطابق الثالث. ومكثت عند مدخل المحل على أن يناديها بول لو احتاج إليها. غامر بول بالدخول إلى المحل ولحقت به ميّا.

«فكرة لطيفة أن تهدي فستانًا إلى كيونغ لكن من المؤكد أنها كانت ستفضّل أن تشتري لها هذا الفستان من باريس».

«أعرف، لكن لم أفكر في هذا!».

«سنحاول إصلاح هذا الخطأ، هل تعرف قامتها أو قياساتها؟».

مكتبة هي و هو

«متطابقة مع قياساتكِ».

«صحيح؟ «تخيلتها أقصر قامة مني وأكثر بدانة».

ألقت ميّا نظرة على المحل وتوجّهت نحو أحد الأرفف.

«خذ، هذه التنورة جميلة جدًّا، وهذا السروال أيضًا، وتلك البلوزة كذلك، وهذه أيضًا، السترات الثلاث في غاية الكمال، وفستان السهرة هذا يترك انطباعًا جميلًا».

«هل كنتِ مصممة أزياء في حياة أخرى؟». سأل بول، وهو ينظر إليها مندهشًا من السرعة التي اختارت بها ميّا تلك الملابس.

«لا، إنه مجرد ذوق».

أمسك بول بجميع القطع التي اختارتها ميّا قبل أن يتوجه إلى غرفة القياس.

قال وهو يسحب الستار: «إذا كنت لا تمانعين...».

قالت ميّا وهي تمسك بقطع الملابس: «يمكن للمساعِدة أن تفعل كل شيء لتبرهن على كفاءتها!».

دخلت غرفة القياس، أسدلت الستارة لتفتحها بعد لحظات وهي مرتدية الزي الأول، دارت حول نفسها كأنها عارضة أزياء وعلى وجهها ابتسامة مصطنعة. فقال بول:

«جيد، لنجرّب الزي التالي».

فعلت ميّا على مضض.

أمام ارتباك بول، رجعت ميّا إلى الخلف ثم ظهرت وهي ترتدي سترة أخرى. التقط فستانًا أسود أعجبه ثم مرره من فوق الستار إلى ميّا لقياسه.

قالت له ميّا: «إنه ضيّق قليلًا على ما أظن».

«جربيه وسنرى».

اعترفت ميّا وهي تخرج من غرفة القياس: «إنه رائع».

مكتبة هي و هو

«أعرف، لديَّ ذوق رفيع».

مع قياس جديد، عثر بول على الزي المثالي. بينما كانت ميّا ترتدي ملابسها، ذهب إلى صندوق الدفع وسدد ثمن مشترياته، ثم خرج حيث الآنسة «باك» عند مدخل المتجر. عندما خرجت ميّا، لاحظت أنهما ابتعدا عنها بمسافة.

من يحسب نفسه؟ حفنة صغيرة من القراء المعجبين به في المطار جعلته يشعر بتضخم في الذات. إذا كنتَ تريد أن تلعب دور النجم الكبير، فأنت لا تعلم يا عزيزي مع من تورّط نفسك. هكذا فكرت والتحقت بهما.

«هل سنعود إلى الفندق؟».

«هل يصعب عليك للغاية أن تنطق بكلمة «شكرًا»؟».

«شكرًا». قالها وتوجّه نحو السلالم الكهربائية.

قالت ميّا: «هل تأمل أن تنجذب مترجمتك لك بفستانين؟».

«وبتنورة، وثلاث كنزات، وسروالين وبلوزتين».

«كان يكفي أن تهديها نموذجًا مصغّرًا لبرج إيفل، وسيكون ذلك دليلًا على أنك لم تفكّر فيها في اللحظة الأخيرة كما فعلت الآن».

عادا إلى غرفتهما من دون أن يتبادلا الحديث. تمدّد بول إلى جهة اليمين من السرير واضعًا يديه خلف رأسه.

هتفت ميّا: «حذاؤك!».

«حذائي لم يمس حتى الملاءة».

«انزعه على أيّ حال».

«متى سيأتون لاصطحابنا؟».

«لكي تعرف عليك أن تنهض وتطالع جدول مواعيد مقابلاتك».

«من المضحك أن تستخدمي هذا المصطلح، فهو يخصّ برامج الترويج والإعلان».

مكتبة هي و هو

«وهل يفاجئكَ أن تستخدم نادلة مثل تلك المفردات!».

«أنا الذي يفترض أن أكون متوترًا لا أنتِ».

«أنا، أنا، أنا، لا يوجد غيرك أنت منذ أن وصلنا. إذًا لتتوتر وحدك واذهب للعشاء وحدك أيضًا. علي أيّ حال، ليس لدي ما أرتديه».

«لديكِ خيارات عديدة الآن، لأن كل ما اشتريناه هو لكِ. هل تخيلتِ أنني أنوي إغواء كيونغ بإغداق هذه الهدايا عليها؟ هذه صفات شخص مبتذل، ماذا تظنينني؟».

««أظنك مثل ديفيد...». هذا لطف كبير منك، وأعترف بذلك، لكن لا يوجد أي سبب لذلك...».

«بل يوجد سبب، فليس معك ما ترتدينه كما قلت للتو، فقد تركتِ كل أغراضكِ في باريس، ولا يمكن أن ترتدي الملابس نفسها طوال فترة إقامتكِ».

«سأشتري ما أحتاج إليه غدًا».

«لقد ارتكبت حماقة بشراء تذكرة الدرجة الأولى الباهظة الثمن. ومددتِ لي يدك لتساعديني، وكانت يدي رطبة! وقمتِ بدعمي في السيارة أمام ذلك الناشر الذي لم يكفّ عن الكلام، ولو لم تكوني معي، لأصبت بانهيار عصبي في هذا الجناح الكئيب في هذا الفندق الكئيب، وفي هذه المدينة الواقعة في أقاصي الأرض. وهذا أقل ما يمكن أن أفعله. إذًا ومن دون شروط أو قيود وبشكل محترم جدًّا سنعلّق هذه الملابس في خزانة الملابس، وأقترح عليك ارتداء الفستان الأسود لأمسية السفير».

«لكنني سأسدد ثمن ما اشتريته لأنها كلّفتكَ مبالغ باهظة».

«لستُ أنا مَنْ ينفق هذه المبالغ بل كريستونيلي الذي دفع لي سلفة كبيرة لأوافق على السفر».

حملت ميّا بعض الأغراض إلى الحمّام.

«سأدعك ترتب البقية، وأذهب لأجهز نفسي».

مكتبة هي و هو

عندما خرجت من الحمّام بعد مرور نصف ساعة، وجدها بول أكثر جمالًا مما كانت عليه في غرفة القياس، وكانت بالكاد قد وضعت مساحيق التجميل.

«ما رأيكَ؟» سألته.

«مذهلة...! مَقْبُول، يناسبك تمامًا».

«(مَقْبُول)... ماذا يقصد بقوله هذا؟ هل هذه التنورة قصيرة جدًّا؟».

«أنت رائعة!.. أظن أن طولها مناسب».

«هل تعلم عدد الرجال الذين سيهرولون من أجل أن يكونوا معي في هذا الجناح، وأنت تقول عن مظهري (مَقْبُول)؟ وفتحة الصدر، هل تراها واسعة؟».

«سنتيمتر واحد إضافي وستُحدثين شغبًا في المطعم... لا، هي ملائمة، أؤكد لك أن هذا يناسبك تمامًا».

«انتظر لترى كيف ستتصرف مترجمتك عندما تراني، وحينها ستعرف من منا الأجدر بقول (مَقْبُول)... ما دمتَ أنت تقول ذلك، فأنا أثق بك».

«هل قلتِ شيئًا؟».

«لا، أبدًا».

رفع بول لها إبهام الاستحسان ثم انسحب وذهب ليحضِّر نفسه استعدادًا للخروج.

* * *

أحسّ بول بنبضات قلبه تتسارع عند دخوله المطعم. وكانت ميّا، قبل مغادرة الفندق، قدّمت له بعض النصائح حول كيفية التصرف في مثل تلك الأحوال. لا تفعل شيئًا قد يزعج كيونغ أمام مديريها، دعها تتصرّف هي أولًا ثم تخيَّر الوقت المناسب للتفاعل معها. وإذا جلست إلى جوارها، ولعدم قدرتك حينها على لمس يدها، تكفي لمسة من ركبتك لركبتها لطمأنتها.

مكتبة هي و هو

وفي حالة عجزه عن الاقتراب منها من دون أن يثير الشبهات، سيقول بول كلمة صغيرة إلى ميّا لتمررها إلى كيونغ في نهاية العشاء.

تبادل بول النظرات مع ميّا عندما اتخذ الضيوف أمكنتهم حول الطاولة، فلم تكن كيونغ من بين المدعوين.

تم الاحتفاء بـ«بول» بتبادل الأنخاب على شرفه. واقترح مدير التسويق في دار النشر الكورية جمع أعماله في طبعة تستهدف الطلبة. وكان يريد أن يحصل على موافقة بول لإضافه تمهيد يشرح فيه كيف قام بعمله لمعالجة مثل هذه القضية التي تمثّل تحديًا كبيرًا لصعوبتها الشديدة، ولماذا. تخيّل بول أن مدير التسويق يسخر منه، خصوصًا أنه لا يجيد التكلم بالإنجليزية وربما لم يستطع أن يعبّر بدقة عن المعنى الذي أراده كما ينبغي لذلك آثر عدم الإجابة عليه. قدّم المسؤول عن الدعاية غلاف روايته الأخيرة، واضعًا عليها، بكل فخر، شريطًا باللون الأحمر يشير إلى مبيعات الرواية التي وصلت إلى: 500 ألف نسخة. «إنه رقم قياسي بالنسبة لمؤلف أجنبي»، أضاف الناشر معلّقًا. فيما أكّد مدير المكتبة أنه لا يمرّ يوم إلا ويسأل القراء عن روايته مرارًا. انتظرت الآنسة «باك» دورها لإبلاغه بقائمة المقابلات. تفاوضت نشرة الأخبار التلفزيونية على إجراء حوار حصري معه لكنها سرعان ما تحرّرت من هذا الالتزام، وقرّرت صحيفة «شوسان» اليومية إجراء مقابلة معه، وكذلك مجلة «أيل» الكورية، وسيجري معه راديو «ك.ب.س» مقابلة على الأثير لمدة ساعة، وثمة مقابلة مع أحد صحفيي «موفي ويك»، ولقاء آخر أكثر صعوبة مع الصحيفة اليومية «هانكيريه» المعروفة بمواقفها غير المحافظة، والتي تعتبر كذلك الصحيفة الوحيدة التي تدعم سياسة الحكومة الانفتاحية مع كوريا الشمالية. وحين سأل بول لماذا تريد هذه الصحيفة مقابلته، انفجر جميع الحاضرين بالضحك. لم يكن مزاج بول رائقًا للضحك، وبدا مختلفًا عن الروح المرحة السائدة بين الموجودين.

مكتبة هي و هو

في هذه اللحظة تدخّلت ميّا لإنقاذه فطرحت جملة من الأسئلة حول سيول، وحالات الطقس طوال فصول السنة، والأمكنة الواجب زيارتها، وأثارت نقاشًا حول السينما الكورية مع ناشر بول الذي أُعجب بإلمامها الكبير بهذا المجال. ثم استغلّت جلوسها بالقرب من الناشر لتهمس في أذنه بأنه سيكون من الأفضل تقليص مدة هذه الأمسية لأن السيد بارتون يشعر بالإنهاك والتعب.

وعند العودة إلى الفندق، ذهب بول إلى السرير مباشرة. عدّل الوسائد المطروحة التي تفصل بينه وبين ميّا وأطفأ المصباح الجانبي من جهته قبل خروجها من الحمّام.

استقرّت ميّا تحت الملاءات وانتظرت لحظات قبل أن تسأل:

«هل نمت؟».

«لا، كنت أنتظر أن تطرحي هذا السؤال لأنام».

«أنا متأكدة أنها ستتصل بك غدًا».

«من أين لك هذا التأكيد، وهي حتى لم تترك لي رسالة في الفندق».

«لقد أخبرتك في رسالة البريد الإلكتروني بأنها ستكون مشغولة جدًّا، وأمر طبيعي أن يحول انهماكنا الكامل في العمل دون الاهتمام بأي شيء آخر».

نهض بول ورفع رأسه عن الوسادة، ونظر نحوها:

«هل ترك رسالة قصيرة أمر صعب؟ هل تم تعيينها وزيرة للثقافة؟ ثم لماذا تلتمسين لها الأعذار؟».

قالت ميّا وقد قامت هي الأخرى: «أشعر بالحزن حين أراك تعيسًا، ولا أعرف لذلك سببًا، أحزن هكذا من دون تفسير».

«مراوغتي وعدم الرد على أسئلتي صارا هوسًا عندك».

«اسكت».

مكتبة هي و هو

وبعد أن ساد الصمت تقارب وجهاهما وما تلا ذلك كان غاية في الرقة.

* * *

سألها بول: هل قبلتني بدافع الشفقة؟

«هل سبق لك أن تلقيت صفعة مباشرة بعد قبلة؟».

«لا، ليس بعد».

ألصّقت ميّا شفتيها على شفتيه وتمنّت له ليلة هانئة. بعدها، رتّبت الوسادات وأطفأت المصباح الذي بجانبها.

سأل بول في الظلام: «ما حدث أيُحسب أم لا يُحسب؟».

«أجابت ميّا: نَمْ!».

مكتبة هي و هو

الفصل 16

استمتعت ميّا كثيرًا بلعب دور المساعدة الممتازة وكانت تردّد كلما خاطبت بول تعبير «السيد بارتون» وقد كرّرت ذلك بشكل مبالغ فيه حدّ الإفراط. وكان بول يرمقها بنظرة نارية في كل مرّة تفعل فيها ذلك.

انسحبت ميّا أثناء افتتاح المعرض عندما بدأ يلمع بريق فلاشات عدسات الكاميرات.

مثّلت جلسة توقيع الرواية مرحلة فارقة في حياة بول.

شكّل ثلاث مئة شخص طابورًا تجاوز بوابة المكتبة. وحين رأت ميّا هذا الاستقبال الكبير تذكّرت حياتها المهنية، وكريستون الذي كان عليها الاتصال به منذ فترة طويلة، فمن المؤكد أنه قلق عليها. وشرعت في البحث عن كذبة تخفي بها عنه مكان وجودها الحالي.

أما بول فكان يجلس وراء مكتب، ولا يكف عن الابتسام وإلقاء التحية، وكان يجد صعوبة كبيرة في كتابة أو حتى فهم أسماء القرّاء الذين أرادوا منه أن يوقع لهم إهداء. وكان صاحب المكتبة قد انحنى عليه

مكتبة هي و هو

وهمس في أذنه مقدمًا له اعتذاراته لأن المترجمة لم تتمكن من الحضور بسبب مرضها.

همس بول في أذنه: «كيونغ مريضة؟».

«لا مترجمتك هي المريضة».

«نعم فهمت! لكن هي التي سألتك عنها للتو؟».

«لكن مترجمتك اسمها أيون جيونغ».

وأنهى تدافع مفاجئ محادثتهما، وأبعد المسؤول عن الأمن بعض المعجبين، وأمر الجمهور الموجود بإعادة تشكيل الطابور أمام المنصة.

تمّ تمديد استراحة الغداء بأمر من ميّا، فالسيد بارتون كان بحاجة لالتقاط أنفاسه. ورافق رجال الأمن بول إلى الكافيتريا المحجوزة له بالكامل. وأمضى وقته يبحث عن صاحب المكتبة من دون جدوى.

سألت ميّا: «تبدو قلقًا؟».

«لم أعتدّ هذا الجمهور الغفير، وأشعر بالرهبة والإنهاك».

«لا عجب في ذلك. لكنك لم تتناول أي شيء من هذا الطعام، عليك أن تأكل شيئًا لتستعيد قوتك وتستطيع الاستمرار في جولة التوقيعات الثانية. إنه لأمر رائع ما يحصل معك الآن، فالقرّاء سعداء للغاية لرؤيتك، وهذا شيء مدهش ومؤثّر جدًّا، أليس كذلك؟ أُدرك أن هذا يرهقك، ولكن حاوِلِ الصمود وعليك أن تكثر من الابتسام. حبّ الجمهور هو أجمل مكافأة، وهذا يمنح معنى لعملنا، ولوجودنا، ولكل ما نقدّمه للآخرين. فلا شيء يماثل السعادة الغامرة التي تتحقّق لنا حين نشارك هذه الجماهير فرحتها، أليس كذلك؟».

«هل سبق أن قمتِ بالعديد من حفلات التوقيع؟».

«ليس هذا ما أردت منك أن تفهمه».

«على كل حال، لم يحدث لي أن شاركت في شيء كهذا».

«لكن عليك أن تعتاد ذلك».

«لا أظن، فأنا لا أفضل هذه الأمور. لم أغادر كاليفورنيا فرارًا من هذا الأمر لأعيشه في الخارج. ولا أقول إنه أمر لا يؤثّر فيّ أو يُفرحني، ولكنني لا أملك مقومات النجوم».

«ستمتلك هذه المقومات سريعًا وتتذوّق طعم مثل تلك النجومية، صدّقني».

«أنا مقتنع بالعكس». أجاب بول بنبرة متجهّمة.

سألت ميّا بنبرة جادة: «لم تتلقَّ بعد أخبارًا من مترجمتك؟».

«ليس بعد».

«قريبًا ستزوّدك بأخبارها».

رفع بول رأسه.

«بخصوص الليلة الماضية...».

قاطعته ميّا وهي تنهض: «حان الوقت للرجوع إلى جمهورك الذي نفد صبره».

رافق حرّاس الأمن بول إلى طاولة التوقيعات في حين بقيت ميّا في الكافيتريا.

بعد لحظات من ذهابه، اندفعت إحدى الشابات المعجَبات وخطفت الكأس التي شرب منها بول.

تبدو غير مستعد جيدًا لمثل هذا النجاح، وكأنك أعزل لا تستطيع مواجهته، وتبدو صادقًا للغاية حين أكّدت أنك لا تريد الشهرة، وشاءت الظروف أن تلتقي بي أنا... أنا من بين كل الناس... فلربما كان اختلافنا هو السبب وراء مثل هذا اللقاء... هكذا فكرت ميّا.

***

بدأت المكتبة تفرغ من الحضور شيئًا فشيئًا. التقط القارئ الأخير

مكتبة هي و هو

صورة ذاتية (سيلفي) أخرى مع بول الذي رسم على وجهه عند التقاطها آخرَ ابتساماته لهذا النهار. كان منهَكًا إلى درجة أنه عجز تقريبًا عن النهوض من كرسيه.

قال صاحب المكتبة الذي جاء إليه ليشكره: «هذا ثمن الشهرة».

كانت ميّا تنتظره بالقرب من بوابة الخروج برفقة الآنسة «باك».

سأل بول: «مَنْ تكون السيدة «جونك» التي حدثتني عنها سابقا؟».

«يون جيونغ، صحّح صاحب المكتبة اسمها. إنها مترجمة كتبك كما قلت، وأنت مدين لها ببعض ما حقّقته من نجاح. لم يسبق لي أن قابلتها ولكني أعترف ببراعتها في الترجمة».

احتج بول: «كيونغ! اسم مترجمتي كيونغ، أنا أعرف ما أقول».

«من الممكن أنهم أخطأوا في كتابة اسمها بالإنجليزية، فلغتنا مليئة بالتعقيدات، ولكن أؤكد لك أن اسمها يون جيونغ، وهو مكتوب على أغلفة جميع كتبك، باللغة الكورية طبعًا. يؤسفني أن لا تكون حاضرة بيننا اليوم، كانت ستفتخر بوجودها معك».

«ما الذي جرى لها؟».

«أظن أنها أصيبت بإنفلونزا شديدة». ثم تحرّك حركة تشير إلى أنه حان وقت المغادرة، وأضاف: «هيا فنهارُك لم ينتهِ بعد، وناشرك سيغضب مني لو أبقيتك معنا مدة أطول».

***

أعادتهم سيارة ليموزين إلى الفندق. جلست الآنسة «باك» في المقعد الأمامي. ولم ينبس بول بكلمة وهو ما أشعر ميّا بالقلق.

همست ميّا: «هيّا، يزعجني هذا الصمت. أخبرني ما الذي يحصل».

ضغط بول على زر رفع زجاج السيارة الذي يفصل بينهما وبين السائق والآنسة «باك».

مكتبة هي و هو

«يمكنني تَعَوُّدُ هذا وتَذَوُّق طعم النجومية».
«بول!».
«إنها مريضة بإنفلونزا شديدة على ما يبدو».
«خبر جيد بحدّ ذاته. حسنًا، ليس خبرًا جيدًا لها، ولكنه يفسّر غيابها وصمتها. كم من الوقت يمكن أن تستمر مثل تلك الإنفلونزا الشديدة؟ متى أصيبت بها؟».
«من أين لي أن أعلم؟».
«ظننتُ أنك سألتَ عن ذلك، فلا بدّ أن تقلق بشأنها ما دمت قد عرفت أنها مريضة».
«لا لم أفعل. صاحب المكتبة هو الذي قال ذلك، كان من المفترض وجودها اليوم».
مكتبة
«وماذا قال لك أيضًا؟».
«لا شيء».
«دعنا إذًا نتفاءل ونأمل أن تشفى من مرضها وتقف على قدميها خلال بضعة أيام... ربما لها قدمان كبيرتان، بل وضخمتان...».
«تتمتمين، أليس كذلك؟!».
«أنا لا أتمتم أبدًا، بل أنا أجهل تمامًا ماذا تعني كلمة تمتمة».
استدارت ميّا إلى نوافذ السيارة الزجاجية وأخذت تشاهد المناظر الطبيعية.
«لتنسَ كيونغ، حتى المساء على الأقل... انسَها هكذا بكل بساطة. لديك برنامج مهم ينتظرك ويجب أن تكون بكامل تركيزك».
«لا أريد الذهاب إلى البرنامج، أنا اكتفيت، أرغب في العودة إلى الفندق، وأن أطلب وجبة عشاء. آكل وأنام».
««وأنا أيضًا...». لا تتصرف كطفل، هذا الأمر يتعلّق بمسيرتك المهنية، تحامل على نفسك، ولتكن محترفًا».

مكتبة هي و هو

«وافقنا أن تلعبي دور المساعدة وليس دور المستبدة!».

واجهته ميّا وقد أحست بالإهانة: «أتظن أني ألعب؟».

«عذرًا، إنها الرهبة، أقول أي كلام، وسيكون من الأفضل أن أصمت».

«هل تعلم ما قالته سارة بيرنار(1) يومًا لممثلة شابة تتفاخر بأنها لا تعرف الرهبة؟ «لا تقلقي يا صغيرتي؛ الرهبة ترافق الموهبة»».

«هل أعتبر هذا مدحًا؟».

«اعتبره كما تشاء، خذْ حمامًا عندما نصل إلى الفندق فسيفيدك ذلك كثيرًا. ثم غيّر ملابسك، ولا تفكّر إلّا في شخصياتك الروائية، وأصدقائك، والأشياء التي تطمئنك. لا يمكنك تجاهل هذه الرهبة، ولكن يمكنك تجاوزها. فهي ستختفي بمجرّد أن تدخل مكان التصوير».

«وكيف تعرفين كل هذا؟» قال بول بصوت ينمّ عن تشوشه الكبير وهو ينفخ.

«أعرفه وحسب. ثق بي».

* * *

استرخى بول في الماء المكسوّ برغوة الصّابون طويلًا. ارتدى البذلة والقميص الأبيض الذي اختارته ميّا. وكانت قد قالت له إن عدسات الكاميرا لا تفضّل اللون الأزرق، قالت له ثم أضافت على الفور إن الرجال الذين يرتدون ملابس زرقاء اللون تقل جاذبيتهم على شاشة التلفزيون. وهذا الأمر يعرفه الجميع. طلبت وجبة خفيفة نحو الساعة السادسة وأجبر بول نفسه على الأكل، ثم شرعت ميّا تلقّنه مقدمة قصيرة يشكر فيها جمهوره الكوري من القرّاء، وينقل لهم تأثّره للغاية بحفاوة الاستقبال، وكيف أن سيول مدينة رائعة حتى لو لم تتسنَّ له بعدُ فرصة

---

(1) سارة برنار Sarah Bernhardt (1844 - 1923) واحدة من أشهر ممثلات المسرح الفرنسي. (المراجع).

مكتبة هي و هو

زيارة معالمها، وأنه سعيد بوجوده هنا بينهم. أخذ بول يردّد درسه كي لا ينساه وعيناه مسمّرتان على ساعة التلفزيون التي تعيّن الوقت بالدقائق والثواني، وكلّما مرّت هذه الدقائق، ازداد قلقه الذي يطوّقه إلى درجةٍ يتلوّى فيها بطنه من شدة الضغط.

***

وفقًا لجدول مواعيده، ركبا الليموزين في الساعة السادسة والنصف تمامًا.

في منتصف الطريق، خبط بول على اللوح الزجاجي الذي يفصلهما عن السائق، ورجاه أن يتوقف. هرع خارج السيارة وانحنى ليتقيأ وجبته الخفيفة. ساعدته ميّا وأمسكت به من كتفيه، وعندما هدأت التشنجات، أعطته منديلًا وعلكة.

«راؤوع». قال بول وهو ينهض ثانية. «يد رطبة في الطائرة، وتقيؤ على الرصيف، هكذا يكون البطل المثالي الخارق. لقد ربحت الجائزة الكبرى التي تقدَّم حين تترك حياتك اليومية المعتادة».

«المهم أن بذلتك لم تتسّخ. هل تشعر بالتحسن؟».

«لم أشعر بالتحسن من قبل مثلما أشعر به الآن!».

«لم تفقد حسّ الدعابة، وهذا هو المهم. هل نذهب؟».

«نعم لنذهب، فلا يجوز لنا أن نتأخر حين يكون المذبح هو مقصدنا».

«انظر في عينيَّ... قلت في عينيَّ! هل تتابع أمك التلفزيون الكوري؟».

«إنها متوفاة».

«آسفة. وأختك؟».

«أنا ابن وحيد».

«هل لديك أصدقاء كوريون؟».

«لا أظن».

مكتبة هي و هو

«ممتاز! مترجمتك كيونغ طريحة الفراش بسبب الإنفلونزا، وعندما نُعاني من هذا المرض، يكفي ضوء مصباح خفيف لأن يضاعف صداعنا النصفي، وهكذا لن تتمكن من مشاهدة مقابلتك على شاشة التلفزيون، ولن يتابعه كذلك أي شخص آخر تحبّه أو تعرفه. إذًا لا يهمنا هذا البرنامج، ولن نهتم أبدًا إن ظهرت فيه كأفضل ما يكون أو كنت سيئًا، بالإضافة إلى ذلك كلامك سيكون مترجَمًا!».

«إذًا لماذا نذهب إلى البرنامج؟».

«من أجل «الشو»، من أجل قرّائك، لكي تحكي ما حدث هناك في إحدى كتبك ذات يوم. حين تدخل إلى الاستوديو، اعتبر نفسك إحدى شخصياتك الروائية، حاول أن تشبه تلك الشخصيات وستكون رائعًا».

نظر بول إلى ميّا طويلًا.

«وأنتِ، هل ستشاهدينني على الشاشة؟».

«لا!».

«كذّابة».

«ابصق هذه العلكة فقد وصلنا».

***

ظلت ميّا إلى جانب بول أثناء وضع المكياج له، وقد تدخّلت مرتين ووجَّهت عاملة الماكياج بضرورة ألا تخفي التجاعيد الصغيرة حول عينيه.

عندما جاء مدير الاستديو ليرافقه، تبعتهما ميّا في الكواليس، وقبل أن يدخل أسدت له نصيحتها الأخيرة.

«لا تنسَ، ليس المهم مضمون ما تقوله ولكن الأهم الطريقة التي تقول بها هذا المضمون. على شاشة التلفزيون، وقع الكلمات يطغى على معانيها. ثق بما تقوله لك واحدة من معجبات البرامج الحوارية».

مكتبة هي و هو

توهّجت مصابيح الإضاءة في المكان. دفع مدير الاستوديو بول الذي تقدّم إلى مكان التصوير ذاهلًا.

دعاه مقدّم البرنامج إلى الجلوس على المقعد المقابل له، بينما اقترب منه عامل التقنية لتعليق سماعة الأذن. دغدغ تركيب السماعة بول وجعله يتلوى في مكانه ما اضطر مهندس الصوت أن يعيد تجهيز الصوت ثلاث مرات.

«لقد فعلناها!» تنهدت ميّا من وراء الكواليس عندما رأت بول يستعيد وهجه.

سمع بول صوت المترجم وهو يقدّم نفسه إليه من خلال سماعة الأذن. ستكون الترجمة فورية، ورجاه أن يستخدم الجمل القصيرة وأن يفصل بينها بفترات زمنية ملائمة. أومأ بول بهزٍّ رأسه موافقًا، وهو ما اعتبره مقدم البرنامج تحيةً وجهها بول له فحياه بدوره.

همس المترجم من غرفة التحكم: «سوف نبدأ الحوار قريبًا، أنت لا تراني، ولكنني أراك على الشاشة أمامي».

«حسنًا». أومأ بول وقلبه يدقّ بشدة.

«لا تجبني سيد بارتون، ولكن قمّ بالرد فقط على السيد «تاي هون»، وعليك متابعة شفتيه، وصوتي فقط هو الذي ستسمعه، ولن يكون بوسع مشاهدي التلفزيون سماعكَ».

«من السيد «تاي هون»؟».

«مقدّم البرنامج».

«حسنًا».

«هل هو أول ظهور لك على شاشة التلفزيون؟».

هزّ بول رأسه من جديد فهزّ «تاي هون» بدوره رأسه على الفور.

«نحن على الهواء الآن».

مكتبة هي و هو

ركّز بول في وجه «تاي هون».

«مساء الخير، يسرنا أن نرحّب في برنامجنا بالكاتب الأميركي بول بارتون. ونأسف كثيرًا لعدم حضور السيد موراكامي هذا المساء حيث يعاني من نزلة إنفلوانزا، ونتمنّى له الشفاء العاجل».

«هذا طبيعي، فكل الشخصيات المهمة بالنسبة لي يصابون بالإنفلونزا في الوقت الحالي. لا تترجم هذا من فضلك»، تابع بول.

خلعت ميّا سماعة الأذن خاصتها، وتركت الكواليس، طالبة من مدير الاستوديو مرافقتها إلى غرفة السيد بارتون المخصصة للضيوف.

بعد لحظات من التردّد، استأنف مقدم البرنامج:

«السيد بارتون، كتبك تلقى نجاحًا عظيمًا في كوريا. هل يمكنك أن تشرح لنا دوافعك في تبني قضية شعب شمال كوريا؟».

«معذرة!».

«ألم تفهم ترجمتي؟ سأله الصوت الذي ينصتُ إليه من سماعة الأذن».

«بلى، لقد فهمت ترجمة السؤال تمامًا، ولكني لم أفهم السؤال نفسه».

سعل مقدم البرنامج ثم تابع.

«عملك الأخير مؤثّر للغاية، أنت تصف حياة أسرة تقاوم القمع المنظَّم الذي تمارسه دكتاتورية نظام «كيم جونغ أون» بدقّة تثير الدهشة باعتبارك كاتبًا أجنبيًّا. كيف حصلت على الوثائق اللازمة لتكتب ذلك؟».

تمتم بول للمترجم: «أظن أن لدينا مشكلة».

«ما المشكلة؟».

«لم تتوفّر لي فرصة قراءة رواية موراكامي الأخيرة، وأظن أن السيد «تاي هون» قد أخطأ المؤلف الذي يتحدّث معه الآن، لا تترجم هذا أيضًا».

مكتبة هي و هو

«لم أكن أنوى ترجمته، وأنا لا أفهم ما تقوله لي».

«يا إلهي! لم أكتب أي شيء أبدًا عن دكتاتورية كوريا الشمالية!» تنهّد بول وقد أبقى على وجهه ابتسامة مفتعلة.

ولأن مقدّم البرنامج لم يصله أي رد، اعتذر معلنًا عن وجود عطل تقني سرعان ما سيتمّ حلّه.

«سيد بارتون لا المكان ولا الزمان يسمحان بالمزاح»، استأنف المترجم، «نحن على الهواء مباشرة، أرجو أن تجيب عن الأسئلة بمزيد من الجدية، وظيفتي على المحك، ولو واصلت مثل هذا السلوك سوف أطرد من عملي. سأضطر لاستخدام ميكروفوني وأقول شيئًا ما للسيد «تاي هون»».

«حسنًا، قل له بداية إني أحييه ثم نبّهه إلى خطئه، وهذا سيكون الشيء الوحيد الذي يجب عليك القيام به».

«أنا واحد من قرّائك الأوفياء، ولست قادرًا على تفسير تصرفكم».

«فهمت، هل هذه هي الكاميرا الخفية؟!».

«أنت أمام الكاميرا مباشرة... هل أنت ثملٌ؟».

نظر بول إلى العدسة التي تبرق بالأحمر في الأعلى. وبدا أن السيد «تاي هون» قد نفذ صبره. فقال بول:

«أشكر قرّائي الكوريين، وأريد أن أقول لهم إنني تأثّرت للغاية بحفاوة الاستقبال، سيول مدينة رائعة حتى لو لم تتسنَّ لي بعد فرصة زيارة معالمها، وأنا سعيد بوجودي هنا بينكم».

سمع بول المترجم يتنفس الصعداء وهو يترجم كلماته من دون انتظار.

فقال «تاي هون»: «رائع أظن أننا أصلحنا عطل الصوت. لذلك، سأعيد طرح سؤاليَّ الأولين على مؤلفنا الذي سوف يجيبنا هذه المرة».

مكتبة هي و هو

وبينما كان مقدم البرنامج يتكلّم، تمتم بول للمترجم:

«بما أنني لا أفهم شيئًا مما يقوله لي، وبما أنك قارئ وفيّ لعملي، فإني سأتلو عليك وصفة طبق «يخنة لحم البقر» التي يعدّها جزّاري في باريس، وأنت ستجيب عن أسئلة السيد «تاي هون» بالنيابة عني».

«يستحيل أن أفعل شيئًا كهذا». همس المترجم في سماعة الأذن.

«هل تريد أن تتمسّك بوظيفتك أم لا؟ فعلى شاشة التليفزيون، وقع الكلمات يطغى على معانيها، لا تقلق، سوف أجبر نفسي على الابتسام.

وسار البرنامج على هذا النحو. يقوم المترجم بترجمة أسئلة مقدم البرنامج إلى بول وهي أسئلة تخص كتبًا لم يكتبها هذا الأخير وتتعلّق موضوعاتها بشكل حصري بالأحوال المعيشية لمواطني كوريا الشمالية، ثم يردّ بول الذي لا تفارق الابتسامة محياه بأي كلام يخطر على باله مستخدمًا جملًا قصيرة يفصل بينها بفترات زمنية ملائمة. ولأن المترجم عجز عن ترجمة هذا الكلام بحيث يكون له معنى مفهوم صار هو نفسه من يقدّم الإجابات وهكذا أجاب هو عن الأسئلة المطروحة على بول، وقد فعل ذلك على نحو رائع. استمرّ الكابوس ستين دقيقة ولم يَرْتَب أيٌّ أحد في أي شيء.

أثناء خروجه من مكان التصوير، بحثّ بول عن ميّا فرافقه مدير الاستوديو إلى الغرفة التي هي فيها.

«كنت رائعًا»، أكدت له.

«من دون شك، شكرًا على الوفاء بوعدكِ».

«أي وعد؟».

«عدم مشاهدة البرنامج».

«كم كانت جميلة ملاحظتك حول الإنفلونزا، وآسفة لعدم حضور موراكامي، أعلم أنكَ كنت ستفرح بمقابلته».

«لم أفكّر بما كنتُ أقوله».

مكتبة هي و هو

«هل نعود؟ فأنت لست الوحيد الذي تعرّض للإنهاك خلال هذا اليوم!» ثم أضافت وهي تغادر الغرفة: «غدًا سأستقيل من هذه الوظيفة».

سارع بول خلفها وأمسكها من ذراعها.

«أنا لم أعنِ كلمةً مما قلت».

«لكنك قلت ما قلته على أية حال».

«حسنًا، ما قلته كان حماقة من جانبي ولم تكن الحماقة الوحيدة التي تلفّظت بها هذا المساء».

«كنت ممتازًا بالفعل».

«إذا كنت قد نجحت، فهذا بفضلكِ أنتِ. أشكركِ من كل قلبي، وأنا صادق تمامًا في ما أقول».

«عفوًا».

تحرّرت ميّا من يده وسارت بخطى واثقة نحو المخرج.

***

عند العودة إلى الفندق، نامت ميّا من دون تأخير. وعلى الجانب الآخر من الوسادتين اللتين تفصلان بينهما، بقي بول مفتوح العينين يبحث عن تفسير لما جرى من تطورات غريبة خلال هذا اليوم. ولأنه لم يجدّ أي تفسير شعر بالقلق مما يخفيه له الغد.

مكتبة هي و هو

الفصل 17

اسيقظت ميّا على صرير الباب ففتحت عينيها. كان بول يدفع الطاولة المتحرّكة ويقترب من السرير وقال لها:

«صباح الخير، سيدتي، هنا تجدين قهوة، عصير برتقال، سلة كعك، بيض مسلوق، ورقائق قمح.. أنا في خدمتكم، وشرع يملأ فنجانها».

جلست ميّا ورتبت الوسائد ووضعتها خلف ظهرها.

«بماذا أنا مدينةٌ لك كي أحظى بكل هذا الاهتمام في هذا الوقت المبكر من الصباح؟».

«طردتُ مساعدتي أمس، لذا عليّ الاهتمام بكل شيء».

«هذا غريب، سمعت أنها هي التي استقالت».

«حتى لو كانت هي التي استقالت فهذا يعني أن نيّاتنا التقت، أفضّل أن أخسر مساعدة وأجد صديقة. أتريدين سكرًا على القهوةِ؟».

«قطعة واحدة، من فضلك».

«وبما أنني الآن صرت أساعد نفسي بنفسي، فقد اتخذت بعض القرارات أثناء نومكِ. تم إلغاء جميع مواعيد اليوم، ما عدا دعوة السفير،

مكتبة هي و هو

وبدلًا من ذلك سنفعل ما يحلو لنا وعلينا انتهاز تلك الفرصة فنتجوّل في سيول طيلة اليوم».

«ألغيتَ جميع مواعيدك؟».

«أجّلتها إلى غد، وتظاهرت أني بدأت أشعر بالمرض. وهكذا لن أسمح لموراكامي بمفرده احتكار الإصابة بالإنفلونزا. هذامَوْقِف».

نظرت ميّا إلى الصحيفة المطوية على طاولة الإفطار وخطفتها بحركة سريعة.

«صورتك على الصفحة الأولى!».

«نعم، وما نفع ذلك؟ أجد نفسي فيها قبيحًا وأبدو فيها كأن وزني زاد ثلاثة كيلوغرامات».

«غير صحيح فأنت تبدو فيها جيدًا. هل اتصلت بالملحقة الإعلامية لترجمة المقال؟ فنشر صورتك على الصفحة الأولى أمر غاية في الأهمية».

«حتى الآن ليس بوسعي معرفة هل المقال إيجابي أم سلبي، لكن أتصور أن الصحفي الذي كتبه قد اهتم بالإشادة برواية موراكامي الأخيرة».

«لم تكن مسألة الإنفلونزا هي ما يشغلك إذًا، بل صرت مهووسًا بموراكامي ذاته، أليس كذلك؟ لقد ذكرته مرتين في دقائق معدودة».

«لا على الإطلاق، لكن في الوقت نفسه يحقّ لي أن أنشغل بأمره بعد الذي جرى مساء أمس».

«وماذا جرى؟».

«لقد عشت أكثر اللحظات غرابة في حياتي. لقد أجريت من قبل العديد من المقابلات مع صحفيين لم يقرأوا ما كتبته، لكن لم يحدث أن التقيت صحفيًّا قرأ كتابًا لمؤلف غيري وحاورني بشأنه باعتباري أنا من كتبته. هذا أمر لم يحدث أبدًا من قبل».

مكتبة هي و هو

«ما الذي تتحدث عنه؟».

أتحدّث عن مهزلة أمس! لم يتوقّف ذلك المعتوه عن طرح أسئلة موجهة لــ... لن أنطق باسمه حتى لا تتهميني مجدداً بأنه يستحوذ على تفكيري، لكن أنتِ تعرفين مَنْ أقصد. لقد عشت لحظة عزلة كاملة في هذا الاستوديو أمام مقدّم البرنامج. ما الذي دفعك الى الاهتمام بمصير شعب كوريا الشمالية؟ ومن أيّ مصادر استقيت المعلومات عن حياة المقموعين من قبل نظام كيم جونغ أون؟ لماذا مثل هذا الالتزام السياسي؟ هل تظنّ أن أيام هذه الدكتاتورية باتت معدودة؟ في نظرك، هل كيم جونغ أون زعيم صوري نصّبه نظام أوليغارشي أم هو الذي يدير البلاد بالفعل؟ هل استوحيت شخصيات روايتك من الواقع أم هي شخصيات متخيلة؟... إلخ إلخ».سألته ميّا وهي تتردّد هل تضحك أم تُظهر تعاطفها معه: «هل أنت جاد؟».

«طرحت السؤال ذاته على المترجم الذي كان يتحدّث معي من خلال تلك السماعة الملعونة، وهي بالمناسبة تزيد للغاية من شعوري بالرغبة في الهرش. ولكي أبوح لك بكل شيء، كنت أتخيّل بأنني أشارك في لعبة الكاميرا الخفيّة. ولأن الوضع استمرّ كما هو من دون أي تغيير، كان هذا هو التصور المنطقي الوحيد لما يحدث، لذا قرّرت الاستجابة لهم بسهولة. وأدركت بعد مرور عشرين دقيقة أن الزمن بدأ يطول والمزحة أصبحت ثقيلة. وتبيّن أنها لم تكن مزحة. أخطأ هؤلاء المعتوهون في الكاتب والكتاب،ولكن المترجم تخوّف من إبلاغهم بالحقيقة».

«هذا جنون»، ردّت ميّا وهي تضع يدها على فمها لإخفاء رغبتها في الضحك».

«لا تحرمي نفسك الضحك، بوسعك السخرية كما يحلو لك فأنا كنت أول مَنْ يضحك على ما جرى منذ دخولنا إلى الفندق أمس. هذه النوعية من الأحداث لا تقع إلّا لي».

مكتبة هي و هو

«لكن كيف يقترفون خطأ كهذا؟».

«ليس للحماقة حدود. حسنًا، لن نقضي يومنا في الحديث عن ذلك».

ثم أخذ بول الصحيفة من يدي ميّا ليرمي بها بعيدًا في الجانب الآخر من الغرفة وتابع: «تناولي فطورك وهيّا بنا نخرج».

«هل أنتَ واثق أنك بخير؟».

«أنا على أحسن ما يرام، لعبت دور الأبله أمام مئات آلاف من المشاهدين، وأفترض أن البعض بادر بتحذير القناة التلفزيونية من الخطأ، وهذا ما يجب أن يُكتب في هذا المقال. بالمناسبة، إذا صادفنا أشخاصًا يضحكون عليَّ في الشارع، يجب أن نحافظ على وقارنا ونتصرّف كأن شيئًا لم يقع».

«أنا آسفة حقًّا يا بول».

«لا داعي للأسف، ولن نتكلم عن ذلك بعد الآن، فأنتِ بنفسك قلتِ لي من قبل إن علينا ألّا نهتم بهذا البرنامج، ثم انظري كم هو جميل ذلك الطقس بالخارج!».

أقنع بول ميّا بمغادرة الفندق من جهة مواقف السيارات، تجنُّبًا لاحتمال أن تكون الآنسة «باك» تترصدهما في ردهة الاستقبال. كان يريد أن يقضي النهار بصحبة ميّا وحدها من دون إزعاج أي مرافق آخر يقوم بدور المرشد لهما.

في الصباح، زارا قصر «تشانغجونجون»، وأثناء عبورهما باب «هونغوامون»، تسلّى بول بأن حاول نطق أسماء الأماكن مبالغًا في تضخيم صوته وهو الأمر الذي استمتعت ميّا به كثيرًا، كما أعجبها منظر بركة الماء وجمال هذا القصر بتاريخه الكبير وهي تشاهده من على جسر أوكتشنجويا.

قال بول وهو يشير إلى أحد المباني:

«هناك «ميونجشونشيان»، مكتب الملك، وقد تم تدشينه عام 1418.

مكتبة هي و هو

وجميع المنازل التي ترينها تكون وجهتها نحو الجنوب لأن أضرحة الملوك القدامى تقع في الجنوب. أما وجهة «ميونجشونشيان» فإلى ناحية الشرق، تعبيرًا عن عدم احترام التقاليد الكونفوشيوسية».

«هل أطلعتك «كيونغ» على كل هذه المعلومات؟».

«اتركيها حيث هي، قرأت ذلك في كتيب أخذته عند شراء التذاكر، وتصفّحته بينما كنت تتأمّلين بركة الماء. وأردت أن أثير إعجابك بتقديم مثل هذه المعلومات. هل ترغبين في مشاهدة حديقة النباتات؟».

***

غادرا القصر للذهاب إلى حي «إنسا دونغ». تفقّدا المعارض الفنية، وتوقّفا لتذوّق كعكة «بجيون»، وهي فطيرة كورية شعبية، ثم أمضيا بقية فترة ما بعد الظهيرة في التسوق من محلات التحف القديمة. أرادت ميّا أن تخصّ ديزي بهدية، واحتارت بين صندوق توابل قديم وبين عقد جميل. ونصحها بول باختيار العقد، ولكنه أشار إلى بائع التحف أن يغلّف صندوق التوابل أيضًا ويضعه في كيس. ثم استدار نحو صديقته.

قال وهو يسلّمها الصندوق: «قدّمي هذه الهدية إلى ديزي من طرفي».

عادا إلى الفندق في وقت يسمح لهما بالكاد بالاستعداد لتلبية دعوة السفير وكانت الآنسة «باك» لا تزال تنتظرهما في ردهة الفندق، وبمجرّد أن شاهدتها ميّا، دفعت بول وراء أحد الأعمدة حتى لا تراهما. ثم تسلّلا إلى العمود التالي ومنه إلى عمود آخر واستغلّا مرور أحد عمال الفندق بعربة الحقائب ليختفيا وراءها ويدخلا المصعد من دون أن يلاحظهما أي أحد.

عند الساعة السابعة مساء، ارتدت ميّا فستانها وكان بول فخور جدًّا أنه اشتراه لها.

«إذا تلفظّت بعبارة «مقبول» مرة أخرى، فلن أتحرك من هذه الغرفة».

هكذا أعلنت ميّا وهي تنظر إلى نفسها في المرآة.

مكتبة هي و هو

«حسنًا. سأصمت».

«بول!».

«إنكِ...».

«لا، لا تقل شيئًا». قاطعته ميّا.

«... رائعة».

«حسنًا، أقبل الإطراء».

وبعد مرور نصف ساعة، وصلا بسيارة الليموزين إلى مقرِّ إقامة السفير الأمريكي.

كان السفير ينتظر ضيوفه في البهو. وكان بول وميّا في مقدمة الضيوف.

بادره السفير بكلمات الترحيب: «السيد بارتون، إنه لشرف ولسعادة أن أستقبلك في منزلي».

ردّ بول وهو يقدم ميّا: «بل أنا أتشرّف بلقائك سيدي، ويسعدني أن أقدّم لك مرافقتي السيدة ميّا».

انحنى السفير لتقبيل يدها، وسألها:

«ماذا تفعلين في الحياة يا سيدتي؟».

فبادر بول بالإجابة: «ميّا تملك مطعمًا في باريس».

ورافقهما السفير إلى الصالون وهو يحدّث بول:

«لم تسنح لي الفرصة بعد لقراءة عملك الأخير. أنا أتكلم اللغة الكورية قليلًا، لكن ليس بالقدر الذي يجعلني أفهم ما أقرأه. في المقابل، أبكت روايتك رفيقي «شين» بكاء حارًا بعد أن قرأها. وهو منذ أسبوع لا يتحدث إلّا عنك. يبدو أنك أثّرت فيه بشدة. فجزء من عائلته يعيش في كوريا الشمالية، وقد قال لي إن ما رويته عما يحدث هناك صحيح تمامًا. كم أتمنّى أن أكون كاتبًا حرًّا مثلك فالكتّاب بوسعهم التعبير عن الآراء من دون تحفّظ وهي الآراء نفسها التي تضطرنا التزاماتنا الدبلوماسية

مكتبة هي و هو

إلى السكوت عنها. لكن، اسمح لي أن أقول لك إنك نجحت في التعبير في هذه الرواية، بل الرواية/ الوثيقة، عن وجهة النظر، بل عن الفكر الأمريكي!».

نظر بول مطولًا إلى السفير، غير مصدّق.

ثم قال محاولًا السيطرة على نفسه: «هل يمكنك أن تخبرني المزيد عما تقصده؟».

«أكرّر لك أن رفيقي كوري، و... ها هو! سيكون أبلغ مني في شرح مشاعره لك، ولذا سأتركك برفقته فهو يحلم بالحديث معك. وخلال هذا الوقت، سأذهب لاستقبال بقية ضيوفنا. وسأختطف صديقتك الفاتنة لأجل مساعدتي في إنجاز هذه المهمة». وأضاف مازحًا: «لا يوجد ما تخشاه».

رمقت ميّا بول بنظرتها المتوسلة، ولكن من دون جدوى لأن صاحب الدعوة كان قد اصطحبها معه بالفعل.

ولم يكد بول يستعيد أنفاسه حتى جاء رجل بمظهر جميل وأناقة نادرة ليعانقه واضعًا رأسه على كتفه. وهو يقول:

«شكرًا، شكرًا، شكرًا. إنني متأثّر للغاية فكم تسعدني مقابلتك».

أجاب بول وهو يحاول أن يحرّر نفسه من عناقه: «أنا أيضًا يسعدني تعرّفك. لكن أنت تشكرني على ماذا؟».

«على كل شيء! شكرًا على أن تكون كما أنت عليه بالفعل، على كلماتك، وعلى الانشغال بمصيرنا. فمَنْ يهتم بهذا في زماننا؟ لا يمكنك أن تتخيل ما يعنيه ذلك لنا، وما تعنيه أنتَ لي!».

«أنت محق، فأنا في الواقع لا يمكنني أن أتخيّل أي شيء. هل صرت عُرْضة لمقلب جماهيري للسخرية مني أم ماذا؟».

«لا أفهم!».

مكتبة هي و هو

ردّ غاضبًا: «وأنا لا أفهم أيضًا».

تبادل الرجلان النظرات التي كان كل واحد منهما يقيّم بها الآخر.

«آمل ألّا تكون علاقتي الحميمة مع هنري قد صدمتك سيد بارتون؟ نحن صادقان في حبنا منذ عشر سنوات، حتى إننا تبنينا طفلًا.. صبيًّا صغير نحبه كثيرًا».

«أرجوك! لقد تربيت في سان فرانسيسكو وأنا ديمقراطي. يمكنك أن تحبّ مَنْ تشاء، وأن يحبّك مَنْ يشاء، وتبادل الحبّ أمر يسرّني، ولكن أنا أقصد ما تحدثت أنت عنه بخصوص روايتي».

«هل وجدت في ما قلته شيئًا جارحًا؟ فلو كان قد حدث ذلك فأنا مدين لك بالاعتذار، فروايتك تعني الكثير بالنسبة لي».

«روايتي؟ تقصد روايتي أنا؟ تلك الرواية التي كتبتها؟».

«طبعًا روايتك»، أجاب الرجل وهو يريه الكتاب الذي يحمله في يده.

إذا كان بول يعجز عن فك رموز الأبجدية «الهانغولية»[1]، فهو لن يُخطئ في معرفة أن الصورة التي على الغلاف الخلفي للكتاب هي صورته وأن غلافها هو الغلاف الذي كان ناشره قد عرضه عليه قبل ذلك بيومين. وأمام سوء الفهم الواضح مع محاوره، اجتاح بول الشك، شك أخذ يتعاظم إلى أن صار هائلًا وجعل بول يشعر وكأن الأرض تنهار من تحت قدميه.

توسّل رفيق السفير: «هل توافق على كتابة الإهداء لي؟ اسمي «شين»».

أمسكه بول من ذراعه.

---

(1) الأبجدية الهانغولية les caractères hangul: الأبجدية المستعملة في كتابة اللغة الكورية. (المراجع).

مكتبة هي و هو

«عزيزي «شين»، هل ثمة غرفة هنا يمكننا الحديث فيها للحظات، أنا وأنت فقط؟».

قاد «شين» بول عبر الممر ودعاه للدخول إلى أحد المكاتب.

قدّم لبول أريكة مريحة ليجلس عليها مؤكدًا:

«هنا يمكننا الحديث بهدوء».

أخذ بول نفسًا عميقًا وأخذ يبحث عن كلماته ليبدأ حديثه. وأخيرًا قال:

«أنت تتقن تمامًا اللغة الإنجليزية، وتتحدّث اللغة الكورية بطلاقة، أليس كذلك؟».

أجاب «شين» وهو يجلس على المقعد المقابل لبول: «بالطبع فأنا كوري».

«وقطعًا قرأت كتابي».

«مرتين! فقد تأثّرت به للغاية وبالإضافة لذلك كنت كل مساء وقبل أن أنام أعيد قراءة أحد مقاطعه».

«هذا أفضل وأفضل. لكن سيد شين، أحتاج منك إلى خدمة صغيرة».

«سأفعل كل ما تريده».

«لا تقلق فلن أطلب منك الكثير، بل مجرّد خدمة صغيرة للغاية».

«ما الذي يمكنني أن أفعله لك يا سيد بارتون؟».

«أن تحكي لي كتابي».

«عذرًا!».

«نعم أريد منك ما سمعته للتو. ولو لم تقدر على فعله يكفي كبداية أن تلخّص لي الفصول الأولى من الرواية».

«هل أنت متأكد؟ لكن لماذا؟».

«يستحيل على أي كاتب الحكم على دقة ترجمة أحد أعماله إلى لغة

مكتبة هي و هو

لا يعرفها. وأنت تجيد اللغتين الكورية والإنجليزية، لهذا لن تجد صعوبة في فعل ذلك».

استجاب «شين» لطلب بول، وحكى له روايته، فصلًا بعد آخر.

في الفصل الأول، تعرّف بول على طفلة نشأ في كوريا الشمالية. كانت أسرته تعيش في بؤس لا يوصف مثل جميع سكان قريته، فالديكتاتوريةُ التي مارستها أسرة حاكمة ذات مسلك وحشي أخضَعَت السكانَ لنوعٍ من العبودية. وحتى أيام الاستراحة كانت تكرَّس لعبادة القادة. ولم تكن المدرسة، التي لم يكن يحق إلّا لقلة من الأطفال الالتحاق بها حيث اضطر أغلبهم للعمل في الحقول، أكثر من أداة دعائية تعمل على إقناع العقول البريئة بضرورة النظر إلى جلاديهم باعتبارهم آلهة.

في الفصل الثاني، يصادف بول والد البطلة، وهو أستاذ يدرّس الآداب. كان يقدّم في المساء دروسًا في الأدب الإنجليزي لتلامذته النجَباء وكان يفعل ذلك في الخفاء، يفرض عليهم تمرينًا صعبًا ومحفوفًا بالمخاطر من أجل أن يتعلموا كيفية التفكير بأنفسهم ساعيًا بذلك إلى غرس فضائل الحرية العظيمة في نفوسهم.

في الفصل الثالث، والد البطلة يتعرض للوشاية من قبل والدة أحد تلاميذه التي أخبرت السلطات عنه. وبعد تعذيبه تم إعدامه أمام أقاربه. سُحل جسده بعد أن رُبط بحصان، ولاقى طلبته المصير ذاته. ولم ينجُ منهم سوى التلميذ الذي وشى والديه بمعلمه، وقد تمّ احتجازه في أحد المعكسرات حيث حُكم عليه بالأعمال الشاقة المؤبدة.

في الفصل الخامس، تسرد بطلة الرواية كيف ضُرب شقيقها واحتُجز في قفص كان من الصغر بحيث لم يكن يستطيع الجلوس أو الوقوف فيه لأنه سرق بعض حبوب الذرة. وكيف قام معذّبوه بحرق جلده. وكيف تعرّضت خالتها بعد مرور عام على ما جرى مع شقيقها، لقطع إبهامَيْها

مكتبة هي و هو

على يد رب عملها عقابًا لها على ما طال ماكينة الخياطة التي تعمل عليها من عطل غير مقصود.

في الفصل السادس، بلغت البطلة سنّ السابعة عشرة. وفي عشية عيد ميلادها، تركت أهلها وهربت، قطعت الوديان والأنهار سيرًا على الأقدام، كانت تختبئ في النهار وتواصل سيرها ليلًا، وتقتات بالجذور والأعشاب. وقد استطاعت في النهاية الوصول إلى كوريا الجنوبية، أرض المقاومة، بعد أن نجحت في خداع عناصر الشرطة الذين يحرسون الحدود.

توقّف «شين» بعد أن لفت نظره أن مؤلف الرواية الذي كان يحكي له قصّتها، قد تأثّر بشدّة ربما فاقت تأثّره هو بها. بينما اكتشف بول فجأة أن ما حكاه لم يكن كافيًا.

سأله بول راجيًا: «ماذا حدث بعد ذلك احكِ لي ماذا حدث بعد ذلك».

أجاب «شين»: «لكنك تعرف ماذا حدث بعد ذلك!».

لكن بول أصرّ بصوت غلبت عليه نبرة الاستجداء: «استمرّ.. استمرّ أرجوك، تعجبني طريقتك في سرد ما حصل».

«تم استقبال بطلتك في كوريا الجنوبية من قبل صديق قديم لوالدها، كان هو نفسه منشقًّا عن النظام في الشمال. اعتنى بها كابنته وتكفّل بدراستها. وبعد تخرّجها من الجامعة، حصلت على عمل وكرّست وقت فراغها لنقل صورة عما يعانيه مواطنيها من أوضاع من خلال الوسائل الإعلامية».

«أي نوع من العمل كانت تمارسه؟».

نظر «شين» في عينيْ بول مندهشًا من السؤال، لكن نظرة الرجاء جعلته يستمر:

مكتبة هي و هو

«بدأت عملها كمساعدة في دار نشر ثم كمدقّقة لغة ثم ترقّت في وظيفتها إلى أن أصبحت رئيسة تحرير. وصارت تبذل الجهد وتدفع الأموال التي تجنيها لمهربي البشر، وصارت تجمع الأموال لدعم حركات المعارضة التي تنطلق من الخارج، وتعمل مع حملات تهدف إلى توعية السياسيين الغربيين ودفعهم إلى العمل ضد نظام «كيم جونغ أون». كانت تفعل كل ذلك في السرّ، وكانت تسافر لهذا الغرض سِرًّا مرتين في العام، فقد ظلت عائلتها أسيرة دكتاتورية لا ترحم، وكانت تعرف أنه إذا تبين أن أي شخص يتصل بها أو تجمعه بها علاقة ما فإن أمها وكذلك أخاها والرجل التي أحبّت هم من سيدفعون الثمن غاليًا».

قال بول وهو يخفض عينيه: «أظن أنني سمعت ما يكفي».

«سيد بارتون، هل أنت بخير؟».

«لا أعرف».

«هل يمكنني مساعدتك؟» سأله «شين» وهو يقدّم له منديلًا. شكره وسأله وهو يمسح عينيه: «اسم بطلتي كيونغ، أليس كذلك؟».

«بلى. أجاب الصديق الحميم للسفير».

* * *

وجد بول ميًا في الصالون الكبير. وحين لاحظت شحوب بشرته وانكساره، وضعت كأس الشمبانيا جانبًا، واعتذرت للضيف الذي كانت تتحدّث معه، ثم ذهبت إليه.

سألته قلقة: «ماذا حدث؟».

«هل تظنين أن هناك مخرجًا للطوارئ في هذا المكان، أو ربما مخرجًا من الحياة كلها؟».

«أنت شاحب إلى حدٍّ مفزع».

«أحتاج إلى كأس قويّة من الكحول».

مكتبة هي و هو

خطفت ميّا كأس مارتيني بسرعة من صينية يحملها أحد الخدم، وناولته إلى بول، فابتلعها جرعة واحدة.

«دعنا نبحث عن مكان أكثر هدوءًا ونذهب إليه حتى يمكنك أن تشرح لي كل ما حدث».

«ليس الآن. فقد أسقط فجأة وأغيب عن الوعي قبل أن يبدأ السفير خطابه! بهذه الكلمات ردّ بول وقد تصلّب فكه من التوتر».

***

أثناء تناول الطعام، لم يستطع بول أن يمنع نفسه من التفكير في أسرة تتضوّر جوعًا على مسافة بضع مئات من الكيلومترات من هذه الصالة التي تُقدَّم فيها أصناف الطعام من الكعك وفطائر كبد الإوز بكل سخاء. عالَمان تفصلهما الحدود.. وقد كفَّ عالمه هو عن الوجود قبل ساعة واحدة من الآن. كانت ميّا تنظر إليه لكنه لم يكن يبصرها. أثناء مغادرته الطاولة، التحقت به. شكر السفير واعتذر مبديًا رغبته في الانصراف بسبب شعوره بالتعب.

صاحبَهما «شين» إلى الباب وشدّ على يد بول طويلًا، وابتسم له وهو يقف عند مدخل سكن السفير ابتسامةً رقيقة وحزينة جعلت بول يتأكد من أنه قد فهم كل شيء.

سألته ميّا بمجرد أن انطلقت السيارة الليموزين بهما:

«ماذا حدث لكيونغ لتصبحَ في مثل هذه الحالة؟».

«حدث شيء ما لكيونغ ولي أيضًا. لم يكن نجاحي في كوريا حقيقيًا أبدًا، والشيء ذاته بالنسبة لرواياتي، و«كيونغ» لم تكن مجرّد مترجمة فقط».

كانت ميّا تسمع ما يقول في ذهول وتابع بول:

«لقد استخدمت كيونغ اسمي لتضعه على أغلفة الكتب، وهذا ما

مكتبة هي و هو

فعلته فقط في ما يخصني، لأن هذه الكتب لم تكن إلا نصوصها هي، وحكاياتها هي، ومعاركها هي. ولم يكن مقدّم برنامج الأمس غير كفءٍ، وكذلك المترجم، ولا بد أن أحرص على الاعتذار لهما. وكل ما يحدث الآن إنما هو بسبب المضمون الذي عالجته رواياتي التي نشرت في كوريا، والتي عبّرت عن المأساة التي تحصل، لأنها لو كانت ذات مضمون مختلف لما اهتم بها أحد. إن هذا كله مجرّد مزحة هائلة. إنني أعيش منذ سنوات على حقوق ملكية كتب لم أؤلفها. لقد أحسنتِ صنعًا باستقالتك من العمل معي، لأنك كنت تعملين لدى نصّاب. وعذري الوحيد أنني كنت أجهل كل شيء حتى الآن».

طلبت ميّا من السائق أن يتوقف.

«هيا انزل؛ أنتَ بحاجة إلى الهواء النقي».

سارا جنبًا إلى جنب في صمت، حتى عاود بول الكلام:

«يحقّ لي أن أكرهها، لكن خيانتها كانت رائعة، لأنها كانت ستحكم على عائلتها بالموت لو كانت نشرت ما كتبته باسمها».

«ما الذي تنوي القيام به الآن؟».

«لا أعرف، يجب أن أفكر، لم أتوقّف عن التفكير ولذلك اعتذرت وتركت الحفل. أظن عليّ مواصلة هذه اللعبة، ما دمتُ هنا، وإلّا فسأجازف بتعريضها للخطر. وعندما أعود إلى باريس، سأرسل لها مستحقاتها وسأفسخ العقد. سيكون كريستونيلي سعيدًا بشكل لا يوصف، فمنذ الآن أكاد أراه منهارًا في مقهى دي ماغو. وبعد ذلك سأبحث عن سبيل لكسب العيش».

«لا شيء يجبرك على ذلك. هذا المال يخصّ دار النشر الكورية، وهم لا بدّ أنهم جنوا مالًا كثيرًا من كتبك».

«ليست كتبي بل كتب كيونغ».

«لو تصرّفت هكذا، فستضطر إلى تقديم تبريرات تفسّر بها ما فعلت».

مكتبة هي و هو

«سنرى ما سيحدث. وعلى كلٍّ أنا الآن أفهم بشكل أفضل لماذا اختفت. لا بد أن أجدها لنتحدث عن كل هذه الأمور. لا أستطيع العودة إلى باريس من دون رؤيتها».

«أنت تحبّها، أليس كذلك؟».

توقف بول وهزّ كتفيه.

«لنعدّ، فأنا أشعر بالبرد. كانت أمسية غريبة حقًّا».

* * *

في المصعد الذي قادهما إلى جناحهما، وقفت ميّا أمام بول. مرّرت يدها على وجهه برقّة ثم صفعته على نحو مفاجئ فاستفاق من شروده، فجذبته بقوة إلى أحد جوانب كابينة المصعد وقبّلته.

استمرّت القُبلة حتى فُتحت أبواب المصعد، واستمرّت في الممر، واستمرّت وهما يتقدّمان وظهراهما ملتصقَان بالجدار، واستمرّت وهما يمرّان من باب إلى باب حتى وصلا إلى غرفتهما.

استمرت القبلة وهما يخلعان ثيابهما ويتعريان، واستمرّت وهما يرتميان على السرير.

همست ميّا: «هذا لا يُحسب، لم يعد شيء يُحسب، فقط الحاضر هو ما يُحسب».

واستأنفا تبادل القبلات على الخدين، على الفم والرقبة، على صدره ونهديها، على بطنه وردفيها، على ساقيه وفخذيها، على جلديهما الممتزجين. واختلطت أنفاسهما اللاهثة وهما في عناق هائج حتى خارت قواهما وناما في ملاءات السرير الرطبة.

مكتبة هي و هو

هي و هو
مكتبة

الفصل 18

قام بول وميّا من السرير بسرعة حين سمعا رنين الهاتف.

«اللعنة!» صرخ وهو ينظر إلى ساعة التلفزيون التي تشير إلى العاشرة صباحًا.

كانت الآنسة «باك» تتصل وقد بدت مرتبكة لأنه كان من المفترض أن تبدأ المقابلة الأولى اليوم منذ نصف ساعة...

التقط بول ملابسه الداخلية من الأرض.

.. . كان صحفي جريدة «شوسان» اليومية في انتظاره...[1]

التقط البنطلون من فوق المقعد، لبسه وتقدّم برجلٍ واحدةٍ نحو الخزانة.

كان القميص ممزّقًا، فسارعت ميّا إلى الدولاب وأخرجت له قميصًا نظيفًا.

---

(1) ينوّع هنا مارك ليفي كعادته في الأساليب التي يتبعها في سرده فيستعرض في هذا الجزء مشاهد متعددة انطلاقًا من مكالمة الآنسة «باك» التليفونية معه ويربطها بالمشهد الرئيس الذي يدور في غرفة بول وميّا. (المراجع).

مكتبة هي و هو

... ثم وصلت زميلته الصحفية في مجلة «أيل» الكورية لتوّها..

همس بول: «لكنه قميص أزرق اللون!».

... ويتعيّن علينا أن نغادر في الوقت المناسب لنصل إلى استوديوهات راديو «ك.ب.س».

تمتمت ميّا: «لا مشكلة لو ارتديت قميصًا أزرق في مقابلة مع الصحافة المكتوبة!».

... استطاعت الآنسة «باك» تأجيل موعد المقابلة الحصرية مع الكاتب الصحفي في دورية «موفي ويك» إلى ما بعد اللقاء مع صحيفة «هانكيوريه» اليومية...

كان بول يعقد أزرار قميصه.

... وهو الشخص الذي عُرف بدعمه لسياسة انفتاح الحكومة مع كوريا الشمالية...

فكّت ميّا أزرار القميص من جديد ثم وضعتها في فتحاتها المناسبة.

... وبعد ذلك سيُعقد لقاء مفتوح...

«أين حذائي؟».

«فردة تحت السرير، والأخرى في المدخل!».

... مع الطلبة على المسرح الكبير في معرض الكتاب...

وهكذا نجحت الآنسة «باك» في الإعلان عن برنامج اليوم الطويل في نفَس واحد.

«اهدئي، أنا في المصعد بالفعل».

«كاذب، اخرج، سألحق بك بعد قليل».

«متى؟».

«قبيل ذهابك إلى الراديو».

مكتبة هي و هو

انغلق باب الجناح. سُمع ارتطام مروّع في الممر وصوت بول يصيح بالشتائم.

أطلَّت ميّا برأسها لتكتشف طاولة متحركة ملقاة بالعرض في الممر، وكل محتوياتها تناثرت على الأرض.

قالت وهي ترى بول ينهض: «ما هذا الذي حدث لك؟».

«لم يحدث شيء، لست ملطخًا، وتقريبًا لم أصَبْ بأي سوء».

«اذهب بسرعة!» ردّت عليه بنبرة آمرة.

وحين عادت إلى الغرفة، تقدّمت نحو النافذة ونظرت إلى المدينة وقد ظلّلتها سماء رمادية. تناولت هاتفها من حقيبتها وشغّلته فظهرت على شاشته ثلاث عشرة رسالة. ثمانٍ من كريستون، وأربعٌ من ديفيد ورسالة واحدة من ديزي. ألقت ميّا الهاتف على السرير، وطلبت فطورًا ونبّهت خدمة الغرف إلى تنظيف ما تناثر في الممر.

* * *

من باحة القاعة اصطحبَت الآنسةُ «باك» السيدَ بول وهي تهرول إلى غرفة الانتظار.

«رجاءً، أريد فنجان قهوة».

«إنها تنتظرك على طاولتك يا سيد بارتون، ولا تلُمْني إذا كانت فاترة».

«هل من شيء للأكل؟».

«لن يكون من اللائق أن تتحدث وفمك ممتلئ!».

أدخلته الغرفة. اعتذر بول للصحفي. وبدأت المقابلة.

انتابه شعور غريب حين أدرك أن قصة كيونغ قد استحوذت عليه. وازداد هذا الشعور بالغرابة عنده بسبب إتقانه للدور الذي يلعبه حين حلّ محل كيونغ. فقد كان يجيب عن الأسئلة بسلاسة فاجأته هو شخصيًّا، مدعّمًا سرده بأفكار عميقة وصادقة، حتى إن محاوره أخبره أنه قد تأثّر أيما

مكتبة هي و هو

تأثّر بهذه المقابلة. وتكرّر هذا الوضع في اللقاء مع صحفية مجلة «أيل» الكورية. بعده، خضع بول لجلسة التصوير، مُطيعًا المصور في كل ما طلبه وهو المصور نفسه الذي كان قد التقط له سيلًا من الصور أثناء هذا اللقاء. طلب منه الجلوس عند طاولة، وتكتيف يديه، ثم خفضهما، وطلب منه أن يضع يده أسفل ذقنه، والابتسام، وأن يكون على طبيعته في لقطة أخرى، والنظر إلى الأعلى، والنظر يمينًا والنظر شمالًا، لكن الآنسة «باك» جعلته ينهي عمله حين أخبرته أن ثمّة مقابلات أخرى في انتظارهما.

استعجلته الملحقة الإعلامية نحو سيارة الليموزين بينما نجح بول في الإفلات منها وهرع إلى مكتب الاستقبال. وقال للموظف:

«اتصل بغرفتي من فضلك».

«سيد بارتون، لقد تركت لك الآنسة رسالة قالت فيها إنها ستعاود النوم بعد مغادرتك و...».

مال بول على كاونتر الاستقبال وأشار إلى جهاز الهاتف.

«اتصل بها الآن، اتصل بها فورًا!».

شعرت الآنسة «باك» بالضجر فالهاتف يرن وميّا لا ترد على المكالمة.

قال موظف الاستقبال: «الأرجح أن الآنسة في الحمّام، وهي طلبت أن نبلغك أنها سوف تلتحق بك فيما بعد في معرض الكتاب. كما طلبت أن أخبرها بموعد محاضرتك».

وعدته الملحقة الاعلامية بعمل اللازم في هذا الخصوص وبأنها سترسل سيارة لتقل مساعدته إلى المعرض، ونطقت كلمة «مساعدته» بطريقة كما لو أنها تقول له إنها تعرف مكانتها عنده!

وضع بول سماعة الهاتف وتبع الآنسة «باك» والحزن يعصر قلبه. ثم استدار فجأة والتقط بعض قطع الحلوى من الإناء الموضوع على الكاونتر وملأ بها جيبه.

بدت له الساعة التي قضاها في استوديوهات «ك.ب.س» كأنها دهر، لكنها أكسبته مزيدًا من الثقة بنفسه. وكانت إجاباته أكثر إقناعًا، فالعواطف التي أثارها وهو يسرد حياة شخوص الرواية تأكدت أكثر عند محاوريه، حتى إن الآنسة «باك» نفسها شرعت تبكي.

«كنتَ ممتازًا»، طمأنته ملحقته الاعلامية أثناء خروجهما من المبنى، قبل أن تدعوه لدخول السيارة الليموزين بسرعة.

رافقه الحراس من مدخل قصر المؤتمرات حتى المنصّة حيث احتشد مئتا طالب جاؤوا للاستماع إليه.

وحين قدّم مدير الجلسة الحوارية بول إلى الحاضرين وقفوا وأخذوا يصفقون بحفاوة بالغة جعلته يرتبك للغاية. كان يترقّب وصول ميّا، وكانت عيناه تجوبان الصفوف، صفًّا بعد صف بحثًا عنها، حتى تلقّى أول سؤال، الأمر الذي ذكّره بضرورة مواصلة الدور الذي كان يلعبه.

وقد لعب بول هذا الدور بحماسة اقتربت من حماسة المناضلين، فضح، وجرّم، ووبّخ وحوش النظام الاستبدادي، وأدان عدم اكتراث الأنظمة الديمقراطية الغربية بالأمر، وقد استحسن الحاضرون حديثه فصفّقوا له مرارًا.

أخذته حمّى الخطابة إلى اندفاعات جامحة لكنه توقف فجأة عن حديثه ولم يستطع إتمام جملته. كان قد شاهد يون جيونغ المعروفة أيضًا باسم كيونغ التي كانت تنظر إليه أيضًا، وقد ابتسمت له من مكانها في الصف الأخير ابتسامة قطعت حبل أفكاره.

وكانت ميّا تبتسم هي أيضًا، برقة وبهدوء، وقد انزوت وراء أحد الأعمدة.

لم تفارق بول بنظراتها، وانفعلت مع هتافات الجمهور له، لكن لم يعدّ بوسعها رؤيته بعد أن أسرع الطلبة نحوه ليحظوا بتوقيعه.

مكتبة هي و هو

ولأنها عاشت من قبل هذا الإحساس مرّات عدّة، قدّرت حجم النشوة التي لا بد أن يكون بول قد شعر بها وسط هذا الحشد.

أما كيونغ فكانت آخر من اقترب من المنصة.

* * *

سأل بول الآنسة «باك» التي كانت تنتظره أمام باب الصالون الصغير الذي لاذ به فرارًا من الحشد: «ألم تصل ميّا بعد؟».

لقد حضرت مساعدتك لقاءك مع الطلبة، أجابته «باك» وهي تشير إلى المكان الذي جلست فيه ميّا، وأرادت أن نعيدها ثانية إلى الفندق.

«متى غادرت؟».

«قبل أكثر من ساعة تقريبًا، وكان ذلك بينما كنت تتحدث إلى الآنسة يون جيونغ».

كان بول هذه المرّة هو من هرول نحو سيارة الليموزين مصطحبًا ملحقته الإعلامية.

وأسرع عند وصوله إلى بهو الفندق وركض باتجاه المصاعد ثم ركض في الممر إلى أن توقف أمام باب الجناح ليرتب ملابسه، وليصفف بيده شعره ثم فتح الباب.

«ميّا؟».

تقدّم باتجاه الحمام. لم تكن فرشاة أسنان ميّا في الكأس، وكذلك لم تكن حقيبة ماكياجها في مكانها على حافة الحوض.

عاد بول ثانية إلى الغرفة ووجد كلمة تركتها له على الوسادة.

بول..

شكرًا لوجودك معي، ولمزاجك المرح، ولحظات جنونك، ولهذه الرحلة غير المتوقَّعة التي بدأت بنزهة

مكتبة هي و هو

على سطوح الأوبرا في باريس. شكرًا لكسبك الرهان الصعب على إضحاكي، ولمنحي ذكريات جديدة. في هذا المساء تفترق طرقنا، كانت الأيام القليلة الماضية التي قضيتها معك ساحرة. أفهم المعضلة التي عليك أن تواجهها وأتفهّم شعورك.. أن تعيش حياة غير حياتك.. أن تحبّ فكرة الإحساس بالسعادة لأنك تعجز عن أن تكون سعيدًا.. أن تكفَّ عن معرفة ذاتك الحقيقية. أنت لم تذنب في شيء بخصوص هذا الانتحال. وأنا لا أعرف بأي شيء أنصحك.. وبما أنك تحبّها، وبما أن خيانتها رائعة، حتى لا أقول بطولية، يجب عليك أن تسامحها. تَسامُحَك هذا قد يكون هو الحبّ بعينه.. أن تتعلّم الصفح من دون تحفّظ، والأهم من دون ندم.

أن تضع إصبعك على مفتاح المحو في لوحة الكمبيوتر لتمسح كل الصفحات الرمادية، لكن من أجل أن تعيد كتابتها بالألوان. والأفضل من ذلك، أن تقاتل من أجل أن ينتهي كل شيء بنجاح.

اعتنِ بنفسك حتى لو كانت هذه الجملة لا تعني الكثير. سأفتقد بالفعل لحظاتنا معًا.

وأتطلّع بنفاد صبر لمعرفة مصير مغنّيتنا. فلا تتأخر في نشر قصتها.

أتمنّى لك حياة طيبة، لأنك تستحقها.

صديقتك ميّا

ملحوظة:

لا تقلق بشأن ما جرى أمس وبشأن ما سيجري مستقبلًا،

مكتبة هي و هو

فذلك لا يُحسب.

همس بول وهو يطوي رسالة ميّا: «أنتِ لم تفهمي شيئًا، إن هذه المرأة هي التي سأكفّ عن أن أحسب لها أي حساب».

وهرول في الممر حتى وصل إلى مكتب الاستقبال.

سأل الموظف وهو يلهث: «متى رحلت؟».

أجاب الموظف: «لن أستطيع أن أحدّد لك بدقّة، لقد طلبت منا الآنسةُ أن نوفر لها سيارة».

«لتذهب بها إلى أين؟».

«إلى المطار».

«لتستقل أي رحلة؟».

«أجهل ذلك سيدي. فلم نكن نحن من حجزنا لها تذكرتها».

توجّه بول على الفور إلى الأبواب الزجاجية. كانت الآنسة «باك» تقف تحت مظلة الفندق وتستعد لركوب السيارة الليموزين. فهرول ناحيتها وأبعدها وجلس مكانها. وقال للسائق: «إلى المطار، صالة المغادرة الدولية. ستحصل على أعلى بقشيش في حياتك إذا أسرعت».

طرقت الآنسة «باك» على زجاج نافذة السيارة لكن السائق الذي وعد نفسه بأعلى بقشيش، انطلق بسرعة فمكثت في مكانها تشاهد السيارة وهي تبتعد.

أنا مَن سيفاجئك هذه المرة بوجوده على الطائرة، وإذا رفض الجالس إلى جوارك أن يتنازل لي عن مقعده، سأكمّمه وأضعه حيث توضع الأمتعة. لن أخاف بعد ذلك، حتى عند إقلاع الطائرة، وسنأكل وجبات الطعام التي ستُقدَّم لنا، وستكون وجبتي من نصيبك لو كنت تشعرين بالجوع الشديد. سنشاهد الفيلم نفسه، وهذه المرة ستُحسب، سُتحسب ويكون لها أهمية أكثر من كل الروايات التي لم أكتبها.

مكتبة هي و هو

كان السائق يتسلّل بسيارته في حركة المرور المتدفّقة، وكان كلما ابتعد نحو الضواحي ازداد ازدحام الطريق السريع. عندها قال لبول: «إنها أسوأ ساعة، يمكنني إذا وافقت أن أغامر وأجرّب طريقًا آخر». فتوسل إليه أن يقوم بأفضل ما في وسعه.

كان بول يكرّر وهو يهتز للأمام وللخلف في مقعد الليموزين الخلفي ما سيقوله لميّا حين يجدها: القرارات التي اتخذها، وما قاله لكيونغ، التي تُدعى في الحقيقة أيون جيونغ، والتي ليست مجرد مترجمة، بل كانت كاتبة الأعمال التي حملت اسمه ونُشرت بالكورية.

* * *

بعد تسعين دقيقة، دفع بول للسائق أجرته وبقشيشه السخيّ.

دخل المطار، ونظر إلى لوحة المغادرة ولم يجد فيها أي رحلة متوجهة إلى باريس.

أبلغته المضيفة في مكتب الخطوط الجوية الفرنسية أن الطائرة المتجهة إلى باريس أقلعت قبل ثلاثين دقيقة، وأنه لا يوجد إلا مقعد واحد شاغر في رحلة غد.

مكتبة هي و هو

مكتبة
هي و هو

الفصل 19

بمجرّد أن لامست عجلات الطائرة المدرج، شغّل بول الموبايل، واتصل بميّا ثلاث مرات لكن في كل مرة كان يجيبه بريدها الصوتي أن يترك رسالة. لكنه قرر أن ما كان سيقوله عبر الهاتف، سيقوله لها وجهًا لوجه.

أوصله التاكسي إلى شارع «بروتاني». استرجع مفاتيح شقته من مقهى «لو مارشيه»، وترك فيها حقيبته ولم يكن أمامه وقت كاف لقراءة بريده، ولا الاتصال بكريستونيلي الذي كان قد ترك له أكثر من رسالة.

استحمّ وارتدى ملابس نظيفة، ثم قاد سيارته في اتجاه مونمارتر. أوقفها في شارع نورفان، وسار على الأقدام نحو مطعم «لاكلامادا».

بمجرّد أن رأته ديزي تركت الفرن وهرعت لاستقباله.

سألها بول: «أين هي؟».

«اجلس، يجب أن نتحدث». أجابت ديزي وذهبت إلى وراء منضدة الحانة.

«أهي في البيت عندك؟».

مكتبة هي و هو

«تريد قهوة أم كأسًا من النبيذ؟».
«أفضّل الذهاب لرؤية ميّا الآن».
«ليست في البيت، وأجهل أين هي. لا، في الحقيقة أنا أعلم مكانها، هي في إنجلترا. لقد عادت إلى هناك الأسبوع الماضي، ومنذ ذلك الحين انقطعت أخبارها».

نظر بول من وراء كتف ديزي، وتبعت هي نظرته التي كانت قد استقرّت على صندوق التوابل القديم الموضوع بالقرب من إبريق القهوة.

«حسنًا، لقد وصلت ميّا صباح أمس لكنها لم تبقَ إلا لوقت قصير جدًا. هل أنتَ حقًّا من أهدى إليَّ هذه الهدية؟».

أومأ بول برأسه.

«هدية جميلة، لقد تأثّرت بها كثيرًا. هل يمكنني أن أسألك ماذا حدث بينكما؟».

أجاب بول: «لا، لا يمكنك».

لم تصّر ديزي وقدّمت له قهوة.

«إن حياتها أكثر تعقيدًا مما يبدو، وهي أيضًا امرأة معقّدة للغاية في أغلب الأحيان لكنها لا تريد الإقرار بذلك. لكني أحببتّها كما هي. هي صديقتي المفضلة ولقد قرّرَت أخيرًا التصرف بمنطقية وعليها أن تلتزم بذلك. وبما أنك أنتَ صديقها، يُفضّل أن تتركها وشأنها».

«لقد غادرَت للعيش في لندن، أم للعيش مع زوجها السابق؟».

«حسنًا، لديَّ الكثير من الزبائن الآن والطعام لن يطهو نفسه بنفسه، تعال لرؤيتي بعد الساعة العاشرة مساءً، سيكون المكان أكثر هدوءًا. سأعدّ لك العشاء ونتكلم. لعلمك، لقد قرأت إحدى رواياتك، واستمتعت بها».

«أيّ رواية؟».

«الأولى، على ما أظن، أهدتها إليَّ ميّا».

مكتبة هي و هو

ودّع بول ديزي وغادر المطعم. واتجه إلى سان جيرمان دو بريه لملاقاة كريستونيلي الذي كان يسعى طوال الوقت للاتصال بـه.

* * *

خرج كريستونيلي من مكتبه ليحيّي بول بذراعين مفتوحتين.

«نجمي!» هتف هو يحتضنه. إذًا، كنتُ على حق حين دفعتك للقيام بهذه الرحلة؟.

«غايتانو.. أنت تخنقني!».

تراجع كريستونيلي خطوة وعدّل سترة بول.

«بعث لي الناشر الكوري رسالة بالبريد الإلكتروني، وأرفق معها حزمة كبيرة من القصاصات الصحفية، لم تكن مترجمة لكن يبدو أن المتابعات النقدية كانت رائعة. لقد صرت نجمًا في كوريا».

قال بول بتذمر: «نحن بحاجة لمناقشة هذا الموضوع».

«بالطبع، نحن بحاجة لمناقشته.. لكن أتمنى ألا يبدأ النقاش بطلب سلفة جديدة على الحساب. يا لخُبثك!» أضاف كريستونيلي بمرح وهو يربتُ على كتفه.

«ليس الأمر كما تظن، إنه في الواقع أكثر تعقيدًا من ذلك».

«نعم لا يكون الأمر بسيطًا أبدًا حين يتعلّق بالنساء، وعندما أقول النساء، فأنا أقصد النساء اللاتي نقابلهن كل يوم. وهنا، يجب أن أعترف أن الأمر معك يكون مختلفًا حين يتعلّق بالنساء، فأنت تتعامل مع هذه المسألة بجدية تامّة وتعلم جيدًا ما تفعله، فلستَ أبدًا كمن يأكل طعامَه وشوكتُه مقلوبة!».

«قصدك كمن يأكل الطعام وملعقته مقلوبة!».

«لا أرى فرقًا بين الاثنين، وفي كل الأحوال المهم ما تراه أنت، فأنا لن أعارضك اليوم. هيا بنا نشرب كأسًا ونحتفل... يا بول يا خبيث!».

مكتبة هي و هو

«يبدو أنك شربتَ بالفعل ما يكفي، أليس كذلك؟ تبدو لي في حالة غريبة».

«هل أنا الذي أبدو في حالة غريبة؟ أنت تمزح؟ بل أنت من يجب أن يكون في حالة شديدة من الانفعال! لكن من بوسعه أن يلومك... يا بول يا خبيث!».

«بدأت تثير أعصابي بتكرار قولك «يا بول يا خبيث»! ما الذي أخبرتك به يون جيونغ بالضبط؟».

«يون ماذا؟!».

«مترجمتي الكورية، ومن غيرها بوسعي التحدث عنه؟».

«قل لي، يا عزيزي بول، تتحرّك شفتاي وتنطق كلامًا لكن يبدو أنك لا تسمعه! هل فقدت حاسة السمع في الطائرة؟ وهو أمر قد يحدث بسبب اختلاف ضغط الهواء داخلها. أنا أرتعب من ركوب الطائرة، ولا أستقلها إلا عن الضرورة. وحين أسافر إلى ميلانو أستقل القطار حتى لو كانت المسافة طويلة نوعًا، لكن، على الأقل، لا أتعرّض للتفتيش بالماسح الضوئي قبل ركوبه. حسنًا، هل نشرب نخبنا؟ يا بول يا خبيث!».

استقرّا على طاولة في مقهى «دو ماغو». لاحظ بول الملف الذي وضعه كريستونيلي على المقعد.

«إذا كان هذا الملف يتعلّق بعقد روايتي المقبلة، فيجب أن أتحدث إليك أولًا».

«ظننت أنه بالفعل بيننا عقد. لكن ربما تكون على حق، فأنا أتعجب حقًّا مما تفعله مساعدتي. على كل الأحوال أتمنى ألّا تستغل هذا الوَضْع، فمنذ مدة طويلة وأنا أدعمك! ستحكي لي عن موضوع رائعتك المقبلة في يوم آخر، لكن أريد الآن أن أعرف كل التفاصيل! وثق أني لن أخبر أحدًا بأي شيء، أنا قبر وسأدفن ما سأسمعه، وفمي محكم الإغلاق ولن ينطق بكلمة!» همس كريستونيلي وهو يضع سبّابته على شفتيه.

مكتبة هي و هو

سأله بول وهو ينظر في عينيه: «هل دخّنت ممنوعات؟».

«لا، بالمرة!».

«هل تحدّثت مع يون جيونغ أم لا؟».

«لماذا أفعل ذلك؟ لقد قلتها لك، قرأت رسالة البريد الإلكتروني التي تلقيتها وفرحتُ بالترحاب الذي حظيتَ به في سيول. وكان هذا ما توقّعته، أليس كذلك؟ الأرقام ممتازة، سأتّصل بدور النشر الصينية، وسأبلغ ناشرك الأمريكي، وسنتبع خطتي حرفيًّا».

«لكن لو كنا سنتّبع خطتك حرفيًّا، أريد أن أعرف أولًا السبب الذي جعلك في مثل هذه الحماسة المنقطعة النظير؟».

نظر كريستونيلي إلى بول بتركيز، وقال:

«ظننت أنني صديقك وأنك تثق بي، وأنا لا أخفي عنك ما شعرت به من إحباط بعد أن علمت بما حدث، مثلي مثل غيري».

قال بول متذمرًا: «لا أفهم كلمة مما تقوله، وبدأت بالفعل تثير أعصابي. لكن سأضيف ما تسبّبه لي من توتّر إلى التوتّر الذي أشعر به بسبب فارق التوقيت بين سيول وباريس».

شرع كريستونيلي يدندن بلحن إيطالي جميل[1] قبل أن يضع الملف على الطاولة. ثم فتحه نصف فتحة، وهو يواصل دندنته، ثم أغلقه من جديد ثم فتحه نصف فتحة حتى خطفه بول من يده بعد أن كاد ينفجر غيظًا.

وبمجرّد أن شاهد أغلفة مجلات مشاهير المجتمع الموجودة في الملف، فتح عينيه على اتساعهما وبدا كأنه بحاجة إلى الأكسجين.

---

(1) استعان المؤلف هنا بمصطلح موسيقي إيطالي هو «بل كانتو» bel canto ويشير إلى أسلوب الغناء الجميل الذي نشأ في إيطاليا خلال أواخر القرن السابع عشر ووصل إلى أبرز تطور له في مطلع القرن التاسع عشر. (المراجع).

مكتبة هي و هو

«أنا كنت على يقين أنني رأيتها من قبل في مكان ما عندما جئت لاصطحابك من مركز الشرطة، همس كريستونيلي، نعم هي بالفعل ميليسا بارلو، يا لها من إثارة! إنني منبهر!».

كانت صور لميّا وبول معروضة على أغلفة المجلات وداخل صفحاتها الأولى، صوَر وهما يسيران على الأقدام جنبًا إلى جنب، وهما يدلفان إلى الفندق، في الباحة، أمام المصاعد، وصور أخرى لبول وهو يميل على إحدى البالوعات بينما ميّا تسنده، وصور يظهر فيها بول ممسكًا بباب سيارة الليموزين من أجل أن تتمكّن ميّا من أخذ مكانها. وفي كل مرّة، تكون الصور مصحوبة بكلام عن الحكايات الرومانسية المجنونة لميليسا بارلو. وبوسعنا أن نقرأ أسفل صورة التقطت لميّا داخل صالون الكتاب وفي المجلّة الثانية التي كان بول يمسكها بيدين مرتعشتين كُتب ما يلي:

> قبل أيام قليلة من عرض فيلمها، الذي يشاركها زوجها التمثيل فيه، تلعب ميليسا بارلو كوميديا رومانسية أخرى برفقة الكاتب الأمريكي بول بارتون.

«أسلّم معك بأن ما نشرته هذه المجلات اقتحامًا للحياة الخاصة لكن حين يتعلق الأمر بالمبيعات تكون النتائج أكثر من راؤوعة! يا بول يا خبيث! لكن لماذا هذه النظرة التي أراها الآن على وجهك؟».

أحسّ بول برغبة في التقيؤ وخرج بسرعة من المقهى.

وبعد لحظات قليلة رأى وهو مُنحنٍ على الرصيف منديلًا يتحرك في مرمى بصره مدَّه إليه كريستونيلي الواقف خلفه.

«هذا شيء مقرف، ثم تأتي أنت وتتهمني بالإفراط في الشراب!».

مسح بول فمه ورافقه كريستونيلي إلى أحد المقاعد العمومية.

«هل أنت بخير؟».

«نعم، كما ترى جيدًا، أنا بخير تمامًا وبشكل غير مسبوق!».

«هل هذه الصور هي التي جعلتك في مثل هذه الحالة التي تبدو عليها الآن؟ كانت هذه الصور ستنتشر عاجلًا أم آجلًا، ماذا كنت تنتظر وأنت تواعد نجمة سينمائية مشهورة؟».

«هل سبق لك أن شعرت أن العالم ينهار من تحت قدميك؟».

«نعم». أجاب ناشره. «شعرت بذلك أول مرّة عند وفاة أمي، ثم حين تركتني زوجتي الأولى، وأخيرًا عندما انفصلت عن زوجتي الثانية. ولم أشعر بذلك عند انفصالي عن زوجتي الثالثة لأن الوضع كان مختلفًا حيث تمّ ذلك باتفاق متبادل بيننا».

«كما ترى، عندما نقع في قعر الهاوية، يجب أن نكون في غاية الحذر، لأن هاوية أخرى تختبئ تحت الهاوية الأولى، وغالبًا ما تكون أعمق منها، وأتساءل بدوري متى نكفّ عن السقوط في هاوية جديدة؟».

* * *

رجع بول إلى شقته ونام حتى المساء. ونحو الساعة الثامنة مساء، جلس إلى كمبيوتره، استعرض رسائله الإلكترونية، واكتفى بقراءة عناوينها. وبعد ذلك بقليل طلب تاكسي أوصله إلى حي «مونمارتر».

شارفت الساعة الحادية عشرة حين دخل بول إلى مطعم «لاكلامادا». كانت ديزي قد أكملت رفع الصحون عن مائدة آخر الضيوف الذين تركوا المطعم للتو.

«ظننت أنك لن تأتي هل أنت جائع؟».

«لا أعرف».

«دعنا نعرف ذلك».

تركته يختار طاولة وذهبت إلى المطبخ لتعود بعد لحظات بصحن في يدها. استقرّت أمام بول وأمرته بتذوّق وجبة اليوم. فهما لن يتحدّثا

مكتبة هي و هو

معًا إلّا بعد أن يشبع. ناولته كأس نبيذ، وجلست تنظر إليه وهو يتناول العشاء.

«أفترض أنك كنتِ تعلمين حقيقة الأمر، أليس كذلك؟».

«تقصد أنها لم تكن نادلة؟ أخبرتك بأن حياتها أكثر تعقيدًا مما يبدو».

«وأنتِ، وهل أنتِ حقًّا طاهية أم أنك عميلة سرية لجهاز المخابرات؟ يمكنك أن تقولي لي كل شيء، فلا شيء بوسعه أن يفاجئني بعد الآن».

«أنت لست كاتبًا من فراغ.. أنت بارع حقًّا». وضحكت ديزي من أعماقها.

وخلال هذه الليلة حكت له عن تفاصيل حياتها. وكان بول سعيدًا وهو يستمع إليها وهي تسرد له مجددًا ذكرياتها مع ميّا في سنوات المراهقة.

عند منتصف الليل، رافق ديزي حتى بوابة البناية التي تقطنها. ورفع بول رأسه لينظر إلى النوافذ. ثم قال لديزي:

«لو اتصلت بك ميّا، أو وصلت إليكِ أي أخبار منها، عديني أنك ستخبرينها أن تتصل بي».

«لا، لن أعدك بشيء».

«أقسم لك إنني لست رجلًا سيئًا».

«أعرف ذلك، ولهذا تحديدًا لا أريد أن أعدك بأي شيء. صدّقني، لا يصلح أيٌّ منكما للآخر».

«لكني أفتقد صداقتها».

«كلاكما يكذب بطريقة سيئة. أيام الفراق الأولى هي الأكثر صعوبة، لكن تقلّ صعوبتها تدريجيًّا بمرور الوقت. ستجدّ دومًا طاولة لك في مطعمي في أي وقت تشاء. طاب مساؤك بول».

دفعت ديزي باب المطبخ واختفت.

***

مكتبة هي و هو

مرّت ثلاثة أسابيع، لم يفعل بول فيها شيئًا سوى الكتابة التي لم يتوقف عنها إلّا لتناول الغداء عند «موستاش»، والعشاء مع ديزي يوم الأحد.

وذات مساء، تلقّى اتصالًا من كريستونيلي مع دقّات الثامنة مساءً.

«هل تكتب؟».

«لا».

«هل تشاهد التلفزيون».

«لا».

«حسنًا، استمرّ هكذا».

«هل اتصلت بي فقط لتعرف جدول أعمالي؟».

«لا على الإطلاق، أردت أن أعرف أخبارك، وما إذا كنت تتقدم في روايتك الجديدة».

«تخليت عن الرواية التي كنت أعمل عليها لكتابة غيرها».

«عظيم».

«ستكون مختلفة للغاية».

«صحيح؟ عليك أن تخبرني بموضوعها».

«لا أظن أنها ستعجبك».

«هراء، تقول هذا فقط لتثير فضولي».

«لا، أنا أعني حقًّا ما أقول».

«هل كتبت هذه المرة رواية إثارة وتشويق؟».

«سنناقش هذا بعد بضعة أسابيع...».

«أهي رواية بوليسية؟».

«سأخبرك حين أنتهي من المسوّدة الأولى».

«أهي رواية جنسية!».

«غايتانو، هل لديك شيء مهم لتقوله لي؟».

مكتبة هي و هو

«لا...، هل أنت بخير؟».

«نعم، أنا بخير، بل في أحسن أحوالي. ولأنك شغوفٌ بمعرفة تفاصيل حياتي، فقد قمت ببعض الأعمال المنزلية هذا الصباح، وبعدها تناولتُ الغداء في المقهى الكائن تحت شقّتي، وأمضيت وقتًا طويلًا من فترة ما بعد الظهيرة في القراءة، وفي هذا المساء، سخّنت وجبة حساء العدس التي بدأت تبرد الآن، وبعدها سوف أكتب قبل أن أنام... هل تشعر بالاطمئنان عليّ الآن؟».

«حساء العدس ثقيل في الليل، أليس كذلك؟».

«طابت ليلتك غايتانو».

أنهى بول المكالمة وهو يهزّ رأسه، ثم رجع إلى كمبيوتره. وحين شرع يكتب فقرة جديدة، فكّر في المحادثة مع ناشره التي لم يكن لها أي معنى.

ساوره الشك، تناول الريموت كنترول وفتح التلفزيون ليقع على نشرة أخبار القناة الفرنسية الأولى، وانتقل منها إلى القناة الثانية، وواصل البحث، وعاد من جديد إلى القناة العامة وشاهد عليها إعلانًا عن أحد الأفلام.

رأى بول امراة في فستان المساء تقبّل شريكها، ثم يحتضنها الرجل بين ذراعيه ويضعها على السرير قبل أن يجرّدها من ثيابها ويقبّل ثدييها، وهي تتأوه.

تقترب الكاميرا من وجهَي الممثلين... ثم تقف الصورة عند هذه اللقطة ويتم الانتقال من جديد إلى استوديو البرنامج الذي كان يعرض هذا الإعلان ويستضيف هذين الممثلين.

«فيلم «رحلة آليس الغريبة» سيُعرض في الصالات غدًا. نتمنى له نجاحًا كبيرًا، ولكن الحدث الأبرز في هذا الفيلم أننا نجدكما فيه معًا،

مكتبة

هي و هو

على الشاشة كما في الحياة، إن جاز التعبير. ميليسا بارلو، ديفيد بابكينز، شكرًا لقبول دعوتنا هذا المساء».

بهذه العبارات افتتح مقدّم البرنامج اللقاء، وراحت الكاميرا تُظهِر صورتهما جنبًا إلى جنب.

وردّا معًا بكلمات الشكر للسيد ديلاهوس على استضافته لهما في برنامجه.

«أودّ أن أعرف، مثل العديد من مشاهدينا، هل هي تجربة سهلة أم صعبة أن يتقاسم الزوجان البطولة في الفيلم نفسه؟».

تركت ميّا الكلمة لديفيد الذي شرح أن هذا يتوقّف على طبيعة المشاهد التي يتم تصويرها. ثم قال:

«بالتأكيد كنت أرتعد في كل مرة كانت ميليسا تصوّر فيها أحد المشاهد الخطيرة، والعكس بالعكس. ولا تظن أن تصوير المشاهد الحميمية بيني وبينها يكون أسهل لأننا زوجان يعرف كل منا الآخر تمام المعرفة، ذلك أن وجود الفنيين في مكان التصوير أمر مزعج. فنحن لم نعتد رؤيتهم يدخلون معنا غرفة نومنا». ختم وهو يبتسم من تلك الكلمات التى أراد بها الدعابة.

«السيد بابكينز، على ذكر الحميمية، اسمح لي أن أتوجّه إلى ميليسا بارلو وأسألها عن الصور التي نُشرت مؤخرًا في العديد من المجلات التي تهتم بصور مشاهير المجتمع. هل يمكن أن نستنتج من وجودكما معًا هذا المساء، أن نشر تلك الصور يدخل في إطار الشائعات والتغطيات الصحفية غير الدقيقة؟ ماذا يمثّل لديك هذا الكاتب الذي يدعى بول بارتون إن لم تخنّي الذاكرة؟».

أجابت ميّا باقتضاب شديد: «إنه صديق، وهو صديق عزيز جدًّا».

«أهو صديقك لأنك أُعجبتِ بكتاباته؟».

«تربط بيننا الكُتُب والصداقة، والباقي لا يهم».

مكتبة هي و هو

اطفأ بول التلفاز قبل أن يسقط الريموت كنترول من يده.

في الساعة التالية، عجز عن كتابة سطر واحد. وفي منتصف الليل، التقط هاتفه.

***

دخلت سيارة الليموزين ذات الزجاج المعتم إلى موقف السيارات في الفندق. وضع ديفيد يده على مقبض الباب والتفت إلى ميّا.

«هل أنتِ متأكدة أن هذا ما ترغبين فيه؟».

«وداعًا ديفيد».

«لماذا لا نحاول أن نتصالح. لقد حقّقتِ انتقامكِ، ويمكن القول أنك ثأرتِ لنفسك علانية».

«لم أحاول الاختباء، والآن هذا ما سأفعله بعد انتهاء كوميديا السعادة القذرة هذه التي كنت أنا نفسي جزءًا منها. أشعر أنني سيئة، وهو شعور أسوأ من أن أكون وحيدة. شيء أخير، وقّع على الوثائق التي أرسلها إليك كريستون، إذا كنت لا تريد أن أتكلم في الصحافة وأكشف حقيقتك».

نظر ديفيد إليها بازدراء ثم خرج وأغلق الباب بعنف.

سأل السائق ميّا عن وجهتها. رجته أن يأخذ الطريق السريع المتّجه نحو الجنوب، ثم التقطت الموبايل للاتصال بكريستون.

«أنا آسف، يا ميّا، كان عليَّ أن أحضر الليلة الأخيرة في الترويج للفيلم، لكني لا أستطيع السير على قدميَّ بسبب عِرق النسا. لا بد أنك تشعرين الآن بالحرية؟».

«تحرّرت منه، ومنك أيضًا، أما غير ذلك فلا».

«بذلت قصارى جهدي لحمايتكِ، لكنك جعلت الأمر مستحيلًا بالنسبة إلي».

مكتبة هي و هو

«أعلم يا كريستون، وأنا لا ألومك. إن ما حدث قد حدث».

«إلى أين أنت ذاهبة الآن؟».

«إلى السويد. منذ فترة طويلة وديزي تحدثني عن هذا البلد».

ارتدي ملابس دافئة، فالبرد قارص هناك. وأتمنّى أن تزوديني بأخبارك.

«سأوزوّدك بأخباري يومًا ما لكن ليس في الفترة الحالية».

«ارتاحي، واسترجعي قواك. وخلال أسابيع قليلة، سيكون كل ذلك من الماضي. فأنتِ ينتظرك مستقبل رائع».

«الكلام سهل، تمامًا مثل أن يكون بوسعنا محو أخطائنا بمجرد ضغطة على زرّ، فلو كان ثمّة إمكانية لذلك لكان الأمر رائعًا. لكن ذلك لا يوجد إلّا فى الكتب. إلى اللقاء كريستون، أتمنّى لك الشفاء العاجل».

أنهت ميّا المكالمة. فتحت النافذة ورمت هاتفها.

مكتبة هي و هو

مكتبة
هي و هو

الفصل 20

«ماذا فعلتَ بعد مشاهدة ذلك البرنامج؟».

«كنت في شقتي حينها وأخذت أدور حول نفسي لا أعرف ماذا أفعل. وفي منتصف الليل، لم أعدّ أحتمل هذا الوضع، فاتصلت بكَ. لم أظن أنكَ ستطرق باب بيتي في اليوم التالي، ولكنني سعيدٌ جدًا لرؤيتكَ».

«جئتُ بأقصى سرعة. فأنت ذات يوم فعلت الشيء نفسه من أجلي».

«نعم، لكن لم يكن عليَّ حينها سوى عبور المدينة».

«تبدو في حالة مزرية».

«هل أنتَ وحدك أم أن لورين تختبئ في الخزانة؟».

«أعدّ لي فنجانًا من القهوة بدلًا من أن تبقى هكذا تثرثر بكلام غريب».

ظل آرثر عشرة أيام مع بول، أدخلت صداقتهما خلالها إلى قلب بول بعض السعادة.

في الصباح، كانا يذهبان إلى مقهى «موستاش» يجلسان إلى طاولة لتناول الإفطار والدردشة. في فترة بعد الظهر، كانا يتجولان في باريس. وكان بول يشترى كل أنواع الأشياء التي لا فائدة منها، أواني المطبخ،

مكتبة هي و هو

التحف الزهيدة، ملابس لن يرتديها، كتب لن يقرأها وهدايا إلى ابنه الروحيّ. وقد حاول آرثر كبح جماح رغبة بول المحمومة في الشراء لكنه لم ينجح في ذلك.

تناولا العشاء مساءين متتالين في مطعم «لاكلامادا».

وجد آرثر الطعام لذيذًا، ووجد ديزي جذابة للغاية.

وخلال واحدة من أمسيات العشاء أوضح له مشروعه الغريب والمجنون، الذي استحوذ على تفكيره تمامًا. حذّره آرثر من المخاطر التي ستواجهه. وكان بول يدرك جيدًا العواقب، ولكن هذا المشروع بالنسبة له، لم يكن سوى الطريقة الوحيدة للتصالح مع مهنته ومع ضميره. قال بول:

«في اليوم الذي رأيت فيه من جديد «يون جيونغ» في معرض الكتاب، مكثنا عاجزَيْن عن الكلام فترة طويلة. ثم بدأت تبرّر لنفسها ما أقدمت على فعله. فما قامت به لم يُلحِق ولن يلحق أي ضرر بي. وبفضلها، تذوّقتُ طعم الشهرة وجنيتُ أموالًا من حقوق التأليف، أما هي فاستخدمت اسمي لتسرد قصّتها، وهي قصّة لن يقرأها أحد أبدًا خارج حدود كوريا الجنوبية، لأنه لن يهتم أحد هناك بمصير شعبها. وهكذا في النهاية، ربح كل منا ما أراده. ومع ذلك، لم أحتمل فكرة أن أعيش على جهود عمل قامت هي به. وأعترف لك أن المسألة هنا أهمّ من فكرة المال فما بَهَرني هو شجاعتُها وعزيمتها. لقد اعترفت لي بكل شيء. وكيف استغلت فترة وجودها في باريس لزيارة أشخاص يعملون معها دعمًا لقضيتها. أقسمت أن مشاعرها تجاهي كانت صادقة، رغم أنها تحبّ رجلًا آخر يقبع في سجن النظام الذي تحاربه. ربما ستفكّر أنت أنه كان عليَّ أن أضع لها حدًّا، لكنها كانت رائعة. في الواقع شعرت بأنني حرّ لأول مرة ومنذ شهور. لم أكن أحبّها. ولم تكن رؤيتها مجددًا

مكتبة هي و هو

ولا ما اكتشفته عنها ما جعلني أدرك أنني لا أحبّها، لكنها وحدها ميّا التي جعلتني أفهم ذلك. يمكنك أن تسخر مني، لكنني فعلتُ ذلك بشكل ما على طريقتك أنت، فأنا وأنت لدينا موهبة منقطعة النظير في إغواء الأشباح. آسف، لم يكن من اللائق قول ذلك، ولا علاقة للورين بذلك. وحينما جاءت لحظة الوداع بيننا، أقسمت إني سأعيد كتابة قصة كيونغ، لكي يعرفها العالم، وربما لأبرهن لنفسي أيضًا أنني قادر على أن أحكي قصتها أفضل منها. لا يعلم ناشري شيئًا عن هذا حتى الآن، لكن أتخيّل ما ستكون عليه سحنته حين يقرأ مخطوطتي. سأقاتل لو اقتضى الأمر حتى أجعله ينشرها».

«هل تنوي أن تقول له الحقيقة؟».

«لا، لن أقول له ولا لأي شخص آخر. أنت الوحيد الذي أثق به. حتى لورين لا تتحدّث معها عن ذلك».

انضمّت ديزي إليهما في نهاية العشاء، شربوا نخب الحياة، والصداقة والوعد بأفراح تأتي قريبًا.

عاد آرثر إلى سان فرانسيسكو وقد رافقه بول إلى المطار وأقسم له بأغلظ الأيمان، هو الذي لم يعدّ تقريبًا يخشى ركوب الطائرة، أنه سيأتي لرؤية ابنه الروحي حال انتهائه من الكتابة.

تركه آرثر مطمئنًا عليه. كان بول متحمسًا فقد صارت روايته أهم شيء عنده.

* * *

لم يكفّ بول عن العمل. وكان يقضي لحظات الراحة التي يمنحها لنفسه برفقة «موستاش»، ومن وقت لآخر يذهب إلى مطعم «لاكلامادا».

وذات مساء، بينما كان يتناقش مع ديزي وهما جالسان على مقعد اقترب منهما أحد رسامي الكاريكاتير وهو يحمل في يده رسمًا.

مكتبة هي و هو

تمعّن بول في الرسم مطولًا، كان الرسم يصوّر من الخلف رجلًا وامرأة يجلسان على المقعد ذاته. قال الرسام:

«تعود الصورة إلى الصيف الماضي. أنت الجالس إلى اليمين. هذا الرسم هدية مني بمناسة اقتراب الأعياد».

لاحظ بول أن رسام الكاريكاتير لامس يد ديزي عند ذهابه، وأنها ابتسمت له بمكر.

***

بعد مرور شهرين، وبينما كان بول يخطّ السطور الأخيرة من روايته، تلقّى مكالمة من ديزي في وقت متأخر من الليل. وطلبت منه المجيء إليها بأقصى سرعة ممكنة.

استنتج بول من فرط الحماسة في صوتها أن لديها أخبارًا جديدة عن ميّا.

استقلّ المترو، خوفًا من اختناقات المرور، وصعد شارع «ليبيك» وهو يركض. مر أمام طاحونة «لاغاليت»، وهو يلهث وشعر بسخونة في جسده بينما كان الطقس شديد البرودة. دخل مطعم «لاكلامادا» وهو لا يكاد يتنفس من فرط التعب، لكنه كان متشوِّقًا للغاية لأنه كان واثقًا بأنه سيجد ميّا في انتظاره.

لم يجد غير ديزي وراء الكاونتر.

سألها وهو يجلس على الكرسي: «ماذا حدث؟».

استمرّت ديزي في مسح نظارتها.

«لن أخبرك بأني تحدثت معها مؤخرًا، لأن هذا ليس صحيحًا».

«لا أفهم».

إذا التزمت الصمت، يمكنني أن أخبرك بما أعرفه. لكن دعني أعدّ لك أولًا كوكتيلًا صغيرًا لأنك تبدو في حاجة إليه لكي تسترخي.

مكتبة هي و هو

أخذت ديزي وقتها. انتظرته أن يشرب الكوكتيل الذي كان قويًا حتى إن بول شعر بأنه قد سكر على الفور.

قال وهو يسعل: «هذا المشروب قوي للغاية».

«إنه الخمر الذي يُقدم لمتسلّقي جبال الألب الضائعين بعد أن يتمّ العثور عليهم ليلًا. ويكون حينها مثل شيء ما انتزعهم من الموت ليقذف بهم من جديد في أحضان الحياة».

«ماذا تعرفين يا ديزي؟».

«ليس بالشيء الكثير، لكن على الرغم من ذلك ما أعرفه مهم...».

توجّهت نحو خزانة النقود، أخرجت ظرفًا من الورق البني السميك ووضعته على الكاونتر. وعندما همّ بول لأن يأخذه أمسكت يده.

«انتظر، أريد أن أتحدث إليك أولًا. أتعرف مَن كريستون؟».

تذكّر أن ميّا نطقت بهذا الاسم في سيول، وتحدّثت عنه كصديق مقرّب لها، من دون أن تكشف عن وظيفته الحقيقية. بل إنه يذكر أنه غار منه قليلًا وقتها.

«هو وكيل أعمالها، أقصد كان وكيل أعمالها. بيننا شيء مشترك، أنا وهو، يجب أن يبقى سرًّا، فربما تتحسّن الأمور ذات يوم».

«ما هذا الشيء المشترك؟».

«اسكت ودعني أنهي كلامي. منذ اختفائها، وأنا وهو، كما ترى، نعيش الفراغ الذي خلفته بغيابها. في البدء كنت أتصور أن ذلك يعود إلى ضائقة كريستون المالية، ولكن تبيّن أن ذلك يعود إلى فترة قبل ذلك».

«قبل ماذا؟».

«لقد جاءني مساء أمس. دائمًا يكون الأمر مضحكًا حين تتخيّل وجهًا استنادًا فقط إلى الاسم الذي يحمله. فأنا لم أتخيّل أبدًا أن يكون مظهره على ذلك النحو الذي رأيته. ظننتُ أنه يشبه أحد هؤلاء العجائز

الإنجليز، يرتدي قبعة سوداء، ويحمل مظلة، لكن ما أسوأ الصور النمطية التي تضللنا دومًا. باختصار، بدا كريستون على العكس من ذلك تمامًا، رجلًا خمسينيًّا، جميل الوجه، يده شديدة القوة بحيث يمكن أن يكسر لك عظام أصابعك. أحبّ الرجال ذوي الأيادي القوية أثناء المصافحة، فذلك يقول الكثير عن شخصية الرجل وصاحبها. أنت أيضًا تتحلى بهذه الصفة التي أحببتها فيك على الفور أثناء مصافحتك. لقد جاء وتناول العشاء بمفرده مساء أمس. كان ينتظر أن يدفع الحساب وأن تفرغ الصالة من الزبائن لكي يتحدّث معي. دفع الحساب قبل أن يتحدّث معي ويعرّفني بنفسه، وكان هذا فعلًا راقيًا، فلو كنت قد عرفت من هو ما كنت تركته يدفع فاتورة عشائه. كنت أنا من ذهبت إليه، ولو لم أفعل ربما كان سيغادر من دون أن يقدّم نفسه إليّ. كان زبوني الأخير، زبونًا لم أرَه من قبل. اقتربت منه لأسأله إذا ما راقه الطعام. بعد لحظة من الصمت، صرح لي: «إن وجبة القواقع البحرية ممتازة، وقد سمعت عنها كلامًا رائعًا، والآن فهمت لماذا أحبّت كثيرًا هذا المكان». سلّمني هذا الظرف، وبمجرّد أن فتحته عرفت مَنْ هو. لم يسمع هو أيضًا أخبارًا عن ميّا منذ شهور. لم تتصل به سوى مرة واحدة أبدت له فيها عن رغبتها في بيع شقتها بكل ما فيها، ولم تكشف له أين هي. وحين شاهد كريستون الشاحنات تنقل أثاثها، دخل إلى صالة المزادات التي ستبيعها ليشتريها هو من جديد. وكانت كلما ارتفعت مطرقة منظّم المزاد لتحديد الثمن، كان هو من يقدّم الثمن الأعلى. كان يوليها عنايته وحمايته، ولم يحتمل فكرة أن يجلس شخص غريب على كرسيّها في مكتبها أو ينام على سريرها. والآن يوجد أثاث ميّا وتحفها في أحد المخازن الكبيرة في ضواحي لندن».

أصرّ بول وهو في غاية التوتر: «وماذا كان في الظرف؟».

«كنّ صبورًا. كان في باريس لقضاء ليلة في مكان كانت تحبّه. ولا

مكتبة هي و هو

أستطيع أن ألومه، فأنت لا تتخيّل عدد المرات التي كنت أنظر فيها إلى الطاولة التي كنا نتناول عليها العشاء معًا، أو المقعد الذي كنا نجلس عليه في ساحة «تيرتر». بل سأبوح لك بشيء آخر، إنني لا أسمح للزبائن بالجلوس إلى طاولتنا تلك إلّا عندما تمتلئ الصالة ولا تبقى فيها أي طاولة شاغرة. وحصل أن رفضت جلوس الكثير من الزبائن إليها وأبقيتها فارغة، لأني منذ رحيلها أحلم في كل ليلة أن تقتحم هذا الباب، وتسألني ما إذا كان طبق قواقع سان جاك مُدرَجًا في قائمة الطعام».

لم ينتظر بول طويلًا أن تسمح له ديزي بذلك، فتح الظرف ووجده يحتوي على ثلاث صور.

كانت هذه الصور قد التُقطت من بعيد، ربما من شرفة المطعم المحاذي للمركز التجاري لمتحف اللوفر. كان ثمة أشخاص يصطفون في طوابير أمام الهرم الزجاجي. وأشارت ديزي بإصبعها إلى وجهٍ من بين الوجوه الأخرى.

«تعرف ميّا كيف تغيّر شكلها تمامًا حتى لا يمكن التعرف عليها، وأنا لست بحاجة لأخبرك بذلك فأنت تعرفه بنفسك، لكن كريستون لم تكن لديه أيّ شكوك بأن هذه المرأة التي تظهر وسط الحشد، هي ميّا».

انحنى بول بقلب مرتجف للتدقيق في الصورة. ديزي على حق، لا أحد يمكنه التعرف على ميّا، أما هو وديزي فيعرفان أنها هي التي في الصورة.

شعر بول براحة كبيرة حين رأى الغمازتين على خديها. فحين تشعر ميّا بالفرح تظهر هاتان الغمازتان على وجنتيها وهو ما رآه بنفسه حين كانا معًا في سيول. سأل ديزي عن الطريقة التي حصل بها كريستون على هذه الصور.

«لدى كريستون علاقات بالباباراتزي، وكان يشتري منهم صورًا بسعر

مكتبة هي و هو

أعلى مما تدفعه الصحف حتى لا تُنشر تلك الصور، أما ما يخصّ صور سيول فكان قد فات الآوان وخرج الأمر من يده. باختصار، أبلغ جميع من يعرف من المصورين الصحفيين، أنه سيدفع ثمنًا غير متوقَّع لاقتناء أي صورة لميّا تم التقاطها لها أثناء مواعداتها. ومع ذلك، حصل على مثل هذه الصور بالمجّان».

وكان بول يستعدّ ليسأل ديزي إذا كان بإمكانه أن يحصل على إحدى هذه الصور لكنه قبل أن يفعل كانت تمدّ له الصور كلها.

قال بول: «كان عليها أن تبدأ حياة جديدة».

«هل تراها في هذه الصور برفقة أي أحد؟ لا، ليس معها أحد، لماذا إذًا تؤلم نفسك بتفكير كهذا».

«لأن الأمل هو أكثر ما يؤلمنا».

«أيها المغفل، انعدام الأمل هو ما يُشقينا. كانت ميّا في باريس ولم تأتِ لرؤيتي. صدّقني، كانت بمفردها، تريد إعادة بناء حياتها من جديد. أدرك ذلك جيدًا لأني أعرفها جيدًا. تَسَلَّم كريستون هذه الصور قبل أسبوع، وهذا ما دفعه لاقتفاء أثرها. وقبل أن يأتي إليَّ تجوّل ليومين في باريس وقد سيطرت عليه فكرة غير منطقية هي أن الحظ سيلعب لصالحه فيلتقي بها وسط مليونَيْ شخص يقطنون هذه المدينة. الإنجليز مجانين! أما نحن، فنعيش هنا، من يدري إذًا...؟ ربما يحالفنا الحظ...!».

«ماذا تريدين أن تقولي؟ إن ميّا لا تزال هنا؟»».

«اتبع أحاسيسك.. لو كنت تحبّها حقًا.. فستشعر أين تتنفس!».

***

كان ما قالته ديزي صحيحًا. فقد حدث في الأسابيع التالية أن شمّ بول عطر ميّا عند زاوية أحد الشوارع ولم يكن يعرف هل كان ذلك ثمرة خياله أم أنه الأمل الذي رفض التشبث به. أحس وكأن خطواتها سبقت خطواته

مكتبة هي و هو

وأنه اقترب للغاية من اللحاق بها لكن فاته ذلك. حدث له أيضًا أن مشى مسرعًا على أحد الأرصفة مقتنعًا أنه سيلتقيها عند أول مفترق طريق يقابله. وحدث له أيضًا أن سأل المارة المجهولين عنها، وأن سار ليلًا رافعًا رأسه صوب النوافذ المضاءة وهو يتخيل أنها تعيش وراء نافذة منها.

***

نشر روايته التي أعاد فيها كتابة قصة كيونغ بالكامل. كانت هذه المرة الأولى التي يغامر فيها ويكتب أحداثًا واقعية لا تعتمد فقط على الخيال. كان لا يتوقّف عن التساؤل كل مساء أمام أوراقه. هل ما يكتبه من وحي خياله أم هو واقع؟ وهل بالَغَ في سرده للحكاية أو جعلها أكثر مأساوية؟ هل كان واعيًا أنه منح شخصيات يون جيونغ روحًا وجسدًا، وهي الشخصيات التي اكتفت كيونغ حين سردت قصتهم بتوضيح ما مرّوا به من تجارب ومحن على مأساويتها. لقد سرد بول حياتهم، وصوّر معاناتهم وعواطفهم. كان قد قام بما يجب أن يقوم به الكاتب حين تستحوذ عليه حكاية ليست من وحي خياله.

استأثرت الرواية باهتمام كبير للغاية من الصحافة، فبعد صدورها بفترة قليلة ثارت زوبعة لم يفهم بول أسبابها، ربما لأنها سايرت الأفكار والتوجّهات السائدة في تلك الفترة.

ففي هذا العصر حيث يريد كل فرد الاستمرار في تمسكه بفضائل الحريات الفردية وانغلاقه على نفسه، وأن يغضّ الطرف عن المصاعب والمآسي التي تحصل ما وراء الحدود في الشرق، وعن تزايد نفوذ الطغاة الذين يحتمون وراء اقتصاد استولوا عليه بالقوة، جاءت هذه القصة في الوقت المناسب لتدين ديكتاتورية لا تحتمل أي تشكيك في وجودها ولكي تُحدِث نوعًا من استنهاض الضمائر. ولقد قبل بول هذه الفكرة على نحو غاية في النزاهة حتى إنه لم يُرجع إلى نفسه أي فضل في معالجتها. ففي نظره، يعود الفضل في ذلك بالكامل إلى شجاعة يون جيونغ.

مكتبة هي و هو

امتدحت المتابعات النقدية الرواية، وتتابعت على مكتب كريستونيلي طلبات عقد مقابلات صحفية مع مؤلفها، لكن بول رفضها جميعًا.

وسرعان ما جاء دور مكتبات بيع الكتب للاهتمام بالرواية، ولأول مرّة يرى بول كتابه معروضًا على طاولات الكتب الأكثر مبيعًا، بل اكتشف أن كتابه قد وجد اهتمامًا كذلك من قبل ما يُسمى بمراكز الأفكار الرائجة.

ثم بدأ الهمس حول اقتراب الرواية من الفوز بإحدى الجوائز الأدبية يتردّد في أروقة دار النشر، وبدأ كريستونيلي في دعوة بول إلى تناول الغداء معه أكثر فأكثر، وكان يحدّثه عن الفاعليات الاجتماعية التي تشهدها باريس، ويفتح دفَّتَيْ مفكرته الإيطالية الصنع، ويتظاهر بالجدّية اللّازمة عندما يتحدّث عن حفلات الكوكتيل والأمسيات الأدبية التي من المفترض أن يشارك فيها. لكن بول كان يفوّتها جميعًا بل توقّف عن الاستماع إلى بريد هاتفه الصوتي.

كان كل هذا الضجيج من حوله يرنّ كما يحدث في شقة فارغة.

وبعد مرور ستة أسابيع التقى بكريستونيلي في مقهى «دي فلور» هذه المرة.

كان الناس يحدّقون فيه ويرسمون على وجوههم الابتسامات إعجابًا أو حسدًا، لكن في ذلك المساء، طلب كريستونيلي قنينة شمبانيا قبل أن يخبره أن ثلاثين ناشرًا أجنبيًّا اشتروا حقوق ترجمة روايته.

يا للسخرية! قصة مترجمته ستُترجم إلى ثلاثين لغة! وبينما كان كريستونيلي يشرب نخب هذا الانتصار، لم يستطع بول منع نفسه التساؤلَ عما سيدور ببال مترجمته يون جيونغ حين تعلم كل ذلك، فهو لم يعدّ يتواصل معها أبدًا.

كان مساءً للاحتفال، لكن كان بول، رغم حضوره، غائبًا عنه.. ومع ذلك كان عليه أن يستعدّ فلم يكن الاحتفال إلا في بدايته.

الفصل 21

في أحد أيام الخريف، وفي فترة الظهيرة لم يتوقّف هاتف بول عن الرنين وهو الأمر الذي أزعجه فاضطر للردّ بعد نفاد صبره. تلعثم كريستونيلي وسمعه بول ينطق كلمة ما لم يفهمها:

««لا ميدي»!».

«ماذا؟».

««لو ميدي»!».

سأله بول: «هل تقصد «ميديتاسيون»؟[1]».

«لا ليس هذا، فما الذي يدفعني لل»ميديتاسيون»؟ أقصد مطعم «لاميديتيرانيه»، الجميع ينتظرك هناك!».

«حسنًا، غايتانو، أنت في غاية اللطف، ولكن ماذا تريد مني أن أفعل في مطعم «لاميديتيرانيه»؟».

«بول، أرجوك اصمت وانتبه جيدًا لما أقوله لك. أنت الفائز

---

(1) – La méditation كلمة فرنسية يشير معناها إلى التدريبات الذاتية للتأمل الروحي. (المراجع).

مكتبة هي و هو

بجائزة «ميديسيس» للرواية الأجنبية، والصحافة تنتظرك في مطعم «لاميديتيرانيه» في ساحة «أوديون». وهناك سيارة تاكسي تنتظرك في الأسفل، هل هذا واضح؟» صرخ كريستونيلي.

يبدو منذ تلك اللحظة أنه لم يعدّ شيءٌ واضح في ذهن بول الذي تدافعت فيه الأفكار.

قال بنبرة تذمر: «اللعنة!».

«اللعنة على ماذا؟».

«اللعنة، اللعنة، اللعنة!».

«كُفَّ عن أن تكون فظًّا هكذا؟ ما الذي يدفعك أن تقول لي اللعنة مثلما تفعل الآن؟».

«لا ألعنك أنت بل ألعن نفسي!».

«لا يعفيك هذا من كونك تتصرّف بفظاظة!».

قال بول: «يستحيل أن يحدث هذا، امنعهم فعلَ ذلك!».

«أَمنعُهم ماذا؟».

«امنعهم منحي هذه الجائزة، لأنه لن يكون بوسعي قبولها».

«اسمح لي يا بول أن أقول لك إنك بدأت بالفعل تُثير جنوني! لا أحد يرفض جائزة «ميديسيس»! إذًا أسرع واستقِلَّ التاكسي الذي ينتظرك أسفل شقتك، وإلّا، فأنا من سيقول لك: اللعنة، بل سأقولها لك الآن: اللعنة، اللعنة، ثم اللعنة! اذهب على الفور فهم سيعلنون عن أسماء الفائزين خلال خمس عشرة دقيقة، أنا هناك بالفعل، فأيٌّ انتصار هذا الذي تحققه يا صديقي؟!».

أغلق بول السماعة، وشعر أنه سيصاب بأزمة قلبية. تمدّد على الأرضية الخشب، ويداه في وضع الصليب، ثم بدأ بإجراء تمارين التنفس.

في الطريق رنَّ الهاتف مرات عديدة، وظل يرنّ حتى أوصله التاكسي إلى ساحة «أوديون».

مكتبة هي و هو

كان كريستونيلي في انتظاره أمام المطعم، وانطلقت فلاشات الكاميرات وشعر بول أنه يعايش موقفًا مرَّ به من قبل وهو الأمر الذي جعل الدماء كأنها تتجمد في عروقه.

واكتفى بترديد كلمة «شكرًا»، وكان يرفع رأسه مبتسمًا للمصورين كلما وخزه الناشر بمرفقه، وتقريبًا لم يردّ على أي سؤال، وحين أجاب فعل ذلك بقدرٍ من الغموض.

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر، هرع كريستونيلي إلى مكتبه لإعطاء تعليمات بخصوص إعادة طبع الرواية مع وضع شريط على غلافها يشير إلى فوزها بجائزة «ميديسيس» للرواية الأجنبية، في حين عاد بول إلى شقته، وأراد ألّا يبرحها.

هاتفته ديزي في نهاية فترة الظهيرة وكانت قد سمعت بالخبر من الراديو أثناء تقطيعها الفجل في المطبخ، وشكرته لأن فوزه بالجائزة تسبّب في جرح إصبعها من فرط مفاجأتها! وأضافت أنه سيكون من الأفضل أن يأتي للاحتفال بنجاحه في «لا كلامادا» في أقرب فرصة، وإلا.. فستضع اسمه على القائمة السوداء للممنوعين من دخول المطعم.

وفي الثامنة مساء كان بول يذرع شقته ذهابا وإيابًا منتظرًا أن يهاتفه آرثر.

لكن لورين هي التي اتصلت به فآرثر كان في زيارة عمل لنيو مكسيكو. وتبادلا حديثًا طويلًا، ونجحت رغم المسافة الكبيرة للغاية التي تفصل بينهما في أن تجعله يجد الوسيلة التي ستعمل على تهدئته قبل أن تضطر لإنهاء المكالمة لأمر طارئ.

جلس بول أمام شاشة الكمبيوتر وفتح ملف مخطوط أهمله منذ مدة طويلة. كانت لورين على حق عندما دفعته إلى إعادة علاقته ببطلته المغنية، التي سرعان ما أشعرته بالراحة التي كان في حاجة إليها.

مكتبة هي و هو

بعد أن كتب بعض الصفحات، شعر بول بأن الضيق في صدره بدأ يخفّ، فأمضى ما تبقى من الليل في الكتابة في تدفق رائع.

في الصباح الباكر، اتخذ بول قرارًا وعد نفسه بتنفيذه مهما كان الثمن. حان الوقت ليعود إلى الوطن وهو الأمر الذي سيسعد أفضل صديق له.

* * *

ذهب بول إلى ناشره في اليوم التالي. استمع إلى كريستونيلي من دون انتباه، مكتفيًا برفض جميع مقترحات المقابلات التي رتّبها له هذا الأخير. حاول كريستونيلي جاهدًا البقاء هادئًا. وكان قد سمع بول للمرة العشرين يقول له: «لا». وحين قال له «نعم» لم ينتبه واستمرّ في ترديد مقترحات بأسماء الصحفيين الذين يرغبون بإجراء المقابلات معه.

تنهّد بول قائلًا: «لقد قلت لك «نعم» للتو».

«قلت نعم لأي مقابلة؟!».

«مقابلة «لا جراند بيبليوتك»(1) فهو البرنامج الوحيد الذي سأشارك فيه».

«حسنًا»، أجاب كريستونيلي وهو على حافة الانهيار. «سأخبرهم فورًا. البرنامج يذاع مساء غدٍ على الهواء مباشرة».

* * *

أمضى بول يومه الأخير في باريس في ترتيب شؤونه. ذهب للغداء عند ديزي في الظهيرة. وعند لحظة الفراق، تعانقا وحاولت جاهدة أن تمسك دموعها.

وفي نهاية فترة ما بعد الظهيرة، ودّع «موستاش» وسلّمه مفاتيح شقته. ووعده صاحب المقهى بالاهتمام بها كما لو كانت شقته.

---

(1) La Grande Bibliothèque.

مكتبة هي و هو

في الساعة الثامنة مساء، وصل كريستونيلي ليرافقه إلى المطار. وضع بول حقيبته في صندوق التاكسي، متوجّهًا نحو استوديوهات التلفزيون الفرنسي.

ظل بول صامتًا أثناء وضع المكياج، طلب فقط عدم إخفاء التجاعيد الصغيرة حول عينيه. وبينما جاء مدير الاستوديو لإحضاره، رجا كريستونيلي أن ينتظره في الغرفة المخصّصة لتجهيز الضيوف للتصوير حيث يمكنه متابعة البرنامج على شاشة التليفزيون الموجود فيها.

استقبله فرانسوا دوتيرتر مقدّم البرنامج في الكواليس وحدّد له مقعده من بين مقاعد أخرى سيجلس عليها أربعة روائيين آخرين سيشاركون في البرنامج.

حيّا بول زملاءه، وتنفّس بعمق. وبعد لحظات قليلة، بدأ البث المباشر.

«مساء الخير للجميع، مرحبًا بكم في برنامج «لا جراند بيبليوتك». هذا المساء سنناقش موضوع الجوائز الأدبية، وأيضًا الأدب الأجنبي، وسنبدأ هذه الحلقة بالحديث مع مؤلف غير معروف جماهيريًا، أو على الأقل هو كان كذلك في فرنسا حتى أمس، أي قبل أن يفوز بجائزة «ميديسيس» للرواية الأجنبية. الكاتب بول بارتون شكرًا لحضورك بيننا».

في تلك الأثناء، بُثَّ شريطٌ على الشاشة عن مسيرة بول الأدبية هو الذي كان يعمل في الأساس مهندسًا معماريًا، وعن قراره العيش في فرنسا كما نوّه هذا التقرير السريع عن رواياته الست، وعند نهايته توجه فرنسوا دوتيرتر بالحديث إلى بول.

«بول بارتون، تختلف هذه الرواية جدًّا عن كتاباتك السابقة، وهي الرواية التي فزت عنها بجائزة ميديسيس، إنها رواية مؤثرة للغاية، ومدهشة، ويمكن القول إنها رواية مشحونة بالعواطف كما تزخر

مكتبة هي و هو

بالمعلومات، هي رواية أساسية ولا غنى عنها لفهم الموضوع الذي تعالجه».

وواصل مقدم البرنامج مدح الرواية، قبل أن يسأل بول عن دوافع كتابة هذه الحكاية.

حدّق بول في الكاميرا، وقال:

«أنا لم أكتبها. أنا اكتفيت بترجمتها».

فتح فرانسوا دوتيرتر عينيه، وحبس أنفاسه.

«هل سمعتُ بشكل صحيح؟ أنت لم تكتب هذه الرواية؟».

«نعم، أنا لم أكتب هذه الرواية الحقيقية من سطرها الأول حتى سطرها الأخير، فمؤلّفتها امرأة، وكان يستحيل نشرها باسمها، فوالداها وعائلتها، وبوجه أخص حبيبها، يعيشون في كوريا الشمالية، ولو كانت قد نشرت الرواية باسمها لكانوا قد دفع هؤلاء حياتهم ثمنًا لذلك، لأجل ذلك لن أكشف أبدًا عن هويتها، كما لن يكون بوسعي أن أتلقّى الإشادة على رواية هي التي كتبتها».

«أنا لا أفهم»، تساءل مقدم البرنامج، «ولكنها نشرتها باسمك؟».

«نعم، تم الاتفاق على استخدام اسمي بشكل صوري. كانت كيونغ الحقيقية تحلم أن يتعرّف أكبر عدد من الناس على قصة عائلتها، وأن يهتم الجمهور بمصيرهم. لا نفط في كوريا الشمالية، ولهذا لن يهتم العالم الغربي كثيرًا بما يحصل هناك، رغم وجود نظام من أكثر الديكتاتوريات فظاعة. لقد قضيتُ شهورًا طويلة أُعايشُ نَصَّها، أبعث الحياة في شخصياتها، ومع ذلك، أكرّر لكم أن الحكاية حكايتها هي، وهي وحدها، ولا أحد سواها يستحق هذه الجائزة التي تسلَّمتُها أنا أمس. حضرت إلى برنامجك هذا المساء لأقول الحقيقة، وإذا ما حدث وسقط هذا النظام فبوسعي الكشف عن هويتها لو سمحت هي لي بذلك. أمّا عن حقوق التأليف والنشر التي أستفيد بها بفضلها، فإنني أتنازل عنها

مكتبة هي و هو

لفائدة منظمة العفو الدولية ومختلف الحركات المعارضة لهذا النظام البغيض. إني أقدّم اعتذاراتي الصادقة لناشري الذي كان يجهل كل شيء حتى هذه الليلة، وكذلك لأعضاء هيئة تحكيم جائزة «ميديسيس». ولكن بعد كل شيء، هم منحوا الجائزة للرواية ذاتها أكثر مما منحوها للمؤلف الذي يظهر اسمه على غلافها. فالشيء الوحيد المهم هو الشهادة التي تقدّمها مثل تلك الرواية. وباسم الحرية والأمل أرجو مِن كل مَنْ يتابع هذا البرنامج أن يقرأها. شكرًا. ومعذرة».

وقف بول، وصافح مقدم البرنامج وجميع الضيوف الآخرين قبل أن يغادر الاستوديو.

* * *

كان كريستونيلي ينتظره في الكواليس. سارا معًا جنبًا إلى جنب في صمت حتى وصلا إلى البهو.

وحين صارا بمفردهما، نظر كريستونيلي إلى بول ومدَّ إليه يده ليصافحه.

«أنا فخور جدًّا أن أكون ناشرك، حتى لو كانت تعتريني رغبة عارمة في خنقك. إنه كتاب جميل جدًّا، وليس ثمة كتاب كبير يُنشر في الخارج من دون عمل مترجم كبير. أفهم لماذا اتخذت قرارك بالرحيل إلى سان فرانسيسكو لبعض الوقت. سأبقى أنتظر بشغف تكملتك لمغامرات بطلتك المغنية. أحببت كثيرًا الفصول الأولى التي سمحت لي بقراءتها ومتحمّس للغاية لنشرها».

«شكرا غايتانو لكنك لست مضطرًا لذلك. أخشى أن أكون قد فقدت كل قرّائي هذه الليلة».

«أما أنا فأرى أن العكس تمامًا هو الصحيح. والمستقبل وحده من سيخبرنا بالحقيقة في هذا الشأن!».

مكتبة هي و هو

مكتبة
هي و هو

الفصل 22

نزل بول وناشره درجات السلالم. عندما وصلا إلى الرصيف الخالي من المارة، خرج شاب من الظل يحمل ورقة واقترب منهما.

قال كريستونيلي: «كما ترى، لا يزال لديك معجب واحد على الأقل».

رد بول مازحًا: «ربما هو أحد عملاء كيم جونغ أون، جاء لتصفيتي».

كانت مزحة لم يبتسم لها ناشره.

«إنها لك». قال الشاب وهو يمد ظرفًا صغيرًا إلى بول.

فتح الظرف ليكتشف تعليقًا غريبًا بعض الشيء، كُتب بخط اليد: «ثلاثة أرطال من الجَزر، ورطل من الطحين، وعلبة من السكر، واثنتا عشرة بيضة، ونصف لتر من الحليب...».

سأله بول بلهفة: «من أعطاها لك؟».

أشار الشاب إلى شخص على الرصيف المقابل قبل أن يذهب.

وعبرت امرأة الطريق وتقدّمت نحوه.

قالت ميّا: «لم أفِ بوعدي، وقد شاهدت البرنامج».

مكتبة

هي و هو

أجاب بول: «لكنكِ لم تعديني بشيء».

«هل تعلم لماذا وقعتُ في حبكَ بهذه السرعة؟».

«لا، ليس لدي أي فكرة عن ذلك».

«لأنك غير قادر على التمثيل».

«وهل هي مزية؟».

«هي مزية رائعة».

«لا يمكنك أن تتخيّلي كم افتقدتكِ يا ميّا! افتقدتك إلى حد الموت!».

«هل هذا حقيقي؟».

«أنا غير قادر على التمثيل، أليس كذلك؟».

«لماذا لا تتوقّف عن الكلام وتُقبِّلُني على الفور؟».

«نعم».

وتعانقا في الشارع.

انتظر كريستونيلي لحظات قليلة، ألقى نظرة على ساعته واقترب وهو يسعل.

«بما أنكما لا تبدوان في عجلة من أمركما، إذًا فلن تمانعا إذا استعرت التاكسي الذي كان سيقلكما؟».

تخلّص كريستونيلي من الحقيبة التي كانت في يده وسلّمها إلى بول.

حيّا ميّا باحترام، أغلق الباب، أنزل زجاج النافذة، وصرخ بينما تنطلق السيارة: «يا بول يا خبيث!».

سألت ميّا: «إلى أين أنت ذاهب؟».

«سأنام في مطار رواسي، وأغادر إلى سان فرانسيسكو عند الفجر».

«لفترة طويلة؟».

«نعم».

«هل يمكنني الاتصال بك؟».

مكتبة هي و هو

«لا. لكن لو أردت ذلك بالفعل يمكننا أن نزيح الراكب الذي يجاورني في الطائرة. ولديّ في هذه الحقيبة ما لذَّ وطاب من الطعام».

وضع بول أمتعته وقبّل ميّا.

استمرّت القُبلة حتى فاجأهما بوق إحدى السيارات.

أدخلَ ميّا أولًا إلى السيارة ثم جلس بجانبها.

وقبل أن يحددا وجهتهما للسائق، التفت إليها وسألها:

«والآن، هل يُحسب هذا أم لا يُحسب؟».

«أجل، إنه يُحسب».

مكتبة
telegram @ktabpdf
telegram @ktabrwaya
تابعونا على فيسبوك
جديد الكتب والروايات

مكتبة
هي و هو

أتوجه بالشكر إلى:

- بولين، لوي وجورج.
- رايموند، دانييل ولورين.
- سوزانا لي.
- إيمانويل هاردون.
- سيسيل بوبر - رانج، أنطوان كارو.
- اليزابيث فيلنفوف، دالولين بابول، آرييه سبيرو، سيلفي باردو، ليدي ليروي، جويل ريندودات، سيلين شيفليت، آن - ماري لينفان.
- وجميع فريق دار نشر روبرت لافّون.
    - بولين نورماند، ماري - إيف بروفوزت.
    - ليونارد أنطوني، سيباستيان كانوت، دانييل ميلانكون، نجا بالدوين، مارك كيسلير، ستيفاني شارييز، جوليان سالتيت وسابليت دي ايستيير، ألين غروند.
    - كاترين هوداب، لوريا ماملوك، كيري غلينطورس، جوليا واغنر.

بريجيت وسارة فوريسيير.

مكتبة هي و هو

ريما تكون باريس هي مدينة الحب، ولكن هناك من يرفض الاعتراف بذلك...

باعت هذه الرواية أكثر من أربعين مليون نسخة، وتُرجمت إلى أكثر من أربعين لغة.

ميّا ممثلة شهيرة، ولكنها في الحياة الواقعية متعَبة وبحاجة إلى استراحة لأنها اكتشفت أن زوجها، الممثل النجم وشريكها في بطولة فيلمها الأخير، غير مخلص لها... تذهب ميّا لتختبئ في باريس، وتغير تسريحة شعرها، وتعمل نادلة في مطعم صديقتها.

أما بول فهو كاتب أميركي يعيش في باريس ويجتهد لاستعادة شعلة الموهبة التي كتب بها روايته الأولى...

بتدبير سرّي من صديقه، عن طريق أحد المواقع الالكترونية المخصصة للمواعدة، يلتقي بول ميّا ويدخلان في علاقة "معقدة".

لكن على الرغم من الظروف غير الملائمة فإنّ القدر يخبّئ لهما مصيرا مختلفا...

رواية في غاية الإمتاع، منعشة، سريعة الإيقاع.

Kirkus Reviews

بشخصيات مرحة وحوارات طريفة يؤجل ليفي النهاية الحتمية لحكايته بذكاء عالٍ، فاسحًا المجال لتلك الشخصيات الحية كي تراوغ كاشفة لنا عن نقاط ضعفها لننتهي إلى قراءة قصة رومانسية شيّقة.

Publishers Weekly

يعيش مارك ليفي الآن في نيويورك، ويُعتبر من أكثر الكتاب المعاصرين مقروئية. له ثماني عشرة رواية من بينها (كل الأشياء التي لم نقلها، وأطفال الحرية، وإعادة التشغيل) بالإضافة إلى روايته الشهيرة (لو أنه كان حقيقيًا) التي كتبها لابنه وتحولت لاحقًا إلى الفيلم الشهير (كما الجنة) للنجمين رينيه ويذرسبون ومارك رفالو ومنذ صدور الفيلم كسب ليفي قلوب القراء في أوروبا كلها.

ISBN: 978-9938-941-20-3

مكتبة ٣٥٧

منشورات الرمل
دار التنوير

مكتبة هي و هو